المرأة في أدب التنوير
دراسة في الرؤية والتشكيك

إعداد
أحمد عبد الكريم العلي
جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الأردنية
مركز إعداد الرسائل الجامعية
المشرفة

الأساتذة الدكتور ياسين خليل عايش

قدمت هذه الرسالة استناداً لمعايير الحصول على درجة الماجستير في اللغة العربية وآدابها

كلية الدراسات العليا
الجامعة الأردنية

قانون الثاني، 2005
جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الأردنية
مركز إبداع الرسائل الجامعية
الإهداء

أهدي هذه الرسالة إلى والدي ووالدتي الحبيبين وإلى أخوتي العزيزين عامر وحمزة، مقدراً لهم جميعاً ما تحملوه معاني طيلة حياتي الدراسية فأوصلوني إلى حيث وصلت بدعم ومساندتي.

مكتبة الجامعة الأردنية
مركز إبداع الرسائل الجامعية
شكر و تقدير

ظل لقمي صامداً طويلاً حين هممت بكتابة هذه الورقة مستحقو الشكر كثير، ومهم...

بلغت كلماتي فلن توفiem حقهم آبداً.

وأبداً هنا فأشكر الأستاذ الدكتور ياسين خليل عاش على ما قدمه لي من النصيحة العلمية طيلة مدة إشرافه على رسالتي هذه، فقد وجدت أبواب مكتبه مفتوحة على مصراعيها فنلعت منها علماً وافراً مكتني من إتمام هذا العمل. كما أشكر الأستاذة: الأستاذ الدكتورصلاح جرار، والدكتور حمدي منصور، والدكتور محمد علي أبو حمدة، والدكتور محمد الدروبي لتفضله بقبول مناقشة هذه الرسالة متحملين بذلك عنا قراءتها، وإبداء ملاحظاتهم الثرية عليها فجزاه الله كل خير.

وأجد من الواجب علي هنا أن أشكر جميع أساتذتي الذين بنوا الغالي والنفيس حتى وصلت إلى ما أنا عليه الآن، وأخص بالشكر أستاذتي خضر قبطان وعائلته الكريمة؛ فجعلتي السيدة الفاضلة سهام عليان كانت ولا تزال تبذل جهداً عظيماً في سبيل تقدمي العلمي والفكرى فقلها جزيل الشكر والتقدير.

أسرتي الحبيبة، زملائي الأعزاء أشكر لكم دعمكم ومسانديكم، وأعدكم بأن تكون هذه البداية التي ستبشر بمستقبل مشرق إن شاء الله.
توقشت هذه الرسالة/الأطروحة ( المرأة في أدب التناخ، دراسة في الروية والتشكل)
وأجيزت بتاريخ 6-1-2005.

أعضاء لجنة المناقشة

الدكتور ياسين خليل عابش، مشرفًا

أستاذ مشارك الأدب العباسي - اللغة العربية

مركز إبداع الرسائل الجامعية

الدكتور صلاح جرار، عضوًا

أستاذ دكتور الأدب العباسي - اللغة العربية

الدكتور حمدي محمود منصور، عضوًا

أستاذ مشارك الأدب الجاهلي والإسلامي - اللغة العربية

الدكتور محمد علي أبو حمدة، عضوًا

أستاذ مساعد الأدب وال النقد - اللغة العربية

الدكتор محمد محمود الدروبي

أستاذ مساعد الأدب العباسي، اللغة العربية ( جامعة آل البيت)
<table>
<thead>
<tr>
<th>الفصل الأول: صورة المرأة عند من سبقوا التنوخي (الجاحظ وابن قتيبة وابن عبد ربه نموذجا)</th>
</tr>
</thead>
<tbody>
<tr>
<td>التوطئة</td>
</tr>
<tr>
<td>الصفات المادية (الخلفية)</td>
</tr>
<tr>
<td>الصفات الشخصية (المعنوية والملكية)</td>
</tr>
<tr>
<td>مكانة المرأة:</td>
</tr>
<tr>
<td>1. التعليم:</td>
</tr>
<tr>
<td>أ. القراءة والكتابة</td>
</tr>
<tr>
<td>ب. الأدب والشعر والخطابة</td>
</tr>
<tr>
<td>ج. حفظ القرآن</td>
</tr>
<tr>
<td>2. الأهلية القانونية</td>
</tr>
<tr>
<td>3. مكانة المرأة الاجتماعية:</td>
</tr>
<tr>
<td>أ. العزلة والانفصال</td>
</tr>
<tr>
<td>ب. المرأة والشؤون العامة</td>
</tr>
<tr>
<td>ج. منع حقوق المرأة</td>
</tr>
<tr>
<td>4. شهادات تتعلق بمكانة المرأة:</td>
</tr>
<tr>
<td>أ. الطلاق ومكانة المرأة</td>
</tr>
<tr>
<td>ب. الرق ومكانة المرأة</td>
</tr>
<tr>
<td>ج. حرية المرأة في استخدام جسمها كما تشاء</td>
</tr>
<tr>
<td>د. القيد على الزواج</td>
</tr>
</tbody>
</table>
الفصل الثاني: صورة المرأة في أدب التنوخي

التوطئة
التنوخي: اسمه ونسبه
مولده ونشأته
ثقافة ومذهبه
شبهه ومؤدبهم
الوظائف التي شغلها التنوخي
مكانته العلمية
مؤلفات التنوخي وأهميتها:
1. نشوار المحاضرة وأخبار المذكرة
2. كتاب الفرح بعد الشدة
3. المستجدا من فعالات الأجواد
4. ديوان الشعر
وفاته

جسم المرأة في كتب التنوخي
صفات المرأة المعنوية الملكية:
1. حسن التدبير والدهاء
2. الوفاء والإخلاص في مقابل الغدر والخيانة
3. حب المرأة لبذل المال والكرم في مقابل حبيها لجميع المال والمشجع
4. النزعة الجرمانية لدى المرأة عند التنوخي

ملاحظات إجمالية حول صفات المرأة في أدب التنوخي
مكانة المرأة في أدب التنوخي:
1. التعليم
2. الأهلية القانونية
3. مكانة المرأة الاجتماعية في أدب التنوخي
صور المرأة الإجتماعية مستخلصة من أدب التنوخي
صور المرأة بين التنوخي ومن سبقوه
(الحاالة وابن قتيبة وابن عبد ربيه نموذجاً)
الفصل الثالث: التشكيك في أدب التنوخي المتعلق بالمرأة
الوطنية
الرصد في قصص التنوخي الإخبارية
الشخصيات في أدب التنوخي
الح각ة والعقدة عند التنوخي
الحل والخاتمة عند التنوخي
ملاحظات عامة حول التشكيك عند التنوخي
خصائص قصص التنوخي التسجيلية
الخاتمة
الملحق
قائمة المصادر والمراجع
الملخص باللغة الإنجليزية
المقدمة

الدهشة والذهول صنعا تطلعات هذا البحث، وحَفَّزا خطواته توصلًا إلى نهايته. في السنوات الأخيرة من القرن العشرين، وفي مدينة عمان بالذات، بلغنا أن رجلاً في أواخر العقد السادس من عمره قد اشتري لنفسه كفناً وهو في كامل صحته، واحتفظ به في بيته، وثار أولاده على ذلك وشعروا بالكثير من السوداوية والتشاؤم من فعلة الولد. ولما بلغنا الخبر دهشت من عمل الوالد وذهلت منه، ورثيت لحال زوجته وأبنائهما. وبعد أن انتهى إلى هذا الخبر من مصادره الموثوقة كأن اطلعت على قصة نبأة القيروان التي أوردها التنوخي، فزاد ذهولنا؛ لأن هذه الفتاة لم تنتظر بكون واحد بل بثلاثمائة كفن، ولم تشربها من تجارها، وإنما جمعتها من مشرفة المدينة، ولم تحصل عليها نهاراً، بل نشب القيروان ليلًاً من أجل الحصول عليها. وكان أن تعاظم في نفس التساؤل عما إذا كان هذا الأدب مغرماً برسم الصور الغربية لذاتها، وما إذا كان يريد أن يقول شيئاً عن المرأة بالذات، فأقبلت على دراستها، وفي نفس تلك التساؤلات، فأثارت القراءة الأولى تساؤلات أخرى حول أسلوبه الأدبي وخصائصه التشكيكية.

و لما أن هدأت سوءة الدهشة والذهول أخذت تتبلور لدى خطوات بحثية أدبية تأمّلت أن أتوصَّل من خلالها إلى إجابات عن تساؤلات حول المرأة في أدب التنوخي وحول أسلوبه، وخصائصه التشكيكية، فكان أن قرأ كتب التنوخي الثلاثة، واستخرجت منها تلك الأخبار التي تبرز فيها المرأة فاعلة مؤثرة، واستبعدت تماماً الأخبار التي كانت المرأة فيها شخصاً مهذباً أو غير فاعل. فكان أن توافر لي ثمانية وثلاثون خبراً من هذا القبيل، أوردتها في الملحق متوازنة، غير مُبْوِّهة ولا
مصنفة، تماماً كما فعل التنوخي ذاته، وقد أثرت أن لا أورد ضمن هذه القصص المنتقاة أخبار الأنبئاء صلوات الله عليهم؛ خيفة أن يختلط علي أمر الأحكام الشرعية، وينزل بالتحليل الأدبي، كما أثرت أن لا أورد أخبار الصحابة والتابعين رضي الله عنهم جميعًا إلا عندما كانوا يتصرفون بوصفهم أشخاصًا عاديين لا ينقلون حكماً شريعاً، ولا يجدون استنباطًا للحكم الديني في مسألة من المسائل.

و كان أن عرض لي بعدها سؤال كبير وهو: إن كنت بحثًا عن صورة المرأة في أدب التنوخي أو في أدب غيره فماذا تعني كلمة الصورة؟ أي ذلك المظهر الخارجي الذي يظهر للعين؟ أم أنه أيضاً ذلك البناء الداخلي وذلك الموقع الاجتماعي الذي يحظى به صاحب الصورة؟ فقبلت على المراجع أملًا في أن تساعدني في تشكيل مفهوم لهذه الكلمة يصبح أن يكون أساسًا لهذا البحث.

ثم إني رأيت أن الصورة لا تتكمل حتى تقارن بصورة أخرى أو أكثر؛ لأن الأشياء إنما تتضح حين تقارن بالنظائر والآتادات، فاخترعت ثلاثة من الأدباء نموذجاً، واختبرتهم لأنهم كتبوا مباشرة عن المرأة، فكان أن أصفت من كتابات الجاحظ رسانله الثلاث: مفاخرة الجواري والعلماء، والقياس، والنساء، ومن كتابات ابن قتيبة كتاب النساء الذي يشكل جزءًا من كتابه عيون الأخبار، ومن عقد ابن عبد ربه المرجانية الثانية وأخبار الوافدين على معاوية، لكي تكون الصورة المستخلصة من أدبهم مناط المقارنة مع صورة المرأة التي استخلص منها أدب التنوخي.

و هنا فاجأني سؤال خطير: ما جدوي هذا البحث؟ أو هو بحث يعهد لمجرد الفضول مدفعاً بالدهشة والذهول؟ أم أنه بحث مفيد يلقى الضوء على جانب من جوانب المعرفة الإنسانية؟ وقادني هذا السؤال إلى سلسلة من الأفكار تواردت على ذهني فيما دون الجهر أحيانًا، وجرت على لساني...
وصوت عالٍ أحياناً آخر، فكان لزاماً أن أرتبها، وأن أسقُفها في هذه المقدمة حتى تبقى في تفاصيلها هادئة لي في عمليات إتمام هذا البحث.
وأين الأدب في هذا الخضم الزاخر من التنظير والبحث والاستقصاء؟ لابد أن يتسكع الأدب بدوره من حيث هو نشاط إنساني يتصل اتصالاً مباشراً بالذات الإنسانية، يكشفها من جانب، ويغذيها من جانب ويسمو بها إلى أعلى علويين. ولا يجوز للأدب أن يتنازل عن دوره في إغناء المعرفة الإنسانية كما يراها ليضيف بذلك إلى سائر العلوم والمعارف فهماً صادراً عن منظور مكمل لسائر أشكال النشاط الإنساني، ولا يجوز للأدب كذلك أن يتراجع أمام جموع العلوم الطبيعية التكنولوجية، بل يجب عليه أن يستمع فوته ليفعل شيئاً في قادم الأيام؛ لأن الناس سيعودون إليه إلى سائر الأجيال الفنية.
ولماذا التنوخي؟ لأنه إخباري جاء وسطاً ما بين الإخباريين، سببه على سبيل المثال كل من الجاحظ وابن نافع وابن عبد ربه، وأثنى بعده ابن القيم الجوزية والمالقي وغيرهما، ومن هذا الموقع الوسيط قد يكون التنوخي قادرًا على إقلاع الضوء على فكر من سبقه متأثرًا بهم، كما قد يكون قادرًا على إقلاع الضوء على فكر من لحقوه بعد أن مهد لهم.
وهكذا دخلت إلى نفسي الطمنينة، فهذه بحث لا يقوم على مجرد الفضول المتطفل، وإنما يسعى إلى تقديم إضافة متواضعة على فهم جانب من جوانب المشهد الإنساني في مدة محددة من التاريخ في بقعة محددة من الجغرافيا. صحيح أن الدهشة والذهول كانا منطلق هذا البحث ولكن المنهجية الأدبية حلت في محلها الصحيح، وهي التي حرصت جاهدة على أن تنقذ خطوات هذا البحث حول صورة المرأة التي شغلت الرجال والنساء، منذ أول إشارة وعي على الذات عرفها البشرية.
وفي ضوء هذه الظلمات، وانطلاقاً من الأفكار التي تبّلورت رسمت لهذا البحث أن يمر
بإجراءات كان أولها: الإطلاع على الأدبيات المتصلة بالموضوعات التي يتكون منها البحث، ولا
سيما مفهوم الصورة، وأساليب استخلاص مقاماتها، وتحديد مفهوم التشكيل، وما يتفرع عنه من
مفاهيم. وبعد ذلك رسمت لهذا البحث أن يضع خلاصة استعراضية تحليلية لما تكشف عنه الأدبيات
المتعلقة بموضوعات البحث، لينتهي الأمر إلى تدوين النتائج، وتحليلها، والوصول إلى النتائج
الخاتمية.

وقد تطلب إعداد هذا البحث الإطلاع على ما تيسر في المكتبة العربية من دراسات وبحث
على شكل كتب منشورة، أو مقالات في مجلات، أو رسائل جامعية غير منشورة تتصل بشكل
 مباشر أو غير مباشر بمحور أو أكثر من محور هذا البحث،

و أبدأ أول ما أبدأ بالأدبيات والدراسات المتصلة بالتوخى، فقد حظيت مصنفات التتوخي
بعداية عدد من الدارسين المحدثين، غير أن أيًا منهم- في حدود ما أعلم- لم يقف على بيان صورة
المرأة في الحكایات والطرائف والأخبار والأشعار التي حشدت في تلك المصنفات الثلاثة. وأبرز
تلك الدراسات والمؤلفات:

*كتاب "القاضي التتوخي وكتاب النشوار" لبديري محمد فهد، المكتبة الآهية، بغداد، 1966. وفيه
يقدم وصفاً موجزاً لكتاب النشوار ومادته، ثم يورد فهارس عامة للخلفاء والأمم والقبائل والأشعار
ممّا ورد في النشوار، ولا سيما في الجزء الأول منه.

*كتاب "الفجر بعد الشدة " لمحمد حسن عبد الله، مكتبة وهبة، القاهرة، 1993. والكتاب قسمان،
الأول دراسة لعصر التتوخي، وشخصية مؤلفه، ومصدره في اجتياز القصص والأخبار، ومحاور
اهتمامه، وخصائصه الفنية، والثاني مختارات من القصص والأخبار، والطرائف مسلحة منه.
وثمة رسائل جامعية عنيت بمصنفات التنوخي ومنها:

* دراسة لسلوى دروحش بعنوان "المحسن بن علي التنوخي، حياته ودراسة تحليلية لأثاره "، التي قدمت لنيل درجة الماجستير في اللغة العربية وأدابها من الجامعة الأردنية عام 1994. وهي تعرض في بدايتها صورة لمجتمع التنوخي وبيئته التي نشأت فيها، مؤدياً بها ذلك إلى الحديث عن سيرة حياة النموذج، إلا أنها تنصب اهتماماً وجهوداً على تحليل نتاج التنوخي، الذي كان كما تراه رساماً مبدعاً، يرسم ويصور بكلماته حالة المجتمع بكل طبقاته من الخلفاء والقضاة والتجار والجواري والمسرحيين، ويرصد أفكارهم وأحيانهم، ف أعماله كانت تترجم لتفاقم المجتمع وتفاقم النموذج. ولكنها لم تجعل للمرأة في عملها نصيباً، بل اقتصرت على إبراز قضية تكشف عن سيطرة القيم والمغنيات في ذلك العصر على الشباب.

* دراسة لخولة شخازرة بعنوان "الخبر عند المحسن التنوخي، بين القصص والتاريخ"، التي قدمت لنيل درجة الدكتوراة في اللغة العربية وأدابها من جامعة اليرموك عام 2000. وهي تفصّل في بدايتها جهود المعاصرين في دراسة التنوخي من حيث تحقيق أعماله، والدراسات التي تناولتها، وينصب اهتمامها على دراسة تداعي الأخبار وتواجدها عنده، ولم يرد فيها شيء عن صورة المرأة في هذا المصنفات.

* دراسة لمحمد القنعان بعنوان "القضي التنوخي وآثاره، دراسة في منهجه ومصادره"، قدمت لنيل درجة الدكتوراة في التاريخ من الجامعة الأردنية عام 2000. وقد قدم الدارس في بدايتها للأحوال السياسية والاجتماعية والثقافية، وتحوي هذه الدراسة منحى بعيداً عن الدراسات الأدبية، إذ تنصب اهتمامها على الترجمة لسيرة حياة التنوخي، ومن ثم تحدث عن المصادر التي استقى منها مؤلفاته.
المكتوبة كانت مثل الشعر والأدب والأنساب، أم شفوية مثل القضاة والمحتشين والشعراء والتجار.
والعامة والنساء، إلا أن حديث عن النساء اقتصر على ذكر أسماء اللاتي كن مصدراً لأخبارهم.

دراسة لروال النجار بعنوان "صورة المجتمع الإسلامي في القرن الرابع الهجري في مصنفات النتوخى: (الفرج بعد الشدة، والمستجد من فعاليات الأجداد، ونشوار المحاضرة وأخذاء المذكرة)
قدمت لنيل درجة الماجستير في اللغة العربية وأدابها من الجامعة الأردنية عام 2001، وعرضت في بدايةها للحديث عن حياة النتوخى وذكر مصنفاته، وقد حاولت هذه الدراسة أن تعيد رسم صورة المجتمع سياسياً واجتماعياً واقتصادياً وثقافياً في ذلك العصر من مصنفاته، ولم تتطرق فيها لذكر المرأة سوى في جزئية تحدث فيها عن زى النساء آنذاك.

مقالة لشكري فيصل بعنوان "رحلة كتاب: نشوار المحاضرة خلال نصف قرن ويزيد "، نشرت في مجلة مجموعة اللغة العربية، دمشق، المجلد 48، الجزء 2، 1973. ويفق الباحث في هذه المقالة على صور الاهتمام بكتاب النشوار منذ أن نشر المستشرق الإنجليزي مرجليوث جزءه الأول عام 1921. إذ جعل المقالة في قسمين: الأول منها وهو بعنوان "النشوار مع مرجليوث ", وأما الآخر فهو "النشوار مع عبيد الشالجي "، ويناقش فيها الأخطاء التي وقع بها المحققين، إذ ينظر على مرجليوث تسمية ما نشره بالجزء الأول، وهو نفسه يقول في وصف المخطوطة المحفوظة ", وليس فيها ما يدل على أنها أول جزء من أجزاء عدة ". أما الشالجي فينكر عليه قوله يسبيع الفقرات الضائعة من الكتيب، فالضائع من النشوار ليس فقرات إنما هو أجزاء.
وعلى ذلك فإن صورة المرأة في أدب النتوخى لم تلت الاهتمام الكافي في هذه الدراسات جميعاً، ففجأت هذه الدراسة لتفني بهذا الجانب الإنساني وتبرزه، وتهيئ مقدار حضوره في مسيرة المجتمع العربي في تلك الأعصار.
وأشار بعد ذلك إلى الدراسات المتعلقة بالمرأة وصورتها، فأظهر أن أيًا منها لم تتناول صورة المراهقة بالشكل الذي عرفه هذا البحث بمفهوم الصورة، حتى ولو استعملت هذه الكلمة في عناوينها وفي متنها، والملاحظ أن هذه الدراسات تضمنت في معرض رسم الصورة إلى تناول مرحلة عمرية مثل مرحلة المراهقة، كما هي الحال في دراسة محمد السباعي الموسومة باسم "صورة المرأة في روايات إحسان عبد القدوس", أو بدور من الأدوار الاجتماعية مثل دور الأم والبنت والزوجة كما هو الحال في دراسة ناهدة الكسكي الموسومة باسم "صورة المرأة في روايات حنا مينا", ودراسة ضياء الكعبي الموسومة باسم "صورة المرأة في السرد العربي القديم: دراسة في كتب الجاحظ والأغاني والسيرة الشعبية", ودراسة محمد صبري الموسومة باسم "المرأة في الأدب الأندلسي في عصر الطوائف والمرابطين". كما أن ثمة دراسات ربطت المرأة بالوظائف الشعرية، كان تتخذ رمزا أو أنموذجا للجمال كما يتيح من دراسة وضحاء الحالة الموسومة باسم "صورة المرأة في العصر العباسي الثاني في العراق", ودراسة أمجل عواملة الموسومة باسم "صورة المرأة في الأدب الشعبي الأردني والفلسطيني", ودراسة طه غالب الموسومة باسم "صورة المرأة والمثال وروحها الدينية عند شعراء المعلقات", ودراسة اعتبد خليل الموسومة باسم "صورة المرأة في شعر البلاط البويهي فضلا عن دراسات أخرى متبثة في طيات هذه البحث.

وبعد أن فرغت من الاطلاع على الأدبيات السابقة تبادر لدي مفهوم للصورة ومفهوم للتشكيل سأعرض له تفصيلا في موقعه من هذا البحث، وأصبح متاحا لي البدء بتدوين النتائج التي توصلت إليها. وقد قسمت هذا البحث إلى مقدمة وثلاثة فصول وخاتمة وملحق واحد. وقد تناول الفصول الأول والثاني معالجة رؤية صورة المرأة، وعالج الفصل الثالث التشكيل وخصائصه في أدب التنوخي.
أما الفصل الأول فقد عقد لغايات استخلاص صورة المرأة كما ارتمست في نموذج مختار من الأدباء الإخباريين الذين سيقوا التنوخي وهم: الغاتِبِيِّ وابن عبْدِ رَبِّهِ. وقد اختُبرت ثلاثة من رسائل الغاتِبِّ هي رسالة القيان، ورسالة المفاخرة بين الجوواري والغلمان، ورسالة النساء. واختُبرت من أعمال ابن قتيبة ذلك الفصل المسمى "كتاب النساء "، الورد في كتابه عيون الأخبار. كما اختُبرت المراجعة الثانية من العقد الفريد، إضافةً إلى أخبار الواقفات على معاوية. وقد جرى استخلاص هذه الصورة من خمسين خبراً جمعت من المصادر السابقة، وجرى تمحيصها للتعرف من خلالها على صورة المرأة في أدب هؤلاء، مع التركيز على كونها امرأة من غير اعتبار لكونها حرة أو جارية، شابة أو مسنة غنية أو فقيرة إلى آخر ما هنالك من اعتبارات لا تنفي عن المرأة أنها امرأة.

وعقد الفصل الثاني لاستخلاص صورة المرأة كاما ارتمست في أدب التنوخي من خلال ثمان وثلاثين خبراً سمي كل منها قصة، وجرى تمحيصها للوصول إلى مقارنة الصورة المرتشمة في القصص المتناقثة مع الصورة التي ارتمست في أدب الإخباريين الألف ذكرهم.

وعقد الفصل الثالث لدراسة خصائص التشكيل الأدبي عند التنوخي، ومحاولة تبين ما اتصفت به قصصه المتناقثة من سمات في السرد، وفي الشخصيات، وفي الحبكة، وفي العقدة، وفي الحل، وفي الخاتمة مع تركيز على الخصائص اللغوية التي عرضت من خلالها هذه القصص الإخبارية والتسجيلية، آما الملحق فخصص لإبراد القصص المتناقثة جمياً من أدب الجاحظ، وابن قتيبة، وابن عبْدِ رَبِّهِ، والتنوخي، فبلغت ثمانياً وثمانين قصة، منها خمسون اخترى من أدب الذين سيقوا التنوخي وثمان وثلاثين اخترى من أدب التنوخي ذاته.
ويلاحظ أن عدد القصص والأخبار عند التنوخي كان أقل من عددها عند من سبقوه ممن وقع عليهم الاختيار، وذلك لا يقلل من قيمة النتائج التي توصل إليها البحث الذي انعقدت عليه هذه الدراسة، لأنها تظل مؤشراً صالحاً يمكن معه استخلاص الصورة الإجمالية للمرأة عند التنوخي.
و أسأل الله تعالى التوفيق فيما سعيت إليه من إلقاء ضوء على موضوع هذا البحث، إنه ولي التوفيق.
الفصل الأول
صورة المرأة عند من سبقو التنوخي

(الجاحظ وابن قتيبة وابن عبد ربّه نموذجاً)

توطئة

كانت المرأة وستظل دائماً محظاً اهتمام الرجل في مختلف العصور، وفي مختلف الحضارات. وذّم العرب اهتمامهم بها منذ بواكير نتاجهم الأدبي، وذلك مائل في شعر الغزل الجاهلي والإسلامي والأموي والعباسي، ولا سيما في قصص العشاق.

إن دراسة هذا النتاج الشعري والنثري أمر غزير، وقد تكلف باحتوثن كثيرون في التأليف في هذا الميدان كما سبق بيانه في المقدمة. غير أنه يغدر من المفيد الوقوف على نماذج نثرية لثلاثة من أعلام النثر العباسي ممن سبقو التنوخي؛ لرؤية ما يمكن أن تكون مؤلفات التنوخي قد أضافته إلى مؤلفات من سبقوه في رسم صورة المرأة.

ويبعد واضحُا من هذه المقدمة أن الذين عنوا بالمرأة عناية مباشرة أو غير مباشرة من بين شعراء العرب وأدبائهم أكثر من أن يحيا بهم بحث مثل هذا، ولذلك اختر ثلاثة من رواة الأخباََر الذين كرَّسوا للنساء جزءاً وافراً من كتاباتهم. وهم: الجاحظ في رسالته، وابن قتيبة في كتابه عيون الأخبار، وابن عبد ربٍّه في كتابه العقد الفريد. ويتَميز هؤلاء جميعاً بأنهم جمعوا الأخبار مع عناية شديدة ينقصي صحة السند وعدم انقطاعه ما أمكن ذلك وذلك. وربما ورد الخبر نفسه عند غير واحد من هؤلاء، الأمر الذي يزيد الخبر دقيقة في أن يكون شاهداً على عصر من العصور من زواية رؤيته للمرأة كما استوعبها راوية الخبر.
وقد جُمعت من أخبارهم - لغایات هذا البحث - خمسون قصة، كان معظمها معنیاً عناية مباشرة بالنساء، كما صرّح بذلك الرواية نفسه. وقد تناولت أخبارهم نساء من ذوات الشهرة في التاريخ العربي من أمثال هند بنت عتبة زوج أبي سفيان أم معاوية، والنساء عائشة بنت طلحة ونائلة بنت الفراصة زوج عثمان رضي الله عنه، وسعدي زوج الوليد بن عبد الملك، وفي مقابل هؤلاء النساء ثمان نساء لم تذكر أسماؤهن، الأمر الذي يوحي بأن هؤلاء الرواة تناولوا شرائح مختلفة من النساء مستخلصين بذلك صورة نمطية لهنً، متمثلة في من ينظر إليها على أنها المرأة الأنموذج، كما عرضوا لخصائص النساء الفقيبات خلقاً وخلقاً. وقد خُصص هذا الجزء من البحث لاستخلاص الصورة العامة للمرأة الأنموذج جمالاً وقبها، والمرأة من حيث صفاتها الملكية ومن حيث اهليتها الاجتماعية كما رسمها هؤلاء الرواة. وسُوف يجري أولًا تناول المرأة من حيث جسمها ثم من حيث صفاتها توصلاً في النهاية إلى اهليتها الاجتماعية.
الصفات المادية (الخليجية)

لعل أوضح ما قالته العرب بشأن المرأة الأندلوج في جسمها ما قالته عصام في وصف أم إياس حين وصفتها لعمرو بن حجر: جذ امرئ القيس، إذ أرسلها لتنظر في أمر خطية أم إياس(1).
فقد أفادت عصام في وصف جسم أم إياس حتى إنها لم تدع شيئاً إلا وصفته وصفاً جمالياً مؤثرًا، صارفة النظر عن العورة الصريحة مع إشارة ذكية إليها. ووسطت من هذه القصة - على وجه الخصوص - أن جسم المرأة الأندلوج يتصف بما يلي: الأ yanında، الطول الفاقد والضخامة في مختلف أعضاء الجسم، باستثناء الخصر والقدمين.

1. رقة البشرة ونعومتها.
2. التناسق العام بين مختلف أعضاء الجسم.
3. البياض والوضاءة في الجبهة والبشرة والأنسنان.
4. الحمراء في الشفتيين والخدان.
5. السواد الحلول والطول في الشعر.
6. البرمط الطهي والضياعة واكتمال الأعضاء والتمتع بالصحة.

وقد تأثرت هذه الصفات الجسمية في مواضع عديدة من القصص المندرجة في الملحق ومن، الأمثلة على ذلك قول القائل:

(1) انظر الملحق، قصة 39.
كان مجامع الربلات منها
فَتَامَ يَهْضُونَ إِلَى فَتَامٍ
و بصف القائل هنا ضخامة مجامع الفخذين عند هذه المرأة حين شبها بجمهرة كبيرة من
الناس تلتقي بجمهرة أخرى مماثلة لها حجماً.
وهم بعضهم بنعومة ملمس المرأة وجمالها، كما يبدو ذلك في الثناء على رقة جلد أبن
أردشير حتى أنه أثار تأثراً كبيراً بورقة آس.
1. كما أغرموا ببضوح جسم المرأة فعلاً بنعت زرارة
بن أوفى الحرشي ظهر بياض جسمها حتى وهي مرتديه ثوبها.
وتأيذه ذلك أيضاً بما لا يكاد يتشتت من الأقوال، وأبيات الشعر، ونصوص الحكماء العارفين
بشؤون النساء في ذلك الزمان، ومن أبرزها الحكایات والأقوال الآتية:
" قال عبد الملك بن مروان لرجل من غطفان: صفي لي أحسن النساء. فقال: خذها يا أمير
المؤمنين ملساء القدمين، درماء الكعبين، مملوة الساقين، جماعة الركبتين، لقاء الفخذين، مقتردة

1. انظر الملحق، قصية 25.
2. انظر الملحق، قصية 28.
3. هي الملاءة بنت رزان الحرشية، كان أبها فقيها محدثا من التابعين، وهي التي شجبت الفروض بها وسياكية
بنتها. انظر الصفدي، صلاح الدين خليل بن أبيك، (764)، الواقعي بالوفيات، 29، (تحقيق أحمد الأزنواط وتركي
مصنف)، دار إحياء التراث، بيروت، 2000، ج 26، ص 38.
4. انظر الملحق، قصية 38.
5. الدرماء التي لا تستعين كعوبها ولا مراقها من السمنة. انظر ابن منظور، محمد بن مكرم الإفريلي، (711).
6. جماء العظام كثيلة اللحم عليها. انظر ابن منظور، اللسان، مادة دم.
7. اللفاء المكتنزة ضخامة الفخذين. انظر ابن منظور، اللسان، مادة لف.\n
الرفيعين(1)، ناعمة الأليلين(2)، منيفة المأكمتين(3)، بدء الوركين(4)،
مهمومة الخصرين(5)، ملساء المنكيين، مشرفة، فعمة العضدين(6)، فخمة الذراعين(7)، رخصة
الكفين(8)، ناهدة الثديين(9)، حمراء الحديث، كحلاء العيينين(10)، زجاء الحاجبين(11)، لمباء
الشفيتين(12)، بلجاء الجبين(13)، شعاء العرينين(14)، شباب الساحر(15)، حملة الشعر، غيداء العنق(16)،
عيناء العيينين(17)، مكررة البطن(18). فقال وبحك! وعين تجد هذه؟ قال: تجدها في خالص العرب أو
في خالص الفرس.أ(19).

(1) المقرمة الرفيعين الصميمها، وذلك لاتفاق شفتيها واقتصاد بذبيها. انظر ابن منظور، اللسان، مادة قرمد.
(2) الأليلة بالفتح العجزية للناس وغيرهم. انظر ابن منظور، اللسان، مادة أبي.
(3) ناهد الشيخ ارتفع وأشرف والمأكتين مما لم تدعهما وسلاما ما بين المجذب والممتين. انظر ابن منظور، اللسان،
مادة نواف ومادة أكم.
(4) البدياء من النمساء الوضخة، وقيل كبيرة لحم الحذف. انظر ابن منظور، اللسان، مادة بدد.
(5) الطفيفة الكشحة، وقيل أمارة هضما وضم. انظر ابن منظور، اللسان، مادة هضم.
(6) ممثثلهما، وقيل للمرأة فعمة التي استوى خلقها وعلط ساقها. انظر ابن منظور، اللسان، مادة فعم.
(7) ضحمة. انظر ابن منظور، اللسان، مادة فخم.
(8) ناعمة البشرة رقيقتها، ورحامة أناملها بنينا. انظر ابن منظور، اللسان، مادة رخص.
(9) ناهد الذي إذا ارتفع عن الصدر وصار له حجم. انظر ابن منظور، اللسان، مادة نهد.
(10) التي تراها كأنها مكحولة وإن لم تكحل. انظر ابن منظور، اللسان، مادة كحل.
(11) العقيق الحاجبين الممتمتهما، انظر ابن منظور، اللسان، مادة زيج.
(12) سمراء الشفة. انظر ابن منظور، اللسان، مادة لما.
(13) البديء إذا تباعد ما بين الحاجبين، وقيل إذا كان نقاً من الشعر. انظر ابن منظور، اللسان، مادة بلج.
(14) الشهم أن يطول الألف ويدق مع حسن استواء القصيدة ورافعها. انظر ابن منظور، اللسان، مادة شم.
(15) النشب رقة الأنسان واستواها مع بياس وبريق. انظر ابن منظور، اللسان، مادة شنب.
(16) الغداءة المرأة المتئثرة من اللين وغداء العنق التي تميل للرقها. انظر ابن منظور، اللسان، مادة غد.
(17) الواسعة العين، انظر ابن منظور، اللسان، مادة عين.
(18) الكسر هو العضو الوافر، وقيل هو العضو الذي على حده لا يخلط به غيره. انظر ابن منظور، اللسان، مادة
كسر.
(19) ابن عبد ربه، أبو عمر أحمد بن محمد الأندلسي(ت328). العقد الفريد، كم، شرحه وضبطه وعنون.
قال الحجاج: "لا يحسن نهر المرأة حتى يعظم ثديها" (1). وقال علي بن أبي طالب (2)

كرم الله وجهه: " لا تحسن المرأة حتى تروي الرضيع، وتذف الضجيج".

وقال خالد بن صفوان (3): " حسبى من جمالها أن تكون ضحمة من بعيد، مليحة من قريب".

وقال أبو العباس السفاح لخالد بن صفوان: " يا خالد، إن الناس قد أكثروا في النساء فأبتين أعجب إليك؟ قال: أعجبني يا أمير المؤمنين التي ليست بالضرع الصغيرة، ولا الفانية الكبيرة، وحسبك من جمالها أن تكون فخمة من بعيد، مليحة من قريب، أعلاها قضيب، وأسفلها كتب" (4).

وقال أعرابي ابن عمه: " أطلب لي أمة بيضاء، مدienda، جاهزة، تقوم فلا يصبيب قميصها منها إلا مشاها منكبيها، وحملتي ثبيتها، ورافعتي بيتها، ورسف ركبتيها". إذا استلقت

موضوعاته أحمد أمين وأحمد الزين و إبراهيم الإباري)، دار الأندلس للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، 1996، ج2، ص87.

1) ابن قتيبة الباجي، أبو محمد عبد الله بن مسلم، (762)، عيون الأخبار، 4 (حقق محمد الإسكندراني)، دار الكتاب العربي، بيروت، 1994، ص301-321؛ ابن عبد ربه، العقد الفريد، ج2، ص86.

2) انظر المصدر السابق، ص86.

3) العلامة البلاغي، فضيله أبو شفوان الباجي، كان في أيام التابعين إذ وفد على عمر بن عبد العزيز، وهو الفائل ثلاثة يعرفون عند ثلاثة: الحليم عند الغضب، والشجاع عند اللقاء، والصديق عند النأتية. الذهبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن قايبان، (ت 748). انظر سير أعلام النبلاء، ط9، 23م، (حقق شبيب الأرناؤوط ومحمد نعيم العرقوسي)، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1992، ج6، ص226.

4) انظر ابن قتيبة، عيون الأخبار، 4، ص296.

5) انظر ابن عبد ربه، العقد الفريد، المرجعية الثانية، ص86.

6) السُمُشْاشُ، رؤى العظام مثل الركبة، والكعبين، والمسامكين. انظر لسان العرب مادة مشه.

7) الرائعة، أصلُ الألسن وطرفها الذي يلقي الأرض من الإنسان إذا كان قائمًا. انظر لسان العرب مادة رنف.

8) الرضا، طبق يموج على الركبة، وقيل السلادة التي على الركبة. انظر لسان العرب مادة رضاف.
فرميَت تحتها بالأطروحة العظيمة نفاذت من الجانب الآخر.

وقالوا في صفات شعر المرأة الكثير، وأكثر ما يروقهم منه أن يكون أسود حالاً و لا سيما

إذا كانت صاحبته بيضاء البشرة، وفي ذلك يقول الشاعر:

بيضاء تسحب من قيام شعرها
و تغيب فيه وهو جدل أسحم
فكأنها فيه نهار ساطع
و كأنه ليل عليه مظلم

و عبر العرب أيضاً عن عنايتهم بجمال جسم المرأة، واشتهر عنهم أنهم شبهوها

بالطيبية والغزال، وشبهوا شعرها بالليل وبالعناقيد، وشبهوا وجهها بالبرد وطلعتها بطلعة

القمر، وشبهوا عينيها بعيون النهر، ووصفوها بأنها دعابتين، وأن نظرها عليل

وستان، وشبهوا قدتها بالعصم، وعنقها بإبريق الفضة، وشبهها ساقها بجمالة النخلة،

وشبهوا نهديها بعفين من عاج يملأ يد الملمس، وشبهوها بالرمانتين، وكل هذه

التشبيهات تعبير عن حس جميل لدى العرب فكل مشبه به هو رمز عندهم من رموز

الجمال من حيث وجه الشبه. هذا إضافة إلى كلمات كثيرة تحمل معها الإيحاء بالجمال كأن

يقال: هي غادة، وأملودة، وطفلة، وهيفاء، وشنباء.

---

(1) انظر ابن قتيبة، عيون الأخبار، م، 297.
(2) أسحَم أسود، انظر ابن منظور، اللسان، مادة سمح.
(3) انظر ابن قتيبة، عيون الأخبار، م، 317. ولم يعِر البيتين فيه كافل.
(4) شهادُ السواد مع سعة المفهمة. انظر ابن منظور، اللسان، مادة دعج.
(5) قلب النخلة وشحمتها، وشبيَت بها الساق لبضائها. انظر لسان العرب مادة جمر.
(6) الفتاة الناعمة اللبَّية. انظر ابن منظور، اللسان، مادة غيد.
(7) يقال رجل أَملودُ ومرأة أَملودُ وأملودة ناعمة. انظر ابن منظور، اللسان، مادة ملد.
(8) هي الرَخصة الناعمة الرقيقة البشرة، وقيل إذا كانت صغيره. انظر ابن منظور، اللسان، مادة طفل.
(9) الضامرَة البطن رقيقة الخصر. انظر ابن منظور، اللسان، مادة هيف.
ولا تكتمل الصورة إلا بمقارنتها مع نقيضها، فالمرأة القبيحة في جسمها قد نالت
هي الأخرى تركزًا شديدة عند العرب، وإذا كانت القصص المنتقاة لا تتعرض لقبح المرأة
في جسمها فإن أقوال العرب وحكمهم ونصوصهم تضع مثل هذه الإيماءات الدالة على القبح.

ومن مظاهر القبح في جسم المرأة عند العرب ما يلي:

1. أن يكون في جسمها شيء من الزوائد والفضلون(1) ولا تدخل الشامة ضمن مثل هذه الزوائد
المستكررة، بل إنها من المحصنات(2).

2. أن يكون قد شاب شعرها(3).

3. أن تكون نحيفة قليلاً لحم، طويلة الساق، محبباً صفراء(4).

4. أن تكون حديدة العرقين(5)، بادية الذنب(6).

5. أن تكون سفعاء(7) ورهاء(1).

6. أن تكون برشاء(2) أو عمشاء(3).

___________________________

(1) الجاحظ، عروي بن بحر، (ت 255). رسائل الجاحظ، 4، (تقيق عبد السلام هارون)، دار الجليل، بيروت،
1991، ج1، ص158.

(2) أنظر ابن قتيبة، عيون الأخبار، م، ص312.

(3) أنظر المصدر نفسه، ص312.

(4) أنظر ابن عبد ربه، العقد الفريد، ج، ص90.

(5) العرقوب وهو الورق الذي خلفه الكبيرة من مفصل القدم والساق، من ذوات الأربع، وهو من الإنسان فوّيق
العقب. أنظر ابن منظور، اللسان، مادة عرق.

(6) أنظر ابن عبد ربه، العقد الفريد، ج2، ص90. والذنوب نحمن السمن، وقسم الألْسِنة والسمك، أنظر ابن
منظور، اللسان، مادة ذناب.

(7) السهق السواد والشوب. أنظر ابن منظور، اللسان، مادة سفع.
أن تكون وقصاء(4) أو لثغاء(5). وقد شدد العرب على قبح هذه الصفة الجسمية في المرأة، لأنهم كانوا يكرهون أن تتجب المرأة ولداً أثغ، ذلك لأن هذا الولد يساو حالاً في نظرهم حتى من الولد الأعمى.(6)

8. أن تكون زرقاء العينين. فقد قال أحدهم:

أجحب إن قالوا بعينك زرقة

كذلك عتق الطير زرق عيونها(7)

وقد تفنن العرب في وصف المرأة القبيحة وفي وصف مشاعرهم تجاهها، ومن ذلك قول أحدهم في عجوز تزوجها:

لها جسم برغوث وساقاً بوعضة و وجه كوجه القرد بل هو أبيض
و تبرق عيناه إذا ما رأيتها و تعليس في وجه الضجع وتكلح(8)

(1) أنظر ابن عبد ربه، العقد الفريد، ج2، ص90؛ والورىاء الخرقاء بالعمل. أنظر ابن منظور، اللسان، مادة وره.
(2) في لونها نفس مختلفة. أنظر ابن منظور، اللسان، مادة برش.
(3) أنظر ابن عبد ربه، العقد الفريد، ج2، ص91. والعلماء ضعف رؤية العين؛ أنظر ابن منظور، اللسان، مادة

(4) قصيرة العنق كأنما ركز في جوف الصدر. أنظر ابن منظور، اللسان، مادة وقص.
(5) الألغش هو الذي لا يُبيين الكلام. أنظر ابن منظور، اللسان، مادة لثغ.
(6) أنظر ابن عبد ربه، العقد الفريد، ج2، ص91.
(7) أنظر ابن قتيبة، عيون الأخبار، م4، ص347.
(8) نذكر في غووس. أنظر ابن منظور، اللسان، مادة كلح.
و تفتح - لا كانت - فما لو رأيته
فما ضحك في الناس إلا ظنتها
أماهم كلبا يهـ و بـ
إذا عاين الشيطان صورة وجهها
توقف عنها حين يمسي ويصيح
و قد أعجبتها نفسها فتعبدت
(1)
(2)

و من ذلك أيضا قول أحدهم في وصف امرأة قبيحة بشر في إقروء:
أعوذ بالله من زلاء(3) فاحشة
و في الذيناب(4) في العروق تحديد
(7)
أعوذ بالله من ساق لها حنب(5)
(6)
و من ذلك أيضا أن أعرابية دخلت على حمدونة بنت الرشيد، فلمما خرجت سُلئت عنها
قالت: " وما حمدونة؟ والله لقد رأيتها وما رآيت طالما، كان بطنها قرية، وكان ثنيها دبة، وكان
إستها رقعة، وكان وجهها وجه ديك قد نفخ عفرته(8) يقاتل ديكا".
(9)
غير أن العرب - من ناحية أخرى - كانوا يرون في توافر بعض الصفات الجمالية ما يشفع

(1) من الملاحة وهو الحسن. انظر ابن منظور، اللسان، ف ص. 323.
(2) انظر ابن قتيبة، عيون الأخبار، م. 4، ص. 323. ولم تعتر هذه الآيات إلى قائل.
(3) الزلاء وهي الرسحة خفيفة الوركين. انظر ابن منظور، اللسان، مادة رسب.
(4) منبت الذنب. انظر ابن منظور، اللسان، ف ص.323.
(5) الحنب والتحبيب: أعطاج في الساقيين. انظر ابن منظور، اللسان، مادة حنب.
(6) الفين الحداد. انظر ابن منظور، اللسان، مادة قين.
(7) انظر ابن قتيبة، عيون الأخبار، م. 4، ص. 323. و السفود بشديد القاء حديدة ذات شعب معققة يشوي به اللحم.
انظر ابن منظور، اللسان، مادة سفود.
(8) عفرية الديك ريش عند. انظر ابن منظور، اللسان، مادة يفر.
(9) انظر ابن قتيبة، عيون الأخبار، م. 4، ص. 323.
المرأة إذا كانت مقتراة إلى صفات أخرى من صفات الجمال الأنموذجي، ومن ذلك ما قاله أبو الأسود

الدولي في جدارة حولاء عانته في شرائها زوجه وطلت تشاره في ذلك حتى قال:

يعينونها عندي ولاعب عندها

سواء أن في العينين بعض التأخر

فإن يك في العينين سوء فإنها

مهففة (1) الأعلى رداً (2) المؤخر (3)

و من ذلك أيضاً موقف الفرочных من مكّة ابنته من جاريته الزنجية التي هدد زوجه النّوار

بأنه سيستغني عنها بسبب هذه الفتاة إذا هي أصرت على الإنتقال منها وفي هذا يقول:

ونحن من زعمت أنها ظلمتك،

فإلا تعدوا أمها من نسانكم

و شيخا إذا شنت تأم دونها

فقال النّوار: إلا لا نشاء.

و قال الفر⍥د في أمته الزنجية تلك:

يَارِب خوَد (4) من بنات الزنج

تنقل تَنْدَوراً شديد الوهج

يُهدّد طبيبا بعد طول الهرج (1)

أحسن مثل القِدَح الخنجَ (5)

(1) ضامرة البطن. انظر ابن منظور، اللسان، مادة هفف.
(2) تكيّة الأورك. انظر ابن منظور، اللسان، مادة رداً.
(3) انظر الملحق، قصة 21.
(4) الفتاة الحسناء الخلق الشابة ما لم تصر نصفاً. انظر ابن منظور، اللسان، مادة خود.
(5) الخنجَ شجر تتخذ من خشبه الآثاري. انظر ابن منظور، اللسان، مادة خنجَ.
و روى عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه قال: "لا يمنعكم من تزوج امرأة قصيرة قصراً، فإن الطويلة تلد القصير، والقصيرة تلد الطويل". 

و مع أن العرب كانوا يفضلون العروبات على غيرهن، فإن رجلاً من أهل المدينة قال: 
لا تشتنن امرأة في أن تكون له أم من الروم أو سوداء عجماء مستودعات وللحساب آباء فإنما أمهات الناس أوعية و ربباً واضحة ليست بمنجبة و يبقى ضرورياً هذا الإشارة إلى ملاحظات عامة تتصل بشكل أو آخر بجسم المرأة، ومن ذلك ما يلي:

1. لم تكن العرب ترى بأساً في أن تنتقل المرأة إلى عدة أزواج، لأن منها عيني عن ذلك إلا إن يدركها الموت أو يذهب فيها الرجال.

ومن النساء اللائي تنقلن من زوج إلى آخر ضياعة بنت عامر بن قرف بن عامر بن صعصعة(5)، وابناتي الجدد(6)، وهند بنت عبيدة(7)، وأم إيشا(1) وعائكة بنت زيد بن عمرو بن نفل(2)، والفارعة أم الحجاج(3).

---

(1) انظر الملحق، قصة 37.
(2) انظر ابن أتيتة، عيون الأخبار، م 4، ص 292.
(3) انظر المصدر السابق، ص 300.
(4) انظر المصدر، رسائل الملاح، ج 1، ص 158.
(5) انظر الملحق، قصة 1. وكان الرسول (صلى الله عليه وسلم) قد خطبها إلى ابنتها سلامة بن هشام فقال حتى استمرارها فقيل للنبي إنها قد كبرت فأتت في النبي تستأنف، ارجع فزوجه فرجع. انظر السفري، الوافي بالوفيات، ج 16، ص 201.
(6) انظر الملحق، قصة 10.
(7) انظر الملحق، قصة 35.
وهنذ بنت النعمان(4). إلا أن الجاحظ يشير إلى أن الناس بدأت تكره ذلك للنساء وأخذوا يستسمجون
هن، ويعاقبون المرأة الحرة إذا كانت قد نكحت زوجاً واحداً ويلزمون من خطيبها العار ويلحقون به
اللوم ويعرونها. (5)

2. لم تكن النساء تكره الضرائر إلى درجة الحقد والضغينة، فقد قال هشام بن المغيرة لضباعة وهو
يقعها بالزواج به: " ونساني أكثر نساء رجل من فريش "(6).

" وكان للوليد بن عبد الملك أربع عقيلات: لبابة بنت عبد الله بن عباس، وفاطمة بنت يزيد بن
" معاوية، وزينب بنت سعيد بن العاص، وأم حشش بنت عبد الرحمن بن الحارث "(1)

وقال الحاجج: " عندي أربع نسوة: هند بنت المهلب، وهنذ بنت أسماة بن خارجة، وأم
الجلاس بنت عبد الرحمن بن جرير بن أسد، وأمه الله بنت عبد الرحمن بن جزير بن عبد الله

(1) انظر الملحق، قصة 39.

(2) انظر الملحق، قصة 2. كان قد تزوجها عبد الله بن أبي بكر واشتتهت محبته لها فشغلتته حتى عن صلاة الجمعة،
فقال له أبوه: طلقها فإنها قد فتنتك، فلم يزل أبوه حتى طلبتها، فلم يصر عنها، فرق له فراجها، ولم تزل عنده
حتى أصابها سهم في الطائف فماتت فرتنها، ثم تزوجها عمر بن الخطاب، ثم قتل عنها، فرتنها، ثم تزوجها بعد
ذلك الزبير فقتل عنها، فرتنها، ثم إن على بن أبي طالب خطبة بعد افتضاح العدة ولم تزوجها، وتزوجها الحسن
بن علي بن أبي طالب، وكان آخر من ذكر من أزواجها. انظر الصفدي، الواقي بالوفيات، ج، 16، ص 318.

(3) انظر الملحق، قصة 41. كانت الفارعة تحت الحارث بن كلده الثقي حكم العرب، فطلبتها، فتزوجها بعد
 يوسف عقيل الثقي، فولدت له الحاجج، وقيل إنها كانت امرأة المغيرة بن شعبة، وهو الذي طلقها. انظر
الصفدي، الواقي بالوفيات، ج11 ص 238.

(4) انظر الأشيشي، شهب الدين بن محمد. المستغرف من كل فن مستغرف، 2م، (تحقيق عبد الله أليس الطبع)،
دار القلم، بيروت، ص 79-81. وتعبر عن بحرقة ويفا حرة، دخلت على خالد بن الوليد لما افتتح الحيرة لكنها
رفضت أن تسلم وبيقت على نصرانيتها. انظر البكري، أبو عبد الله بن عبد العزيز الأندلسي، (ت 487).
معجم ما استوحى من أسماء البلاد والمذاهب، 2م، (تحقيق مصطفى السما)، عالم الكتب، بيروت، 1982، ج 2,
ص 604. ويبذل بالخبرة، وله هذه شاعرية، تزوجها روح بن زينب. انظر ابن منظور، اللسان، مادة هج.

(5) انظر الجاحظ، رسائل الجاحظ، ج، 1، ص 158.

(6) انظر الملحق، قصة 1.
البّجلي: (2)

و لعل من أطراف ما يروى في هذا المجال أن رجلاً طلق في ساعة واحدة خمس نسوة، خامستين امرأة جاره الذي أجاز الطلاق، الأمر الذي يستدل منه أن النساء لم يكن شديدة على ضرائهنّ بدليل أن كل واحدة من النساء الأربع حاولت الدفاع عن ضرائرها في مواجهة الزوج. (3)

3. كانت العرب تحب النسوة وهن في شبابهن. وقيل: "شباب المرأة من خمس عشرة سنة إلى ثلاثين سنة وفيها من الثلاثين إلى الأربعين مستمتع، وإذا اقتتحمت العقبة الأخرى حلت فيها متعة مستمتع". (5)

وقل بعض الأعراب في ذلك:

لا تطعن عجوزة إن دعوك لها
و إن حبوك على تزويجها الجذبة
فيها متعة لمستمتع

وإن أطيب نصفها الذي ذهبت 
و إن أطوك و قالوا إنها نصف 

4. كانت العرب تنظرون باهتمام إلى الطيب والنظافة، ومن ذلك ما سمعته أم إيلاس من والدتها عندما أهديت إلى عمرو بن حجر إذ قالت الولدة في نصيحتها لابنتها: أن تنقاد لموضع عين زوجها

__________________________

(1) انظر ابن عبد ربه، العقد الفريد، ج2، ص84.
(2) انظر المصدر نفسه، ص84.
(3) انظر الملحق، قص40.
(4) الحسيبال الرذال من كل شيء، وحظيت أضفقات بقيادة رذالاً، انظر ابن منظور، اللسان، مادة حسل.
(5) انظر ابن قتيبة، عيون الأخبار، م4، ص336.
(6) التنصيف بالتحرك المرأة بين الحداثة والمبناة أو التي بلغت خمساً وأربعين ونحوها، انظر ابن منظور، اللسان، مادة نصف.
(7) انظر ابن قتيبة، عيون الأخبار، م4، ص332.
وأنفه، فلا تقع عينه منها على قبيح ولا يشم منها إلا أطيب ريح.

وقال عامر بن الظرب (2) لزوجته أن تأمل ابنتها إلا تنزل مفازة إلا ومعها ماء؛ فإنها للأعلى جلاء ولا الأسفل نقاء. (3)

وقال الفرائقة الكلبي لابنتها نائلة حين جهزها إلى عثمان رضي الله عنه: "يا بنته إني تقديمك على نساء قريش، وهي أقدر على العطش منك فلا تغلبي على خصلتين: الكحل والماء، وتطهري حتى يكون ريحك ريح شنّ أصابه مطر". (4)

وقال أبو الأسود الدولي لابنته فيما قال لها عند زواجها: "وعليك بالزينية، وأزين الزينة الكحل. وعليك بالطيب وأطيب الطيب إسابغ الوضوء. (5)

5. على الرغم من العنانية التي أبداها العرب بكل عضو من أعضاء جسم المرأة، إلا إنهم عقوبة تماماً عن الإشارة إلى العورة الصريحة، واثروا ألا يذكروا اعتراضاً لخصوصية المرأة، ولعفة الرجل في أن معاً، فليس في القفص المنتقاة وصف أو تغزل أو تشبه بعورة المرأة صراحة. ويكفي من ذلك ما قالته عصام في وصف أم ياس، إذ قالت: "فأنا ما سوى ذلك - أي من أعضاء جسم أم ياس - فتركت أن أصبه. غير أنه أحسن ما وصفه واصف بنظمه أو نثر". (1) ومن الجدير بالذكر أن هذا الإعراض عن وصف العورة الصريحة كان في زمان لم يستهجن فيه الناس ذكر

(1) انظر ابن ربيه العقد الفريد، ص 86.
(2) العدويلي أسد فرسان يحيى جمان بن عبد العزى وفي الصحابة أحد حكام العرب. انظر ابن منظور، اللسان، مادة ظرب.
(3) انظر ابن قتيبة، عيون الأخبار، م 4، ص 363.
(4) انظر المصدر السابق، ص 363. والشئان шئانّ الـشئان من كل آنية صَبْعَة من جلد. انظر ابن منظور، اللسان، مادة شنن.
(5) انظر المصدر نفسه، ص 364.
العورة من غير توسع في وصفها، والإفاضة في أي صفة من صفاتها، وليس في القصص المنقحة.

شيء يشبه ما أورده ابن القيم على لسان أبي نواس في هذا الخصوص(2)، علماً أن ابن القيم متأخر عن التوحي، وبالتالي فإن أخباره لم تدخل ضمن البحث إلا استناداً.

6. يستفاد من القصص المنقحة أن العرب كانوا يكتفون بالأوصاف العامة للمرأة عندما يتعلق الأمر بزوجه أو مشوقة، فيكتفون على سبيل المثال بأن يقولوا:

لها خلق سهل وحسن ومنصب(3) وخلق سوي ما يُعاب ومنطق(4)

و شبيه بذلك أن خالد الحذاء أكثراً بوصف امرأة من بني أسد بأنها: "شابة جميلة". (5)

ومن ذلك وصف الحكم بن صخر الثقفي لجارية من بني عقيل بقائل: "فتم أر أحسن منهما وجهاً، ولا أظرف السنة، ولا أكثر علمًا وأدبا". (6) و كذلك وصف رجل خرج في طلب إله ميسعت، فرأى جارية، فوصفها قائلاً: "فإذا بفتاة أعيش نور وجبها نور بصري". (7) و نحو ذلك وصف شريح(8) لزينب بنت جرير التميمة بقوله: "إنها أحسن ما رأيت من الجواري". (9) واكتف

(1) أنظر الملحق، قصة 39.
(2) أنظر الجزية، ابن القيم، إخبار النساء، طبعة خاصة، 1819، دار المدي للثقافة والنشر، دمشق، 2001، ص 182.
(3) أنظر الملحق، قصة 2.
(4) أنظر الملحق، قصة 6.
(5) أنظر الملحق، قصة 15.
(6) أنظر الملحق، قصة 16.
(7) كان سليم الناس بالقضاء ذو فطنة وذكاء ومعرفة وعقل ورصاية، واستقصاء عمر بن الخطاب رضي الله عنه على الكوفة، تزوج امرأة من بني تميم تسمى زينب، فلم يصب عليها شيئاً فضريها ثم ندم، توفي سنة سبع وثمانين للهجرة وهو ابن مائة سنة. ابن خلكان، أبو الوليد شمس الدين أحمد بن محمد، (ت 681)، وفيات الأعيان، و أئمة أبناء
رجل أصاب جارية اشتراها بوصفها: "بأنها وضيعة". {2}

أما ما ورد على لسان عصام بشأن أم إياش من وصف مفصل، فإنما ورد على لسان امرأة ولم يرد على لسان رجل {3}، وكذلك قول ضباعة حين طافت بالبيت عريانة وهي تتشد:

فما بدا منه فلا ألحه

الناظر فيه فما يمله

أخثم {4} مثل القعب {5} بإظهار{1}

فهذا أيضاً ورد على لسان امرأة تصف نفسها، ولم يرد على لسان رجل يصف زوجة أو

معشوقته أو جارية له.

الزمان، 8م (تحقيق إحسان عباس)، دار الثقافة، بيروت، 1971. ج 2، ص 460.

(1) انظر الملحق، قصة 36.
(2) انظر الملحق، قصة 20.
(3) انظر الملحق، قصة 39.
(4) المرتفع الغليظ. انظر ابن منثور، اللسان، مادة ختم.
(5) الذي ضح الضح، الغليظ الجاف، وقيل قدح من حشيش مغفر. انظر ابن منثور، اللسان، مادة قعب.
الصفات الشخصية (المعنى والمسلكية)

لا تتضح صورة امرئ أياً كان حتى تتبين بجلاء صفاته المعبرة عن شخصيته الناطقة برنايه.

القيم والخلقي والوجداني، وهذا ينطبق بطبيعه الحال على المرأة كما ينطبق على الرجل.

بيد أن مسألة تبين الصفات مسألة شانكة يعتريها الكثير من المصاعب، فالصفة قد تكون

سطحية معبرة عن جوانب لا تنطق ببوطن النفس، كان يوصف إنسان بأنه غني أو فقير، أو بأنه

من طبقة عاملة، أو بأنه يحمل جنسية من الجنسيات، أو ينتمي إلى عرق من الأعراق، فهذه

(1) انظر الملحق، قصة 1.
الصفات هي صفات طائرة عارضة لا تشف عن داخل الإنسان أو باطنه(1).

و من ناحية أخرى فإن للك صعوبة في استخلاص الصفات من السلوك، لأن السلوك الواحد قد يدل على هفوة من الهموم أو على سوء تقدير أو على ردة فعل لموقف من المواقف، فإذا شهد طفل بركل كلبا فإن سلوكه هذا قد يدل على عدوانيته، وقد يدل على كرهه للكلاب نتيجة موقف من المواقف، وقد يدل على خوف الطفل من الكلب، وقد يدل على أن الطفل أخطأ في التقدير إذ كان يريد المداعة فلم يتحكم في نفسه(2).

وتذكرنا من الوقوع في التعميم الخاطئ، فإن تُخذل قصة واحدة من الصفات المنتقاة دليلاً على صورة المرأة عامة، إلا إذا تأكدت تلك الصفة في مجموعة من الصفات جملة، وعندئذ تنتسب الصفة المنتخلصة إلى النساء المذكورات في القصص، ومن ثم تعمم على صورة النساء.

و يقصد بالصفة هنا لغابات هذا البحث السجية أو النقيصة التي تتحكم في السلوك الذي يتجدد كلما طرأ موقف يجعله في هذه السجية أو النقيصة. والصفات بهذا المعنى هي التي يصفها علماء النفس الاجتماعي بأنها الصفات العميقة المتجذرة التي تقابل الصفات السطحية العارضة(1).

و تحسن الإشارة هنا إلى أنه لم توضع مسبقاً قائمة من الصفات ليجري البحث عنها لأشياء وجودها أو عدمه ضمن تركيبة صورة المرأة، وإنما درس كل سلوك منسوب إلى المرأة في كل قصة من الصفات المنتقاة، واستخلصت منه ومن سائر ما نسب إلى المرأة منصفات ضمن


(2) انظر المرجع نفسه، ص27.
المحددات المذكورة أعلاً.

لقد كشفت دراسة القصص المنقولة عن أربع صفات برزت واضحة في النساء، وكل
صفة من هذه الصفات تراوحت ما بين قمة ووسط وحضيض، وتوزعت النساء على طول هذا
المحور. وهذه الصفات هي الوفاء في القمة، والغدر في الحضيض، ثم الثبات في القمة، والثلون في
الحضيض، ثم الوضع في التعبير عن الموقف في القمة، والغموض في التعبير في الحضيض،
وأخيراً الحكمة في القمة والطيش والخرق في الحضيض.

أما عن الوفاء في مقابل الغدر، فقد بدا في قصة نائلة بنت الفراص ق، حين رفضت الزواج
من معاوية بن أبي سفيان بعد وفاة عثمان بن عفان رضي الله عنه، فهتمت فاحاً فابهر وقالت: "والله
لا فقد أحد مني مقعد عثمان أبداً". (2) وقريباً من ذلك قصة تلك المرأة التي ردت الخاطب من بني
اودم إذ خطبها خاطب بعد أن توفي عنها زوجها فقالت في حرقه ولونة:

كنا كغصنين في أصل غذاهما
فاجتهما خيرهما من جنب صاحبه
دهر يكر بترحات وفرحات
ألا يضاجع أثناً بعد موثانتي
ألا أحب وأعليف طول محياتي
و كنت عاهدته إن شاء زمن
قد كان عاهدني إن خانني زمن
حتى توفر قرباً من سناباتي
فلم نزل هكذا والوصف شميتنا
فاقيض عناك عمن ليس يرد عليه

(1) Cook، perceiving Others، p27.
(2) انظر الملحق، قصة 17.
(3) انظر الملحق، قصة 16.
و في مقابل وفاء هذه المرأة وإخلاصها لذكرى زوجها تقع ضياعا وعانكة وأم هشام اللاتي
تعهدن ألايتزوجن بعد الطلاق أو الزرمل، ولكنهم لم يلتزمن بما عاهدن به أزواجهن وتزوجت كل
واحدة منهن رجلا أو أكثر بعد أن طلقت من زوجها أو بعد أن توفي عنها.1 و تقع في حضيض

هذا المحرور تلك المرأة التي خانت زوجها المجاهد الغازي في سبيل الله في غيته.2

فصول المرأة إذاً هي ليست صورة المرأة الوفية المتقنة في وفاتها، ولا صورة المرأة
الغادرة المعينة في الغد، بل هي على الأغلب الأعم في المنازل الوسطية ما بين الوفاء والغدر،
ويبعد أن التفسير المنطقي لهذه الصورة أن الذين سبقوا التوحي كانوا يرسمون صورة لكل امرأة
على حدة، ولم تكن لديهم صورة موحدة تنظم جميع النساء قتاضهن في القمة أو في الحضيض،
وإذا صح ذلك – ويبعد أنه صحيح – فإن هؤلاء الكتاب لم يقعوا تحت ما يسميه علماء النفس
(بالأنماط الجامدة) المضروبة مسبقا لكل فئة من فئات الناس، ويحكمون بالتالي على الداخلين في

هذا النمط الجامد حكما مسيقا لا يبقى ولا يدبر.

و أما عن الثبات في مقابل التلتون، فلا بد من القول إن مزاج الإنسان قد يتغير من حين إلى
حين، لسبب أو لآخر مدرك أو مخفي، فهو مرة حزين مكتئب، وهو مرة مسرور منشرح، وهو مرة
متبمر متاخر، وهو مرة متسامح سهل لين، وهو مرة واقع مطمئن، وهو مرة أخرى متشابك قلق.
فإذا كان التبديل قد أحدثه سبب معقول فالامر مقبول، ولا ينتم عن صفة ثابتة متأصلة في بطن
الإنسان، أما إذا كان لسبب وراءه فهو يدل على عدم ثبات المزاج على حال، ولا سيما إذا كان ذلك
سريعاً كثير التلتون، وإذا نتج عن التقلب في المزاج تقلب في علاقة الإنسان بالناس وبالأشياء من

(1) انظر الملحق، القصص 26، 2، على التوالي.
(2) انظر الملحق، قصة 25.
حوله كان ينبغي التوقف عنه، لأنه صفة تشف عن داخل إنساني لا يدعو المراقب إلى الإطمئنان،
ولعل ذلك هو الذي دفع الشعراء الصفائل إلى أن يشبهوا المرأة في هذه الحالة بالغول لما قد وقّر
في أذهانهم واعتقادهم من لزوم صفة التلون والتبلد فيها في أن معاً. (1) ومع ذلك فإن في هذه
القصص أنموذجين مباينين للمرأة فسمى زوج صخر (2) أنموذج للمرأة التي أبدت ثباتاً في
المشاعر، وأم جعفر (3) مالكة الجارية سكر أنموذج مضاد للمرأة الملونة.
والمرأة تبدو ثباتاً في المشاعر والمزاج حين تكون أماً، ولكنها قد لا تكون كذلك حين تكون
زوجاً أو عاشقةً أو معشوقةً، وتعد قصة أم صخر في مقابل زوجه صخر ليست مثالاً دالاً على ذلك،
وعبر صخر عن هذا التباين بين أما والمروج في أبياتhim التي يقول فيها:
أرى أم صخر لا تملعياني
و ملتك مضحجي ومكاني
ولا كنت أخشي أن تكون جنازة
فأرى أمرئ ساوى بام حليلة
كما هو (1)
و يبدو من الأمثلة التي وقع عليها هؤلاء الكتّاب أنهم كانوا ميلاً إلى الإكثار من القصص
والأشعار التي تظهر النساء ميالات إلى التلون، ومن الأمثلة التي استحضروا في هذا السياق قول
أحد الشعراء وقد أساء الظن بالمرأة إلى أقصى حد:
تمتع بها ما ساوفتك ولا تكبر
عليك شجاً يذنيك حين تبين

(1) أنظر كفافي، منذر ذيب كفافي، (1998). صورة المرأة في شعر الصفائل و السوابع حتى نهاية العصر
الأموي، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة اليرموك، إربد، الأردن، ص 152.
(2) أنظر الملحق، قصة 27.
(3) أنظر الملحق، قصة 5. وأم جعفر هي زوجة الشيش زيدية بنت جعفر بن المنصور، وكان في قصرها من
الخدم والحمض ومانة جارية كلهن يحفظن القرآن؛ أنظر الصفدي، الواقف بالوفيات، ج14، ص 118.
وإنه هـي أعطتـك الليان فإنـها
فليس لمخضوب البنان بـمن
وإنه حلفت لا ينقضي النـاء عندها
ومن ذلك أيضاً قول علقمة بن عبـدة:
خبير بأدواء النساء طبيـب
فإن تسألوني في النـساء فإنـى
إذا شاب رأس المرء أو قـل مالـه
يردن شراء المال حيث علمـه
ونقل ابن قتيبة عن ابن المفعق أنه قال في سياسة النساء: "إياك ومشاورة النساء، فإن رأيتـن
إلى أفن، وعزمهن إلى وهم".(1)

وخلاصة القول إن النساء لا يوصفهن وصفاً واحداً ضمن إطار جامد ضروري مسبقاً، ولا
يوصفهن بالثلون على وجه العموم، بل إن هنالك تباينة ما بين أسباب الثلون وبين الثلون حين يغدو
سمة عامة في النساء جملة.

أما التعبير عن الرأي - وهو قمة الصفـة الثالثة - فسلوك دال على صفات عميقة مجنحة
في باطن الإنسان وفي صميم وجدته، فإذا كان من سماته الوضوح في التعبير فذلك دليل على
إستمرار وأمن وسكونة. وأما إذا كان من سماته الغموض والاستنار وراء العبارات المضللة

---
(1) انظر الملحق، قصة 27.
(2) انظر ابن قتيبة، عيون الأخبار، م4، ص399.
(3) انظر المصدر نفسه، ص334.
والسلوك الباهت، فهذا دليل على عدم الصحة داخل الكيان الإنساني، ولا يتبدآن إلى ذهن أحد أن الوضع مرتبط بالثبات الذي مر ذكره، ولا يظن أحد أن الغموض مرتبط بالثبات، فهذا محوران مختلفان تمام الاختلاف. أما المحور المتصل بالثبات والثبات فأمر مزاجي عاطفي، وأما المحور المتصل بالوضوح والغموض في التعبير فمحور يغلب عليه طابع التماثل ما بين العقل والعاطفة وتوظيف التجربة لخدمة المواقف المستقبلية.

ويكون التعبير منصباً على المشاعر الخاصة بالإنسان، ويتبع أيضًا منصباً على ما يريد أو ما لا يريد، وربما انصب أيضاً على أسابيق القبول أو الرفض، وينصبه كذلك على المواقف من الأشياء والناس، والتعبير قد يكون بالقول أو بالسلوك الدال على معنى واضح لا حتمال التأويل، ويكون بالإيماء أو بما يعرف بلغة الجسم، أي كيفية تعبير الوجه وسائر الجوارح كما يريد الإنسان.

و ليس بعسير على من يتفحص القصص المنتقة أن يتعرف من غير عنا على نساء كن مثلًا بالغ الدلالة على الوضوح في التعبير، بل إن النساء في الأغلب الأعم كن قادرات على التعبير عن أنفسهن وتحديد مواقفهن بشكل لا يتحمل الأخلاص ولا الرد. فالنساء على سبيل المثال - بينت بوضوح أنها ما كانت لتقبل الزواج من رجل لا يستطيع الوفاء بحاجات النساء من أزواجهن، حتى ولو كان الخاطب بطلاً كدريد بن الصمة.(2) و كانت غاية في وضوح التعبير عن نفسها تلك الجارية التي سكت عيًا عن أن يجيبها الحكم بن صخر الثقفي، فقد عرض عليها الحكم أن يترجها

---

1. انظر المصدر نفسه، ص 365.
2. انظر الملحق، قصيدة 18. ودريد هذا هو من شعراء العرب وشجعانها وذوي أسنانها عاش نحو مائتي سنة حتى سقط حاجباه على عينيه. انظر الصفدي، الواقفي بالوفيات ج 14، ص 9.
بعد أن ثبت له أنه لم يدرك أختها، وذلك حين وصفت هذه المرأة نفسها بأنها نظيرة أختها في حسبها وجمالها (1).

وقد كانت النساء في ذلك العصر بليغات في تعبيرهن عن حاجتهن شعرًا أو نثرًا. فالشعر الذي قالت المرأة في نصر بن الحجاج (2) مثل واضح يعبر صراحة عن مشاعرها ورغباتها. ومثل ذلك يقال عن أم آبان التي ردت من ردت من الصحابة بعبارات واضحة لا تحتمل اللفت (3). وكذلك يقال عن الخنساء التي ردت دريد بن الصما (4). وكذلك كان تعبير الفتاة الكارهة للزواج من الشيخ واضحًا في دلالته واصفاً لمشاعرها وموضحاً لوقتها (5). ولم تكن بعض النساء تتخرج من الخوض في شؤون حساسة كأمر المقترض الزوجية.

وقد يقال إن مناوره ضياعة وخجل عاتكة هما أيضاً شكلان من أشكال التعبير الصريح عن الموقعف، إلا أن ذلك لا يستقيم؛ إذ إنهما لم تقولا ما كان يجب أن يقال من أجل وضوح التعبير ووصول مؤداه، وهما على كل حال المراوان الوحيدتان اللتان لم تعبرا بوضوح كما كان

(1) انظر الملحق، قصية 15.
(2) أقصاء عمر بن الخطاب من المدينة، ونزل على مجاعة بن مسعود، فشعاق امرأته شملية، وضني من حبه، فبلغ مجاعها، فعاده، فوجدته بالياً لما به فقال له شملية: فومي إليه فمرضي، ففعلت وضعته على صدرها، فعادت قواه، فلم فارقه عام إلى مرضه، ولم يزل يتردد فيه حتى مات. فقال أهل البصرة أنف من المتمنئ فذهبت مثلاً.
(3) وقيل إنه بقي إلى أن مات عمر رضي الله عنه وركب راحله وأتى المدينة. انظر الشهابي، الوافي بالوفيات، ج27، ص 38.
(4) انظر الملحق، قصية 12.
(5) انظر الملحق، قصية 11.
(6) انظر الملحق، قصية 18.
يبنغي أن نقولاً دفعاً للشبهة.

وقد يقال أيضاً إن سلوك المرأة من بني أسد التي أكلت وشربت وجلس على جلد أسد على مرأى ممن تقدم إليها يخطب(2) هو تعبير نتج عنه نفور الخاطب، وعلى ذلك فهو يعد ضعفاً في التعبير لا قوة فيه، إلا أن الأرجح أن المرأة أرادت أن تكون واضحة مع هذا الرجل فيما لو أقدم على خفته حتى لا تختل حياتهما لجهة حقيقة مخطوته، وإذا فهم من هذا السلك أنه كان تنفيراً للخاطب فقد أفلحت المرأة في ذلك دون أن تقول شيئاً يجرح شعوره.

ويستحق وصف تلك المرأة لبعض الصحابة عناية خاصة لأنها تحدثت هنا عن شخصيات عامة لacula لها فيها زواج أو خطبة أو أي علاقة مباشرة، وهي من ناحية أخرى امرأة لم يرد لها اسم حتى يقال إنها أكتسبت جرأتها أو فصاحتها من مكانة أهلها أو من مكانتها(3)، وتذكر هذه القصة بالمرأة الأرعبية التي وصفت حمدونة بنت الرشيد باسلوب قد يثير حفيظة ذوي السلطان إذ قالت في وصفها: " وما حمدونة ؟ والله لقد رأيتها وما رآيت طائلاً. كان بطنها قربة، وكان ثبيها دبة، وكان إستها رقة، وكان وجهها وجه ديك نفس عفريته يقاتل ديكأً".

و لرغم كان لقائل أن يقول إن هذه الأعرابية كانت حسنة التعبير، ولكن حدثها كان قطعاً مفتراً إلى الحكمة، أنه غير منسجم مع المنظومة القليمية الخلفية السائدة في البيئة التي وقعت فيها الحادثة، وإذا صح أن هذه الأعرابية كانت طائشة أو مفترة إلى الحكمة، فإن سائر النساء الوارد ذكرهن في القصص المنتفقة قد اتصن بالحكمة في معالجة المواقف التي مررن بها، الأمر الذي

(1) انظر الملحق، القصتين 1 و 2 على التوالي.
(2) انظر الملحق، قصة 6.
(3) انظر الملحق، قصة 14.
يجعل هذه الصفة الرابعة من صفات النساء صفة شائعة بينهنّ. وتعدّ قصة الملاءة بنت زرارة بن أوفى الحرشي تثالاً واضحاً على حنكة المرأة في مواجهة خاطب يقدم نفسه على أنه حفيد من أحفاد خال رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقد ضربت لهذا الخاطب تثال أسمته وجهله يخرج من بيتها مذهولاً من قوة حجتها(2). وأما الوافدات على معاوية فقد تحدثت بحكمة ورصانة في مواجهة رأس الدولة آنذاك، الأمر الذي جعله يضعف أمام كل واحدة منهنّ حتى في معرض تفضيل علي بن أبي طالب عليه، والإشادة بمنافقه أمامه.

سلوك المرأة إذاً كما هو مثبت في القصص المشتركة يوحي بأن النساء يختلفن في مدى وفائهنّ وثباتهنّ وقدرتهنّ على التعبير وحكمتهم في التصرف، وهذا يعني أن الجاحظ وابن قتيبة وابن عبد ربه لم يكونوا متاثرين نمط واحد يحكمون فيه جميع النساء كما هو المقبول العام لدى من يطلقون أحكامهم من منظور التجربة الضيقة، ومع أن الرجال ليسوا محور هذا البحث، إلا أنه لا يظهر أن النساء مختلفن عن الرجال في الانتصاف بهذه الصفة أو تلك، فليس هنالك وفاء ذكري وآخر أنثوي، أو حكمة للرجال وأخرى للنساء، فالبعد الخاص بصورة المرأة المتصل بصفاتها يقدم للباحث نساء مستقلات بأشخاصهنّ لنساء مبتكرين ضمن نمط اجتماعي موحد. وربما يتضاعف متسائل عن غياب صفات غلب على الناس الإحساس بوجودها عند المرأة كالرقة والرفق والانقيد للعاطفة دون العقل، وله أن يستغرب من أن هذا البحث لا يتعلق إلى شيء من ذلك، ولكنه لو عاد إلى القصص المنتقلة لعصر عليه أن يلحق بالنساء مثل هذه الصفات أو نقائضها إلا أن يتعرض النص إلى تأويل وإعادة تفسير بما يخدم تأكيده حكم

(1) انظر ابن قتيبة، عيون الأخبار، م4، ص 328.
(2) انظر الملحق، قصة 36.
مسبق، إن هذا البحث لم يضع قائمة من الصفات افتراض وجودها أو عدمه مسبقاً، ولكنه عمداً إلى تمحيص النصوص؛ كي يكشف السلوك عن الصفة التي تستخلص منه، ولم يتوصل هذا البحث-على أي حال- إلى أن النساء جميعاً خجولات إلى حد الانطواء، أو جريئات إلى حد العذوانة، ولم يجد النساء وفيات في قمة الوفاء، ولا وجدن غادرات ينحدرن إلى حضيض الخيانة، بل كل واحدة منهن مخلوقة له ما يميزه وما يمس بقوته بحيث تكون شخصاً عادياً ضمن ما هو مألوف. ويبدو أن هنالك صفات أو أخلاقيات لم تكن تعني ذلك العصر كثيراً لأنها كما يبدو كانت من المسلمات التي لا تحتمل الأخذ والرد، فلم يرد في القصص المنتقاة ما يشير إلى طاعة المرأة واستسلامها لزوجها، ولم يرد عنها ما يشكل صياناً ولا عدواً على الرجل، ويدرك في هذا السياق أن الزوج طلب إلى زوجته عائدة ألا تخرج إلى المسجد بليل فقالت له: "لا أزال أخرج أو تمنعني" وكان يكره أن يمنعها لما قال النبي صلى الله عليه وسلم: "لا تمنعوا إماء الله مساجد الله" (1)، ويستدل من ذلك أنها ما كانت لتعصي أمره إذا أمر، وما كانت لتعتبر أمره إذا أذالها أو انقضوا من شأنها. وبلغ الأمر بالفاضي شريحة أنه قال بشأن زوجه زينب بنت جبرير الشميمة: "فمكثت معي عشرين سنة لم أعتب عليها في شيء إلا مرة واحدة، وكنت لها طالما". وشهد في ختنتها فقال: "أما والله لقد أدبت فأحسننت الأدب، ورضيت فأحسننت الرياضة" (2). وهذا دليل على أن المرأة وأمها كانتا تعتبران الطاعة أمرًا مفروغاً منه.

_____________________
(1) نظر الملحق، قصة 2.
(2) نظر الملحق، قصة 36.
وفي مقابل ذلك ليس في هذه القصص جميعاً ما يشير إلى تغول امرأة على زوجها ولا تغول زوج على امرأته، وإن كانت كل واحدة منهنّ تتمتع بكيناتها وقدرتها على الإفصاح عن مشاعرها في حدود شخصيتها. وينسب الكثيرون إلى المرأة أنها شديدة الغيرة، بيد أن القصص المنقحة تبرز الغيرة على أنها سلوك يشترك فيه الرجل والمرأة، ولكن الغيرة لا تبدو على كل حال ظاهرة شديدة التقشي بين الرجال والنساء، فالقصص التي تشير إلى غيرة المرأة قليلة لا تكاد تعطي مدلولاً.

وربما قفز إلى ذهن البعض قصة امرأة العزير وصوبيحاتها إذ راودن يوسف عن نفسه، وأن العزير أطلق عليهن القول بأن واجه امرأته قاتلاً: "إنه من كيديك إن كيدك عظيم"(2)، وإن هؤلاء النسوة اعترفن آخر الأمر بأنهنّ ما علمن على يوسف من سوء، ومن ثم أقرت امرأة العزير بأنها هي التي راودت يوسف عن نفسه. ربما تقفز هذه القصة إلى الأذهان فتوحي بأن المرأة ميالة إلى المراودة شديدة القبول لها.

وأما من شك في أن القصص المنقحة تشير إلى شيء من ذلك، فعلى سبيل المثال قصة الرجل الذي كان يتعهد أهل أخيه عند غيابه، فهويت امرأة الغائب أخا زوجها، فراودته عن نفسه فأامتنه، فلما قدم أخوه الغائب سألها عن حالها فقالت: "ما حال امرأة تراود في كل حين، فقال الأخ العادل: "أخي وابن أمي فابن فأمين لا أفضحه، ولكن الله علي ألا أكلمه أبداً"(3).

---

(1) انظر الملحق، القصص 21 و37.
(2) سورة يوسف، آية 28.
(3) انظر الملحق، قصة 29.
ومن ذلك أيضاً ما كان من أمر سلامة المغنية(1) بملكة التي وقعت موقعاً عظيماً في نفس القسم(2) حتى إذا اختلفت به قالت له: "أنا وأنت أيها، فقال: وأنا وأنت أيها، فقالت: وأنا أحب أن أعجب فيكم على ملك، قال وأننا أحب أن أعجب في صدره. فأطرقت ثم قال: وإن سمعت الله يقول: (الأختة يومئذ بعضهم بعضه لا آخر إلا المتينين) (3) وأننا أحب أن تكون الخلة بيني وبينك عادلة يوم القيامة".

ويتبين من قصة يوسف عليه السلام ومن هاتين القصصتين أن المرأة فشلت في مراوة الرجل عن نفسه، وأن الرجل يذكر ربه في هذه المواقف كما هو مذكور في هذه القصص. وفي مقابل ذلك دخل نصر بن حجاج فاتح ماجاها بن مسعود المسري(5) إلى البصرة في عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه- وكانت عند مجأعة في المجلس حينها أمراه شميلة، وكان ماجأعة أمياً، وكانت شميلة كاتبة قارية، فكتب نصر على الأرض (أحبب حباً لو كان فوقي لأظلك، ولو كان تحتك لأقلف) فكتب ردًا على ذلك (وأنا والله كذلك). (6)

(1) من قبين أهل المدينة وكانت حازمة في الشعر واللغة وساحة مشددة الهدوء، وقيل مخففة. انظر الصدفي، الوافي بالوفيات، ج.5 ص.207.
(2) هو عبد الرحمن بن عبد الله، كان فقيهاً عابداً من عياض مكة فسمى القس لعبادة، وشغف بسلامة الحالية حتى اشتهر بها إذ تعرف بسلامة القس. انظر الصدفي، الوافي بالوفيات، ج.8 ص.97.
(3) سورة الزخرف، آية 67.
(4) انظر الملحق، قصة 34.
(5) من أصحاب رسول الله، قال يوم الجمل سنة ست وتسعين وهو من المهاجرين. ابن حيان الأنصاري، أبو محمد عبد الله بن محمد بن جعفر، (ت369). طبقات المحدثين بأصبهان، ط.2 ص.4. (تحقيق عبد الجفور البلوشي)، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1992، ج.1 ص.266.
(6) انظر الملحق، قصة 13.
ومن ذلك قول بعضهم:

فدخلت مختفياً أصرّ ببيتها
لأنهم الحي إن لمع تخرج
فعلماً أن يميتها لم تخرج
شرب النزيف(1) برد ماء الحشرج(2)
بمخصب الأطراف غير مشنوج(3).

ومن ذلك أيضاً أن رجلاً تعشّق جارية، فدخل عليها وهي نائمة بين إخوتها فأيقظها فقالت:

انصرف وإلا أبقت إخوتي فقتارك، واستمرت القصة حتى تمكن من أن يكشف شفتيها برغبتها على أن ينصرحت حتى لا يعود، ولكنها وقعت في حبه، ورتب لقاء بينهما خارج بيوت الحي ليلًاً(1).

وتنقل هذه القصص على أن الرجل تمكن بمرادته من الحصول على استجابة من المرأة، وليس من دليل على أن مراودة الرجال انصبت على أكثر من تبادل الحب والقبل، في حين كانت مراودة امرأة العزيز ومرادة المرأة لأخي زوجها منسوبة على المعاشرة، وهنا يجذر التنويه بما كان رائجًا بين الناس بحق المسامرة بين الرجال والنساء، والتعبير عن الهوى، والإقدام على تبادل القبل، فقد قال الجاحظ: "وقد استثنى الله سببانه و تعالى اللهم فقال: (الذين يجتبون كبار الإثم.

(1) النزيف هو السمحوم الذي ينع من السماء. انظر ابن منظور، اليسان، مادة نزف.
(2) الخشرَحُ النَّفَرِة في الجبل يجتمع فيها الماء فيصفر أو كوز صغير لطيف. انظر ابن منظور، اليسان، مادة خشرج.
(3) انظر الملفق، قصة 23. والشتّج تقبّض الجلد والأصابع وغيرها ومنشئ منقبض. انظر ابن منظور، اليسان، مادة شنج.
والواحش إلا اللمم إن ربك واسع المغفرة(2). قال: عبد الله بن مسعود عندما سئل عن تأويل هذه الآية: "إذا دنا الرجل من المرأة فإن تقدم ففاحشة وإن تأخر فلمم" وقال غيره من الصحابة في تفسير اللمم: "القبلة واللمم" وقال آخرون: "الإثيان فيما دون الفرج"(3).

و"مع ذلك يلقى أحدكم عشيقته، فيرشفها، ويعاقبها من دون الثواب، وبمنه النكرم ويجزه الورع عن وطنها وإن أمكنته، وكانوا يقتضرون على الحديث والقبل واللمم"(4).

ونقل ابن القيم عن ابن هرمة(5) قوله:

ولرب لـ ليلة قد نلتـها وحرامها بحلالها مدفوع
قال: وكان الشرط بين المناشق ومعضوقته إذا خلوا أن يكون له نصفها الأعلى من صرتها إلى قمة رأسها يصنع فيه ما يشاء، وليعلوها من صرتها إلى أخمصها(6). وقال الأصمعي: "قلت لأعرابية من بني عذرة أنتم أكثر الناس عشقا، فإما تعودون العشق فيكم؟ قالت: الغمزة والقبلة والضمة ثم قالت:

ما الحب إلا قبلة
غمزة كف وعضد

إن نكح الحب فسد(7)

---

(1) انظر الملحق، قصة 33.
(2) سورة النجم، آية 32.
(3) انظر الجاحظ، رسائل الجاحظ، ج 1، ص 164.
(4) انظر ابن القيم، أخبار النساء، ص 52.
(5) إبراهيم الفهري المعروف بابن هرمة الشاعر نديم المنصور، كان شيخ الشعراء في زمانه ومقدم في شعراء المحدثين وقدمه بعضهم على بشار وأبي نواس توفي بعد المائة والخمسين تقريباً. انظر الصفدي، الرافي بالوفيات ج 6، ص 40.
(6) انظر ابن القيم، أخبار النساء، ص 79-81.
(7) انظر المصدر السابق، ص 79-81.
ويستفاد من هذه الشواهد أن العرب كانت مجمعة على أن القبلة فما دونها كانت مما لا يعيب المرأة حتى ولو كانت ذات بعل، فإذا صح هذا لم يكن غريباً أن تستجيب المرأة لمراودة من يتعشقها فتمكنها مما كان مباحاً. وليس من شأن هذا البحث أن ينطلق إلى الحكم الشرعي والتما، في قضايا أصول الفكر استباقاً للحكم الشرعي، فهو يكتفي بما كان رائجاً بين قطاعات مجتمعية مختلفة من بينها الأعراف، فالمرأة إذا ما استجابت للمراودة في هذه الحدود لا تقدم على محظور إجتماعي، الأمر الذي يعني أن استجابتها للمراودة لم تكن تدل على سوء خلق أو ضعف في الشخصية أو خيانة للزوج والوالد والأخوة.

خلاصة القول إن النساء كما صورهن الأدباء الذين سبقوا التوخي كن يعشن حياة موافقة لقيم المجتمع السائدة، وكل منهن يتصف وفق تركيبتها الشخصية من الناحية التربوية والسيكولوجية، من غير أن يشكلن قطاعاً مجتمعاً ذا أخلاقيات أو سمات مختلفة عن أخلاق الرجال وسماتهم.

مكانتة المرأة

من الأبعاد المميزة لصورة أي إنسان مكانته في مجتمعه وفي أسرته وبين الذين يتعامل معهم، وتتمثل المكانة في مدى المناظرة أو المساواة بينه وبين الأفراد، وتمتعه بحرية الإرادة من
حيث التصرف في مصالحه وفي ممتلكاته وفي سائر حقوقه، وكثرًا ما يعتبر الإنسان عن حرية إرادته بإبرام العقود أو إقالتها أو فسخها إضافة إلى الدفاع عن حقوقه والمطالبة بها. ومن أبرز مقومات مكانة الإنسان أن يكون قادرًا- إذا شاء- على التعامل مع القيم القيمة الاجتماعية من غير تهريب، وقدره على أن يساهم- إذا شاء- في تشكيل الشؤون العامة، وإبداء رأيه في مختلف المسائل التي تتصل بقضاعته. غير أن كل ذلك مرتبط في الوقت نفسه بضوابط اجتماعية لا يمكن للمرء الفكاك منها إلا أن يعرض نفسه رجلاً كان أو امرأة إلى الردع أو العقاب الذي يترتب عليه مجتمعه في مواجهة الخروج على المألوف.

ولكأن يقابل، بعد ذلك أن يقول إن المجتمع الفلالي يضيق أو يوضع على أفراده أو يرفع سقف الحريات- كما يقال في هذا الزمان- أو يخفضه، يبدو أن هذا البحث ليس معناه بحث الحريات العامة، بل هو معني بحث مكانة المرأة مقارنة بالضرورة بمكانة الرجل الذي ينظرها كأن يقارن ما بين الأبوة والأخت والزوج والزوجة والأب والأم والعبد والأمة إلى آخر ما هنالك من تصنيفات. وسوف يكون لزاماً في هذا المقطع من البحث أن تختلف الآليات في الاستشراق قبل الأ، مما يتبع في استقصاء صورة المرأة من حيث الجسم ومن حيث الصفات، ذلك أن الرضا وعدم إثارة النزاع وما شابه هذه الأنماط من السلوكيات ولو كانت صامتة إلا أنها مبنية - ولا شك- بعد أو بآخر من أبعاد مكانة المرأة. فإذا لم يكن المسرح الاجتماعي مشغولاً بمسألة تعدد الزوجات أو بمسألة الطلاق أو بمسألة العنف ضد المرأة؛ فهذا يعني بالضرورة أن هذه المسائل لم تكن تشغل الناس لأنها لا تشتك في نظرهم مشكلة تتطلب حلاً، أو لأنها عدت من وقائع الحياة العادية التي ارتضاها الناس وعدوها أمرًا واقعًا لا يتغير عندهم أي درجة من درجات الضيق أو الغضب أو الإحساس.
الدبلومية.

ومن ناحية أخرى كان لا بد من البحث عن مقومات دالة على مكانة المرأة، واستقصاء
كيفية تعبير القصص المنقولة عنها ضمن مفاهيم المجتمع السائدة آنذاك على المستوى الخلاقي والديني
والاجتماعي.

وهل كلام الحقوق السياسية التي يطالب بها الناس في هذا الزمان للمرأة هي الدليل في نظر
التربة أن الشؤون السياسية كانت في ذلك الزمن قائمة ولا شك، لكن عدد الميسرين أو نسبتهم في
المجتمع كان من القلة بمكان. وهذا البحث معني بتبين مدى ما كان متاحا للمرأة من المشاركة في
الشؤون السياسية إذا رغبت في ذلك.

وإذا عقد هذا البحث أي مقارنة متعلقة بهذا الموضوع فلن تكون الغاية منها تشكيل أحكام
تقديمية على ذلك المجتمع، بل ستكون الغاية توضيح معالم الصورة ذلك لأنه بضعا تتبين الأشياء.

في ضوء هذه الضوابط سوف يتناول هذا البحث في الصفحات التالية معالم مكانة المرأة في
البيئة المحيطة بالأدباء الذين سبقوا التوخي، متمثلة في التعليم والأهلية القانونية والمكانة
الاجتماعية.

التعليم:

أ. القراءة والكتابة:
إن أهم مظاهر التعليم أن يكون المرء قادراً على القراءة والكتابة، ويتبين من استعراض
القصص المنتقاة أن عدداً لا يضاهاه من النساء قد روي عنهن أنهن كتبن أو قرنن، ولم يرد في
مقابل ذلك أي دليل على أن سائر النساء المذكورات بالقصص كن أميّات لا يقرنن ولا يكتبن، فإذا
أرسلت إحداهن رسالة شفوية كما فعلت سعدي مطالبة الوليد بن عبد الملك فإن ذلك لا يعني أنها لم
تكن تجيد القراءة والكتابة(1)، ومع هذا لم تعتبر هي وسائر من ورد عنهن مثل هذا أنهن كن يقينًا
أميّات أو قارئات كتابات، أما من ثبت أنها كتبن أو قرنن باللفظ الصريح فقد اعتبرت يقينًا كاتبة
قارئة(2).

ومن تدقيق هذه القصص تتبنّه حقائق لافتة للأمثال، فالجارية سُلّك كانت تتقن الكتابة
كمالكتها أم جعفر(3). وشملة كانت متمكنة من القراءة والكتابة، في حين أن زوجها ماجحاً، كان
أمياً
رغم أنه كان والي البصرة(4).

وتستوخف المرء كثيراً ما فعلته ابنة ملك السواء التي كتبن رسالتين مطولتين إلى أردشير
كلاً منهما على نشابة، وتلتقي منه جواباً على رسالتها الأولى على نشابة فقرأتها(5).

وهو ذلك دليل على تمكنها من القراءة والكتابة بكفاءة عالية، وربما كتبن إليه بالفارسية الأمر
الذي يزيد من قدرتها على استخدام هذه المهارة، ولا يقال طبعاً إن ذلك مردود إلى كونها ابنة ملك,

____________________________
(1) انظر الملحق، قصة 42.
(2) انظر على سبيل المثال الملحق، القصص 5، 13، 28، 38.
(3) انظر الملحق، قصة 5.
(4) انظر الملحق، قصة 13.
(5) انظر الملحق، قصة 28.
ب - الأدب والشعر والخطابة:

من تفحص المواقف التي قالت المرأة فيها شعرًا مصنوعًا أو مثيرًا يتبين أن ثمة موقف في بعض القصص قالت المرأة فيها شعرًا، وذلك ما فعلته كل من صبيعة والخبارية التي حاولت إقناع الحكم بن صخر الفكر بتزوجها بعد أن أفاده الزوج من أختها، والمراة التي بقيت على وفائها لزوجها بعد موته(2). ويفهم من ذلك أن النساء في بعض المواقف كن هن المتفقات أدباً وحفظاً. ومع أن الخنساء في قصة خُلبتها من قبيل دريد بن الصمت لم تقل شعرًا(3) إلا أنه من المعروف أنها شاعرة متميزة بين من قرضا الشعر العربي رجالًا ونساء.

وبالواضح أن ما قالته النساء من الشعر ضمن القصص المتقدمة لم يكن أقل جودة من الشعر المنسب إلى الرجال، فما قالته المرأة التي سلبتها زوجها بجارية كان شعراً بليغاً حقاً، فقد هز الزوج، فعاد إليها من فوره شديد التأثر مستفسراً(1).

وذلك كان وقع القصائد والخطب التي تفيضت بها النساء اللواتي وفدت على معاوية عظيماً.

---

(1) انظر الملحق، القصص 1،2،16،20،30،من القصة 43-50.
(2) انظر الملحق، القصص 1،15،16 على التوالي.
(3) انظر الملحق، قصة 18.
في نفسه حتى إنه أبدى هو وجلساؤه انفعالاً شديداً من استنكار ما نسب إلى هؤلاء النسوة حتى بعد
أن استقر الأمر له، وتمكن من السيطرة على أرمى الأمور.

ولو كان ضعيفاً ما قالته أيده لذهب أدراج الرياح وانطمس من الذاكرة، ولكن النسيان كانوا
ينفسون المنظوم والمنثور من أقوال هؤلاء النسوة حتى بعد سنين من سماعهم لما قدن، وقد أقر
معاوية في مجالسه المختلفة مع الوافدين باقافه وتأثره بما قلّن في غيابه وحسرته.

ج - حفظ القرآن:

حفظت النسما القرآن الكريم كما حفظه الرجال، وحضرن مقداراً صالحاً من المعارف الدينية
في ظل المجتمع الإسلامي الذي اندمر من ضوء الإسلام حتى بداية العصر العباسي، ومع أن
القصص المنتقة لا تشير إلى وجود قليبات أو متخصصات في رواية الحديث أو متمكنات من سائر
العلوم المتصلة بأصول الدين وعلم الكلام وأصول الفقه، إلا أن التأثير بالإسلام وبالقرآن على وجه
الخصوص كان واضحاً في مجموعة من القصص المنتقة فالمرأة التي تقول لمن ضللت إبله: "الذي
أعطاكهنّ أخذهنّ، وإن شاء ردهنّ، فسله عن طريق اليقين لا عن طريق الاختيار". كانت تتحدث
بمنطق إسلامي واضح لا ليس فيه، يحمل إرهادات التصوف وبعض مصطلحاته. وقول نائلة
العثمانية الله عنه: "أذهبنت شبابك مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في خير ما ذهبت به

(1) انظر الملحق، قصة 20.
(2) انظر الملحق، القصص من 43-50 على التوالي.
(3) انظر الملحق، قصة 16.
الأعمار(1) هو قول فيه استجابة واضحة لإحساس إسلامي عميق تأصل في وجدان امرأة حديثة عهد بالإسلام، وإصرار عانكة على الذهب إلى المسجد بليل(2) إنما هو دليل على تحرك هذه السيدة بالدين.

أما القرآن الكريم فإثارة واضحة في مجموعة أخرى من القصص المنتقاة، فالملاءة بنت زرارة كانت تقرأ القرآن من المصحف حين أقبل عليها عبد المجيد الزهري يخطبها(3)، والزمراء بنت عدي استشهدت بمعنى آية من القرآن الكريم أثناء خطبتها في التحريض على معاوية إذ قالت:

"ومع الحق باطله(4) وهذا هو معنى الآية الكريمة (بل تقذف بالحق على الباطل فدمجه فإذا هو زاهق)(5) ، أما عكرشة بنت الأطرش(6) فقد استشهدت بقوله تعالى: (عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل إذ هتدتم)(7) ، وبقوله تعالى: (يا أيها الذين آمنوا لا تسألوا عن أمثلي إن نبذ لكم تسؤكم)(8)، واستشهدت أم الخير بنت الحريش(9) بقوله تعالى: (يا أيها الناس انقوا ربك إن زلزلة الساعة شيء عظيم)(10).

(1) أنظر الملحق، قصة 17.
(2) أنظر الملحق، قصة 2.
(3) أنظر الملحق، قصة 38.
(4) أنظر الملحق، قصة 45.
(5) سورة الأنبياء، آية 18.
(6) أنظر الملحق، قصة 47.
(7) سورة المائدة، آية 103.
(8) سورة المائدة، آية 101.
(9) أنظر الملحق، قصة 49.
(10) سورة الحج، آية 1.
قوله تعالى: (ولنيلونكم حتى نعلم المجاهدين منكم والص âmرين ونيلو أخبارك)\(^1\)، فقوله تعالى: (كأنهم حامرو مستفارة فرّت من قسوته)\(^2\)، وفي هذا ما يدل على أن القرآن كان حاضراً في أذهان النساء طيلة الوقت.

ومن المثير للدهشة أن زينب بنت جرير قالت للقاضي شريح ليلة زفافها حينما هم أن يمدد إليها: "الحمد لله أحمده وأستعينه وأصلي على محمد وعلى أهله... وقد ملكت فاصنع ما أمرك الله به (إمساك بمعروف أو تسريب بإحسان)\(^3\)، أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولك". في هذا الموقف الغريب قالت زينب هذا القول وكانت قد صلت قبل ذلك ركعتين كما صلى القاضي شريح عملاً بالسنة المشرفة، ولقد عجب القاضي ذاته من تصرف زينب وردّ عليها بخطبة مماثلة دلت على أن القرآن والأحكام الإسلامية كانت ماثلة حتى في مثل هذا الموقف.

ولعل رواة الأخبار لم يكتروا من تسجيل المواقف المنطلقة من الفهم الإسلامي؛ لأنه كان من الأشياء المسلمّ بها، فإن يصلي الناس ويصوموا ويقرأ القرآن ويتصدقوا فذلك من مسئؤليات المسلم والمسلمة، فعاتكة على سبيل المثال تصدقت بالمثال الذي أعطاها إياها عمر بن الخطاب رضي الله عنه عن زوجها الأول عبد الله بن أبي بكر رضي الله عنهما\(^4\)، وإنما وردت هذه الإشارة إلى الصدقة لأنها من تمام وضوح الموقف، وكيفية الخروج من النزام بعد الزواج بعد موت عبد الله رضي الله عنه.

---

(1) سورة محمد، آية 31.
(2) سورة المدثر، الآيةتين 49-50.
(3) سورة البقرة، آية 229.
(4) نظر الملحق، قصة 36.
(5) نظر الملحق، قصة 2.
ولعل من أهم ما يجب التنبيه عليه أن القرب من الإسلام واستحضار القرآن الكريم في حياة الناس أوجد مناخاً يقتضي أن يتم تعليم المرأة للغيات نفسها التي يتم من أجلها تعليم الرجل، فلا فرق بين هذا وهذه.

وخلاصة القول إن النساء كن كالرجال بصورة عامة ذوات دين وتمسك بنواحي الله وإعراض عن المحرمات، وهذا لا يعني أنه لم يكن ثمة نساء ارتكبن المحاصلي، فثمة امرأة كانت تمارس القيادة فهي وهي الولي (1)، وكذلك سمحت امرأة أخرى لنفسها أن يوقعها رجل أثناء غياب زوجها في الجهاد (1). وهذه هي طبيعة المجتمعات إذ لا تخلو من الخارجيين عن المألوف، ولكن غالبية الناس في صدر الإسلام والعصر الأموي وبداية العصر العباسي كانت تتمسك بالإسلام وتتذكر القرآن والحديث، يستوي في ذلك عامة الرجال والنساء.

2. الأهلية القانونية:

المقصود بالأهلية القانونية: القدرة على أن يدير الإنسان شؤونه بنفسه وأن يبرم العقود وينهيها، وأن يصرف بممتلكاته دون وصاية أحد، ولكن يبنى ذلك لأن الإنسان فلا بد من استقلال إرادته وحريته ولا بد من حماية قانونية لهذه الحرية. وتنبأ للدخول في أي تفصيلات قانونية فسوف تعالج هذه النقطة من منظور الشخص العادي غير المتخصص في القانون، وفي حدود ما تبرزه القصص المنتمية والاقتباسات المعززة لها.

(1) انظر الملحق، قصة 24.
ولا بد من التنبه على أن الجاحظ وابن قتيبة وابن عبد ربه لم يكونوا معينين من قريب ولا
من بعيد بإثبات أو نفي قدرة المرأة على شيء مما ذكر أنفاً، ولذلك قامت عملية استخلاص الأهلية
القانونية للمرأة من أفعال عرضية أنفختها المرأة فدلت على أنها تستمتع بشيء من الأهلية القانونية،

وقد اختبرت التصرفات الدالية واضحة واستبعت التصرفات التي تحتتم أكثر من وجه.

وتدل القصة بوضوح على أن المرأة كانت قادرَة على التملك المستقل كما يستفاد مما
ورد في قصة عائكة بنت زيد التي نحلها زوجها عبد الله بن أبي بكر رضي الله عنها مالها
سواء الإرث(2)، فدل ذلك على أنها تقبل الهيئة وتمتلكها وأنها تمتلك أيضاً ما يؤول إليها من
الإرث.

ثم إن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أعطاه مثل المال الذي أخذته من عبد الله رضي الله
 عنه، فدل ذلك على أنها قادرَة على التملك من غير قيد ولا شرط. ويستفاد من قصة أم جعفر أن
كانت مالكة للبازار سكرَ ملكية مستقلة(3) ويستفاد من قصة المرأة التي سلّا عنها زوجها بجازية
أصابها أن الزوجة كانت مالكة لعلم ملكية مستقلة من غير أن تكون لزوجها علاقة بهذه الملكية(4).

وتدل قصة سميرة مطلقة الوليد بن عبد الملك أنها كانت مالكة للبساط الذي أعطته لأشعب مكافأة له
على نقل رسالتها الجوابية إلى الوليد(5). ويستفاد من قصص الوافدين على معاوية أنه أعطى ثلاثةً

(1) نظر الملحق، قصة 25.
(2) نظر الملحق، قصة 2.
(3) نظر الملحق، قصة 5.
(4) نظر الملحق، قصة 20.
(5) نظر الملحق، قصة 42.
منهن جوانب قيمة تمتلكها كل منهن ملكاً مباشراً (1). أما دارمية الحجوية فقصصتها تمثل دليلاً قوياً على مدى قدرة المرأة على الاستقلال في ملكها، فقد حصلت من معاوية على مانة من الإبل طلبتها منه لتنثمرها في صالح الناس (2).

ولن يقتصر الأمر على قدرة المرأة على التملك المستقل، وإنما ثبت من القصص المنتقاة أن المرأة أيضاً كانت قادرة على التصرف بمالها من غير وصاية أحد بما في ذلك القدرة على التبرع، وهو أعلى درجات التصرف في المال، أما عائشة فإنها تصدقت عن عبد الله بن أبي بكر رضي الله عنهم (3)، وأما أم جعفر فقد اعتبرت الجارية سكر، والإعتقاد شكل من أشكال التبرع (4). وفي قصة الدارمية الحجوية بلغ درجات التبرع، لأنها تركت أن تصرح مالها في خدمة الآخرين كأنه وقف.

تتناول هي إدارته، وتملك بالتالي أن تصدر الأوامر إلى الراعي القادم مع الإبل (5).

ومع أن القصص المنتقاة لا تشير إلى قيام المرأة بإبرام عقود كالإجارة أو الإعارة أو الوكالة أو الكفالة، إلا أنها دلت على أن المرأة كانت بصورة عامة سيدة نفسها في عقود الزواج، فقد ظهرت بمظهر قادرة على التفاوض بشأن الزواج وعلى رد الخاطب أو قبوله وإبرام العقود معه، وله من الأمثلة البالغة في دلاليها أن أم آبان رفضت الزواج من ثلاثة من الصحابة المتميَّزين هم عمر بن الخطاب، وعلي بن أبي طالب، والزبير، رضي الله عنهم جميعاً، ثم خطبها طلحة فأخذت

---
(1) انظر الملحق، القصص 45، 46، 49.
(2) انظر الملحق، قصة 48.
(3) انظر الملحق، قصة 2.
(4) انظر الملحق، قصة 5.
(5) انظر الملحق، قصة 48.
فترزوجها(1). وتقدم الاملاءة بنت زرارة مثلاً آخر باللغة النحائية على أن المرأة قادرة على التفاوض
ورد الخاطب إذا لم تتعلق به، فقد وجه أبوها القاضي زرارة خاطبها إليها وهي فتاة بكر، ففاوضت
الخاطب وناقشته في أمر ما يملك من الأموال حتى إذا تبين لها أنه لا يملك مالاً حاضراً رده،
وكان قولها في هذا الأمر حاسماً لم يتدخل فيه حتى أبوها القاضي(2). وفي قصة زينب بنت جرير
أن القاضي شرباً قال لأمها: "روجينة" مفتراً بالضرورة أن الأم قادرة على ذلك، فقالت له
الأم بما معناه أنها تفعل إن كان لها كفاهم(3). وأقدمت سكر بعد تحررها على تزويج نفسها من
الخليفة المأمون(4)، وليس في هذه القصص جميعاً موقف واحد أدركته فيه المرأة على الزواج ممن
لم ترضه من الرجال، فهند بنت عتبة هي التي حددت أنها تزوج أبا سفيان بن حرب بدل سهيل
ابن عمرو فاستجاب أبوها لذلك.
وأما الفتاة التي خطبتها الحارث بن سليل الأشذي فإن ابها لم يكرهها، ولم يعمل على
إكراءها ولكنه قال لأمها: "أريدي أبنيك على نفسها"، فحاولت الأم حتى غلبت الجارية على نفسها،
وتزوجت من الحارث الذي كان شيخاً من غير إكراء(5).
خلاصة القول إن المرأة كانت تتمنى وتعلق القصص المنتقاة بدرجة عالية من الأهلية القانونية
مكتبة الجامعة الأردنية
مرقد اعداد الرسائل الجامعية

(1) انظر الملحق، قصة 11.
(2) انظر الملحق، قصة 38.
(3) انظر الملحق، قصة 36.
(4) انظر الملحق، قصة 5.
(5) انظر الملحق، قصة 35.
الوصف بالأهلية القانونية وصفًا مقتضباً، فإنه يدل على قيام المرأة بأعلى ما تتطلب وتسفر عنه أهليتها القانونية الكاملة في شؤون أخرى في الحياة دون هذه الدوائر في القيمة الأهلية.

3. مكانة المرأة الاجتماعية

سوف يعود هذا البحث إلى استخلاص مكانة المرأة من مؤشرات منتقاة هي العزلة أو عدم العزلة، والقدرة على فهم الشأن العام والتدخل فيه عندما تتغيب في ذلك، والقدرة على مخاطبة المسؤولين والتأثير فيهم فقطًا عن دراسة ما يتعلق بمدى منحة حقوق المرأة في وسط المجتمع.

أ- العزلة والانفتاح:

سابقت الإشارة إلى مدى تمتع المرأة بحق التعليم، وأنها كانت تتلقى - إذا رغبت في ذلك- العلوم التي كان يتلقاها الرجل وحيث إن الشعر والخطابة كانا من أبرز فنون ذلك الزمان، وحيث إنهم لا يزدهران إلا بتفاعل مبدع مع المتلقي، فقد كان لزاماً ألا تعيش المرأة في عزلة إذا أريد لها أن تستوعب ما قيل، وأن يستوعب الناس ما قالت.

والمقصود بالعزلة هنا هو أن توضع المرأة في ظروف لا تسمح لها بالاتصال بالأحداث العامة، وتحديد دائرة معرفتها ونشاطها وتفاعلاً في وسط محدد معلوم مستقل تتحرك فيه وحيدة، أو مع أفراد أسرتها، أو مع النساء فحسب. وندل الفصول الميتقنة على أن المرأة لم تكن محصورة في أفق محدد مسبقاً كالحياة المنزلية أو الأوساط النسائية، فقد كانت في تفاعل
ทนับ مع الرجال من غير أقاربها ومن غير أفراد أسرتها. فالمرأة التي وصفت مجموعة من
الصحابة الكرام كانت وبلا شك على اطلاع بكل واحد منهم، وقالت ما قالته بحق كل منهم على
مسمع من الرجال والنساء.

والمرأة التي دلت الرجل من بني أسد على كيفية الاستدلال على إبله الضالة لم تكن تتحدث
في شأن أسري مع أفراد بيتها، بل كانت تتحدث في شأن خاص لرجل غريب يبدو أنها التقته بعيداً
عن الوسط الأسري كلها(1)، والنساء الثمانية الوافدات على معاوية بن أبي سفيان يقدمن أمثلة ناسعة

الدلالة على أن المرأة لم تكن محصورة في أفق خاص يقل سعة عن أفق تحرك الرجل(2).

أما حوار المرأة مع الرجل بخصوص مصلحة تتعلق بها، فذلك واضح في كل قصة تقريباً
من القصص المنتقاة. فضلاًًًً لا تجاوز هشام بن المغيرة بشأن طلاقها من زوجها الأول عبد
الله بن جدعان وترتبات زواجها من هشام بعد الطلاق(3)، وكان الحسن بن علي، وعاصم بن عمر
ابن الخطاب رضي الله عنهم جميعاً يجلسان إلى حفصية بنت عبد الرحمن(4) حتى بعد زواجها من
المنذر بن الزبير(5). ولم يكن مصعب بن الزبير يضرب ستاراً حول زوجه عائشة بنت طلحة بحيث

__________________________
(1) انظر الملحق، قصة 14.
(2) انظر الملحق، قصة 16.
(3) انظر الملحق، القصص من 43-50 على التوالي.
(4) انظر الملحق، القصة 1.
(5) حفصية بنت عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق رضي الله عنهم جميعاً توفيت في حدود الثمانين للهجرة. انظر
الصفدي، الوفي بالوفيات، ج 13، ص 67.
(6) انظر الملحق، قصة 3، والمنذر ولد زمن عمر، يكنى أبا عثمان، فت السنه أربع وستين. انظر الذهبي، سير
أعلام النبلاء، ج 3، ص 381.
لا يراها من الناس أحد ولا ترى منهم أحداً، ولا يجري لها حوار أو نقاش(1).

وأما حضور شملة مجلس زوجها مجتمع والي البصرة، فدليل على أن المرأة لم تكن محجبة ولا محجبة(2). والمناظرة التي جرت بين رجل من آل جعفر بن أبي طالب وال녀ية أنموذج لخروج المرأة من دائرة حوار ضيق إلى دائرة حوار مثقف، ولو بدلات متعلقة بقضايا شخصية من خلال التلميح والتداخل الثقافي(3).

ولا يكاد المرء بعد امرأة واحدة من اللواتي تحدثت عنهنّ القصص المنتقاة معزولة قصراً استجابة لأنموذج اجتماعي مترابط مستقبلاً للنساء، وربما كانت قصة زينب بنت جربير أقرب ما تكون إلى الحديث عن امرأة احتصر نشاطها وتفاعلها في الواقعة الأسري(4)، وخاصة النساء الخمس اللواتي طلقن في يوم واحد تبطل الظلم بأن المرأة كانت معزولة في نطاق بيتها(5)، فمع أن السياق يوحي بأن النساء الأربع كان يتحركن في نطاق بيوتيهن إلا أن تدخل الخامسة أكد أنها لم تكن مجرد مطافقة غير مشاركة حتى في شأن لا ينطلي بها.

خلاصة القول إن المرأة لم تكن معزولة كما يستشفع من القصص المنتقاة، ومع أن معظم

(1) انظر الملحق، قصة 4.
(2) انظر الملحق، قصة 13.
(3) انظر الملحق، قصة 22.
(4) انظر الملحق، قصة 36.
(5) انظر الملحق، قصة 39.
النساء في هذه القصص كان معنويات بخصوص لا ترقى إلى الشأن السياسي أو الفقهي أو الفلسفي أو العلمي، فإن نظرة هن من الرجال لم يكونوا في الغالب أوسع أفقاً، ولا أكثر علماً، مع استثناء الصحابة رضوان الله عليهم، ولعل هذا هو وضع الرجال والنساء في مختلف المجتمعات الإنسانية، ففتح المجال لا يعني دخول الجميع ضمن الباب المفتوح، وليس من دليل على أن امرأة حاولت أن تمارس نشاطاً معيناً فمنتزعت من ذلك أو استهجن المجتمع فعلها، وليس من الحكمة إقحامها قسراً في وسط لا ترغب فيه، إلا استثنت حرية إرادتها.

ب- المرأة والشأن العام:
من أبرز الخصومات السياسية التي أمّرت في تاريخ الأمة الإسلامية تلك الفتنة التي نشأت بين معاوية بن أبي سفيان وعلي بن أبي طالب رضي الله عنهما، وقد انقسمت الأمة حول هذه القضية فنتج عن ذلك ثلاث طوانين أساسية هي السنة، والشيعة، والخوارج، وقد استبنت الخلافة بعد علي بن أبي طالب لمعاوية بن أبي سفيان الذي تمكن من السيطرة على الأمور والتحكم بأزمة الدولة كما هو معروف. وتمثل قصص الوفادات الثمانية على معاوية برهاناً قاطع الدلالة على الفرصة المتاحة لتعامل النساء مع الشأن العام إذا رغبن في ذلك، وتنطق قصص الوفادات مع معاوية(1) بحقائق ناصعة تتصل بمفاوضات النساء للشأن العام في ذلك الزمان. ومن أبرز ما يتبنّى من هذه القصص أن النساء الوفادات لم يكن في معزل عما يجري حينها من خصومة وجدل حول الخلافة، بل كانت كل واحدة منهن على دراية واسعة

(1) انظر الملحق، القصص من 43-50 على التوالي.
بالمحادثة الدائرة بين المعسكرات المتنازعة، بل إن كلا منهن تجاوزت مرحلة القناعة إلى مرحلة العمل لنصرة على معاوية إلى درجة أن مнская كل منهنّ بقيت في أذهان الناس حتى بعد أن هدأت الساحة السياسية، ولم يعد ثمة مجال لاحتمال الخسومة، وقد كانت كل واحدة منهنّ متمنكة من أساليب التعبئة لصالح المعسكر الذي تناصره، وكن شاعرات أو خطيبات أثرنّ في النفوس حتى حفظ أعدادهنّ عينهنّ ما قبله بعد سنين من استناب الأمر، وكانت موافقات هؤلاء النساء منبجة على معاريا واضحة صرحن بها أمام معاوية، فقال على وجه الإجمال إنّهنّ يرين علياً أولى بالخلافة، وكَنّ يعرفن في علي العدل والحكمة ومخافة الله، ولكنّهن مع ذلك كنّ يرين في معاوية رجلاً متفقواً على سائر من أبطوا به من أمثال مروان ابن الحكم، وسعيد بن العاص وسائر الجلساء، وأصرت معظم هؤلاء النساء على أن تلبية حاجتهنّ أو حاجة أقوامهنّ لا تسوق حلول معاوية محل علي في القلب، ولا تسوق مساواة معاوية بعلي.

وتضرب دارمية الحجونية مثلاً على مفاصلتها ما بين علي ومعاوية، فهي قد طلبت من معاوية مانة من الإيل، فيها فحلها، ومعها راهبها لتتوفيفها في خدمة الصالح العام، فذكّرها معاوية بسؤال تجريبي بأن علياً ما كان ليجيبها إلى طلبها لو كان هو المختار، فأبدت قوله وذكرت أن علياً ما كان ليطغيها ولا وبرة من مال المسلمين(1)، وهذا يعني أنها كانت تعلم شيئًا وبشكل مسبق، كيف يتصرف كل من الرجلين في موقف كهذا، وعادت بذلك في فهمها فهم معاوية لشخصية ابن
أبي طالب وفي فهمه للشأن العام المتصل بمال الأمة. وكانت محاجة أروى بنت عبد المطلب(1) لمعاوية وجلسائه مثلاً من أمثلة العلم بأحداث الساعة وتوزيع معرفتها لاتخاذ الموقف من الحدث، ويتجلى ذلك في مناقشتها لعمر بن العاص حول نسبه ومكانة أمه بين النساء(2). ولم تتب أي من الوافدين خوفاً أو رهبة من مناقشة معاوية حتى وهو القاضي على زمام الأمور، فإذا استثمرت إحداهن كانت تنادي باسمها فتقول يا معاوية، من غير الإشارة إلى أنه خليفة أو أمير المؤمنين، فدارمية الحجوية ردت عليه حين استنارها بخصوص اكتذاس لحمها، وامتلاء جسمها، وعظم عجزتها، بأن هندا أم معاوية كانت مضرب المثل في كل ذلك، الأمر الذي جعل معاوية يتراجع وهادئ ويعتذر بالباقية(1)، ثم إن معاوية استند بأيضاً دون رغبة منهن، فأطعن باعتبار أنه حصل على بيعة، وأصبح الخليفة المتمتع بعدم المسلمين له.

وقد تكلمت الوافدين فيما بينه أنه أسس من أسس الحكم، فذكرن سعة الحكم، وكرم العفو، ووجوب أخذ الصدقات من الأغنياء لترد على الفقراء، وضرورة الانتباه عن الغفلة، والعودة إلى التوبة، وعدم الاستعانة بالخونة، وعدم استعمال ظلمة، وذكرن أن على الحاكم أن يحفظ عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأن يجب المساكني، وأن يعزم أهل الدين، وألا يسفك الدماء، وألا يجوز في القضاء، وألا يفتن بالملك، وألا ينسحب بها أصابه من نعمة.

إن مجمل هذه المظاهر من التصدي للشأن العام تثبت أن المرأة لم تكن ممنوعة من مخاطبة المسؤولة، ولا قاصرة إذا شأبت عن مواجهته ومجابته، ولم تكن تتخاطب بالمسكنة والتدلل، وإنما

(1) عمة النبي، اختلف في إسلامها، فقال ابن اسحاق إنه لم يسلم من عمات النبي غير صفية، وقال غيره: أروى وصفية، وقيل أنها تأمة عبد الله. انظر الصفيدي، الواقفي بالوفيات، ج8، ص236.
(2) انظر الملحق، قصة 50.
تنتوجه إليه بالحق، وبالحكم الشرعي، بل إن معاوية نفسه قد أبدى رغبته كما سلف في أن يستمع إلى أقوال بعضهن لسبب أو لآخر، حتى في مسألة بغضهن له ومحبتن له، وما كان ليفعل ذلك لولا أن هؤلاء النسوة كن على درجة عالية من سداد الرأي، وحسن التفكير، وعمق التأثير، ولم يكن الأمر متعلقاً بأمرأة واحدة حتى يقال إنها قضية امرأة فرد، لا يعول عليها، ولم يكن كلام أي منهن هزيلًا حتى يضرب عنه صفحاً، فينسي ويذهب جفاء أو رمادا تذروه الرياح، وما دامت المرأة قادرةً على مواجهة الخليفة، وعلى مواجهة رجل يذكاء معاوية وسلطانه فالراجح أن تكون قادرة على التدخل في ما هو أقل من ذلك من الشؤون العامة.

ج - منحة حقوق المرأة:

لعل أفضل طريقة لتتبين مدى رسم مكانة المرأة أو زعزعتها دراسة آثار بعض عوامل التمييز التي تدعو الناس إلى الرفض أو التحيز أو البذ، حتى إذا صح أن مكانة المرأة لا يزحزها عامل من هذه العوامل، تبين أن هذه المكانة راسخة عميقة الجذور، في حين أن زعزعتها تعني استحقاق المكانة لعوامل تتصل حصرًا بأنوثة المرأة لا بسائر مقومات شخصيتها.

وتنتهي القصص المنقولة لترسم واقعاً ملمساً مفاده أن ثمة من يعيب على المرأة شيئاً من مقومات شخصيتها، ولكنها لا يثبت على ذلك طويلاً حين ينبه إلى غفلته، صحيح أن هذا يعني أن المرأة قد تتعرض إلى الإساءة، ولكنها بالنتيجة لا تهمش في مجتمعها، ولا تغرب عنه، ولا تقسي.
ولا يشعر مناصر المرأة أن مكانتها قد انتهكت، أو أن حكمته قد انقشت، أو أن أخلاقيه قد وضعت، ولكننا على عكس ذلك يبدو قويًا قادراً على إسكات ذائعيه.

وليس من دليل على أن هذا التعبير بشانت أو أخرى، ليس الرجل دون المرأة، بل إن الواضح أن هذه النزعة الاجتماعية لا تضع الرجل في منزلة أفضل من المرأة، بل لعل العكس هو الصحيح، فعندما خطب عبد الملك بن مروان لابنه يزيد ابنة عقيل بن عقيل بن عقبة(1) قال هذا الأخير لعبد الملك: "إن كنت فاعلاً فجنبي هُجِّناءك" (2) أي أبناء الأعجميات.

وفي مقابل ذلك قال رجل من أهل المدينة ناصحاً وصيحةً عامة:

لا تشنننننننننننننننننننننننننننننننننننننننننننننننننننننننننننننننننننننننننننننننننننننننننننننننننننننننننننننننننننننننننننننننننننننننننننننننننننننننننننننننننننننننننننننننننننننننننننننننننننننننننننننننننننننننننننننننننننننننننننننننننننننننننننننننننننننننننننننننننننننننننننننننننننننننننننننننننننننننننننننننننننننننننننننننننننننننننننننننننننننننننننننننننننننننننننننننننننننننننننننننننننننننننننننننننننننننننننننننننننننننننننننننننننننننننننننننننننننننننننننننننننننننننننننننننننننننننننننننننننننننننننننн

ووب واضحة ليست بمنجي.

ويتعزز هذا الموقف من الدفاع عن مكانة المرأة حتى ولو لم تكون مسلمة فقد قال أحدهم:

يقولون نصرانية أم خالد

فقط دقعاً كن نس ودينها

و إن تلك نصرانية أم خالد

فقد صورت في صورة لا تشينها(4)

وكان المجتمع المصوصف في القصص المتناقية غير متشنج ولا متزمت ولا متطرف، يعيش

(1) كان شاعراً مجيداً فصيحاً مقدماً في شعراء الدولة الأموية، وكانت قريش ترغب في ممارسته، وتزوج يزيد ابن عبد الملك ابنته الجريدة، انظر الصدفي، الواصلات بالوفيات، ج20، ص.64.
(2) انظر ابن قتيبة، عيون الأخبار، م4، ص302.
(3) انظر المصدر نفسه، ص300.
(4) انظر المصدر نفسه، ص347.
المراة فيه متمتّعة بمكانة لا تقل عن مكانة الرجل، فإنما ما نظر إلى المرأة سواء كانت زوجة أو أمّا أو ابنتا ضمن صورتها ومنزلتها التي لم تكن تتفارق في حالات كثيرة عن دور قريتها الرجل، صح الحكم أن دورها في النسج الاجتماعي الإسلامي كان ينظر دور نظيرها من الرجال في أحيان كثيرة.

لمتشكك أن يثير بعض التساؤلات حول أوضاع معينة يرى من خلالها أن مكانة المرأة في تلك الحقبة التي تعرض لها الدراسة ليست على ما وصف آنفاً من الرقى والوسخ، وقد يتخذ من تركيز الاهتمام على جسم المرأة حجة تدحض ما قبل بشأن مكانتها في المجتمع الإسلامي العربي، وقد يثير هذا المتشكك مسائل عدة يرى منها شواهد على تدني مكانة المرأة في المجتمع العربي الإسلامي من بينها: مسألة الطلاق، ومسألة الرق، ومسألة حرية المرأة في استخدام جسمها كما تشاء، ومسألة القيود على الزواج، ومسألة المهر، ومسألة العنف ضد المرأة حجة، ومن الجلي أن كل واحدة من هذه الاتجاهات تعبر تفسيرات مختلفة، ومن هنا فسوف تعالج كل واحدة من هذه المسائل في ضوء القصص المتقدمة مع التغويل على شواهد مثيرة هنا وهناك تعزز هذا الاتجاه أو ذلك.
- الطلاق ومكانة المرأة:

لدى تمحيّص القصص المنتقاة يتبنّى أن النساء اللواتي طلقن لم يتأثّرن كثيراً بالطلاق، فقد تزوج معظمهنّ بعد ذلك، وربما تزوجت الواحدة منهنّ مرتين أو أكثر، ولم يكن الزوج الثاني أو الثالث يعيب على المطلقة أنها طلقت، بل ربما سعى إليها بنفسه، وربما رفضت إحداهنّ عرضاً للزواج من واحد من علية القوم كما فعلت أم إيان(1)، ولم يرد في أي من القصص المنتقاة أن أيّاً من النساء قد حزنت أو اكتبت، أو أصابها عنت بسبب الطلاق، بل إن كل واحدة منهنّ اعتبرت أن الطلاق أمر عادي يحدث كما يحدث الزواج، وكما يحدث أي شيء مستجد في العلاقات الإنسانية، وإذا كان الطلاق تقليل الوطأة على المرأة أو على الرجل في هذه الأيام إلى درجة تجعل المعنيين بالعلوم الإنسانية يغتيل القلق من هذه الظاهرة، فإنها لم تكن تعتني شيئاً ذا بال في مجتمع ذلك الزمان، وينبغي قياس مكانة المرأة في ضوء قيم ذلك الزمان، لا في قيم غيره، وفي قيمة ذلك المجتمع بعينه، لا بقيم غيره من المجتمعات، فإذا كان الرجل يحترم المطلقة كما يحترم البكر، ويعاملها بذات الطريقة مع بعض التفضيل للمطلقة في بعض الأحيان، فلا يجوز التأويل إلى غير هذا المعنى المستخلص مباشرة من الأحداث الثابتة، ولا يجوز الاعتماد على القصص المشكوك في صحتها، ولا على القصص التي حثّت في العصر الجاهل؛ لأن الإسلام أحدث تغييراً نوعياً في مكانة الإنسان عموماً، وفي العلاقات ما بين البشر. وعلّ أبلغ دليل على أن المجتمع الموصوف في القصص المنتقاة كان ينظر إلى الطلاق نظره خالية من التشنج، أن أيّاً من القصص المنتقاة لا تشير إلى نزاع حدث بين المرأة ومطلقها حول الحقوق الزوجية كالمهر، ونفقة العدة، وحضانة الأطفال،

(1) انظر الملحق، قصة 1.
وما شابه ذلك من الحقوق.

وإذا كان الطلاق الذي وقع على امرأة مستقرة في زوجها لم يؤثر عليها سليماً، فقد كان الطلاق أحياناً عالجاً لمشكلة كانت المرأة قد وقعت فيها بمعرفتها، أو سوء تقديرها، أو عن غير وعي منها، وذلك كما حدث في قصة كل من ضباعة، وابناء علامة بن خفصة الطاتي، وقصة الفارعة الثقافية(1)، إضافة إلى ما حدث مع هند بنت النعمان، إذ أرسل إليها الحاج عبد الله بن طاهر ليوقع عليها الطلاق، أو يبلغها به، ولينفذ إليها مؤخر مهرها البالغ مائتي ألف درهم فلما دخل عبد الله على هند قال لها: كنت فبدت عليه قاتلة؟ أعلم يا ابن طاهر، أنّا والله كنّا فما حمدنأ، وبننا فما ندمنا، وهذه المئة ألف درهم التي جئت بها بشراعة لك لحاصي من كلب بني تقيف(2).

وذلك روي أن الأصمعي طلق امرأة، ثم تبعتها نفسها، فكتب إليها:

فما رأيت بعدنا مثلنا
وهل رأيتنا بعدنا مثلكم(3)

و لم يرد في أي من القصص المنتقاة أن أبناء المطلقات وبنائهن تعذرضا إلى العنت والضياع ولم ينظر أحد إلى زوج أمه نظرة الكراهية، ولا عاب على أمه أن تتزوج بعد الطلاق.

للقناعة النامة بأن الأمر أمر عادي جداً، ولا يشكل مسأة بشرف المرأة أو قيمتها.

و قد يبدو غريبًا في هذا الزمان أن الطلاق كان في كثير من الأحيان مؤلمًا للرجل الذي أوقعه دون أن يؤثر على المرأة التي طلقت، ويتبنين ذلك جلياً في قصة كل من حفصية بنت عبد الرحمن التي تبعها رجلان، كان كل منهما ابن أحد الخلفاء الراشدين، وفي قصة الفارعة التي ندم

(1) انظر الملحق القصص 1، 20، 41 على التوالي.
(2) انظر الأشبي، المستطرف، ص 79-81.
(3) انظر ابن قتيبة، عيون الأخبار، م، ص 409.
المغيرة بن شعبة ذو المكانة المرموقة في التاريخ الإسلامي على طلاقها، وفي قصة سعدة التي
تبتعتها نفس الوليد بن عبد الملك الخليفة الأموي(1).

وخلاصة القول إن الطلاق برضي الزوجة أو بدون رضاها لم يكن ليس مكانها في
مجتمعها.

ب - الرق ومكانة المرأة:

وردت الإشارة إلى الرقيق في بعض القصص المنتقاة، وتبين من تدقيقها جميعاً أنه لم تنشأ
منازعات بين حرة وحرية، أو بين حرة وزوجها مالك الجارية، أدت إلى هدم كيان الأسرة أو أدت
إلى طلاق أو فراق، وقد دافع مالك الجارية عنهن حتى في مواجهة الزوجات الحرائز، كما فعل
أبو الأسود الدولي والفرزدق(2). وقد أدرك كل من الحرفيين حدوهما فترفعتنا عن شغبهم من
غير أن تتأثر مكانة أي منهما. و كانت الجواري قادرات على مخاطبة أعلى القيادات السياسية بيسر
وثقة تكاد تصل إلى المناظرة، فقد تمكنت سير من الاستحواذ على قلب الأمام حتى إنه اشترها
وتزوجها وعقتها(1).

ولو أن الرق يمس مكانة الأمة فإنه يمس مكانة الرجل كذلك، وربما كان حل معاعشة الإمام
شفيعاً لهن؛ وسبيلاً لحظوة أعلى لدى المالكين الذكور، في حين أن ملكية الرقيق الذكور لا تقربه إلى
شيء من ذلك، بل يبقى أمر عقده مرتبطاً بطلب الثواب أو بالاقتداء.

و خلاصة القول إن الرق لم يكن يمس مكانة المرأة خاصة، بل ربما أعطى الجواري

(1) انظر الملحق، القصص 3، 41، 42.
(2) انظر الملحق، القصصتين 21 و 27 على التوالي.
سلطانًا على الرجال في قراراتهم وفي أموالهم وفي حسن معاملتهم.

ج - حرية المرأة في استخدام جسمها كما تشاء:

يثير بعض المتخصصين لحرية المرأة أن من تمام حريتها واحترام مكانتها الاجتماعية أن تصنع بسهدًا ما تريد، وأن يتوقف المجتمع عن إلقاة الوصمة على من يستخدمن أحساءً بما لا يتوافق مع التقاليد الاجتماعية. ولما أن هذا البحث ملتزم منهجيًا بأن يقيس كل شيء في حدود المنظومة الثقافية التي ارتكازاها ذلك المجتمع لجميع أفراده رجالًا ونساءً، فإن محاكمة هذه المسألة ستتم على مدى هذه المنظومة من غير خروج عنها. ويستفاد من قصة الرجل من السلطان الذي كان لا يزال يأخذ قرادة فيحبسها، ثم يأتيه من يشفع فيها، أنه كان ينفذ أمر صاحب شرطته فيكتب قصتها، ويقرأها على من يشفع فيها لكي يستحي الشفيع من شفاعةه، ويضرب صفحاً عنها(1). وعلى أية حال فإنه لا يتصور أن تمارس هذه المرأة نشاطها إلا في مجتمع يبيح للمرأة أن تضع جسمها إذا شاء تحت تصرف الرجال بأجر أو بدون أجر، ولما كان مثل هذا الفعل مرفوضًا، فقد حرم على الرجال والنساء معاً، فصار الرجل من السلطان في هذه القصة يتهم الشفيع بالزنا. إن هذا أمر يعف عنه كل رجل وتآباه كل امرأة في ذلك المجتمع، إلا أن تم تسافر الفاحشة سراً بعيداً عن أي عين سائر الناس، فهذا الموقف الحاسم من استخدام المرأة لجسمها واستخدام جسمها من قبل الوسطاء في فعل الفاحشة أمر معاقب عليه إذا ثبت ضمن القاعدة الشهيرة التي تقرر أنه ما حرَّم إعطاؤه حرَّم أخيه، وما حرَّم بيعه حرَّم شراؤه، وما حرَّم

(1) انظر الملحق، قصة 5.
و خلاصة القول إن محاربة القيادة، وتحديد كيفية استخدام المرأة لجسمها وحصر ذلك في نطاق الزواج، وفي نطاق معاشرة الجواري هو أمر يعيّن بحماية المجتمع كله دون أن يضع الرجل في موقع متميّز فيتم إتعه هو، ويعاب ذلك على المرأة فمكانة المرأة من هذه الاحادية معادلة لمكانة الرجل ضمن منظومة القيم التي ارتدها ذلك المجتمع في ذلك الزمان.

---

د- القيود على الزواج:

ورد في القصة التي رواها محمد بن قيس الأمدٍ(1) أنه شاهد في طريقه إلى المدينة رجلاً طريحاً ومعه أمه التي ببنت أن ابنها يكد يموت من شدة عشته لابنة عم له تربى معها، ثم حجبت عنه بعد أن تعلق قلبه بها، وما خطبها إلى أليها أبيه، لأنه من العيب في منظومة القيم الأعرابية أن يتزوج الرجل امرأة كان بها مغرماً(2).

---

(1) انظر الملحق، قصة 24.
(2) يكنى أبا قدامة، من منتقى أهل الكوفة وكان فاضلاً ورعاً. انظر البستي، أبو حامد محمد بن حبان بن أحمد، (ت 354)، مشاهير علماء الأحساء، (تحقيق فلايشمجر)، دار الكتب العلمية، بيروت، 1959، ج1، ص 168.
(3) حنبة عمر بن عبد العزيز قضائياً وكان ثقة. انظر القصري، أبو يوسف يعقوب بن سفيان، (ت 277). المعرفة والتاريخ، 3، (تحقيق خليل المنصور)، دار الكتب العلمية، بيروت، 1999، ج3، ص 185.
(3) انظر الملحق، قصة 31.
و يستفاد من هذه القصة أن هذا العاشق وابنة عمه المعروفة قضية من شدة العشق فماتا ودفنا لشدة ما أصابهما، وهذا دليل على أن الرجل والمرأة واقعان تحت ظنلاً هذا المنع، وواقع الأمر أن جميع المجتمعات تضع قيوداً في الزواج لا تسمح لأحد أن يختطأها، فالمجتمعات المختلفة في هذه الأيام تحرم الزواج من الأخت مع أن هذا كان مسمحاً به في المجتمعات القديمة، أما وقد حرم المجتمع ذلك فقد حرمه على الرجل والمرأة على حد سواء، فلا يعتبر ذلك مساساً بأهمية المرأة الاجتماعية.

هـ - المهر:

لم يرد في القصص المتبقية ما يشير إلى خلاف بين المخطوطة وخطابها على قيمة المهر ونوعه، كما لم يرد فيها ما يشير إلى نزاع بين المرأة ومطلقها حول هذه المسائل، فقد تزوج المأمون الجارية سكر على عشرة آلاف درهم (1)، وساق ذو الجديين قيس بن خالد مهر ابنته عن لقبت بن زرارة (2) الذي خطبها، وحاورت الملائمة بنت زرارة خطابها عبد المجيد بن سهل بن عبد الرحمن الزهري في شأن مركزه المالي توصلاً كما يظن إلى الحديث عن مهرها فيما لو تم خطبة وانعقد النكاح، ولكنها لم تذكر شيئا صريحاً بخصوص المهر (3).

---

(1) انظر الملحق، قصة 5.
(2) انظر الملحق، قصة 10. ولقيت يكيت أبا نشل، أبا نشل، انظر ابن منظور، اللسان، مادة نشل. وقيل أبا دختوس ودختوس ابنه وكان قد سماها باسم ابنه السري. انظر ابن منظور، اللسان، مادة أفلك. تزوج قنور بنت قيس بن خالد الشباني وطلقة فتزوجها بعد رجل من قومها فقال لها يوماً أنا أجمل أم لقيت ماء ولا كصداء. أي أنتم جميل ولاست ملته، انظر ابن منظور، اللسان، مادة صدا.
(3) انظر الملحق، قصة 38.
وذكر ابن قتيبة أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أمره أم كلثوم ابنة علي بن أبي طالب رضي الله عنه أربعين ألف درهم وأصدق عبد الله بن عمر ابنة أبي عبيد عشرة آلاف درهم.

وأصدق محمد بن سيرينٌ (1). أمرته السدوسية عشرة آلاف درهم (2).

وكان مهر هند بنت النعمان مائتي ألف درهم دفعها الحجاج إليها مع عبد الله بن طاهر حين وقع عليها الطلاق (3).

ويبدو من هذه الشواهد أن الرجل كان يدفع المهر أو يقرده ويلزم نفسه به، فلا تكلف المرأة نفسها أمر المفاوضة، ولا تتزود فيما فرضه لها الزوج، وهذا خلاف ما جرى به العرف هذه الأيام من المفاوضة على المهر أو من مبادرة أهل الزوجة إلى تحديد المهر المطلوب من الزوج.

وقد يتساءل بعض العامة بين جين وآخر عن الفرق ما بين المهر وثمن السلفة مشيرين، بذلك إلى أن المرأة ليست أكثر من سلعة تباع بالمهر وتشترى به، فكانها أمة لزوجها أو سلعة له أن يصرف بها وفق هواه، وإذا صبح ذلك فإن هذا تقليل من مكانة المرأة دون مكانة الرجل، ولكن الشواهد آنفة الذكر تفي هذا الوضع بدليل أن الرجل كان يفرض للمراなければ يفرض معيارًا عن اعتراضه بها، ثم يدفعه إليها من غير أن يضطرها إلى المخاضة والنزع والمقاضاة، وربما كان ذلك تأثرًا بما ورد في القرآن الكريم بهذا الخصوص في قوله تعالى: "آتوا النساء صدقاتهن نحلة فإن طين لكم عن شيء من هذه فكلوه هنيئًا مرينا" (4).

(1) أحد أقوام الهضرة مذكورًا بالورع وله البند الطويل في تعبير الروايا كانت ولايته لسنتين بقيتا من خلافة عثمان وتوفي سنة عشر ومائة. انظر وفيات الأخبار، 4 ص، 181.
(2) انظر ابن قتيبة، عيون الأخبار، 4 ص، 359.
(3) انظر الأشبيه المستتر، 79-81.
(4) سورة النساء، آية 4.
ويبدو جلياً أن هذه النظرية إلى المهر نابعة من القيم الدينية التي أشرت بها المجتمع وقضت
باجترام حقوق المرأة فيه، ويتأكد ذلك من حسن المعاملة التي كانت تحظى بها المرأة مهما ارتفع
مجرها أو انخفض، فالمهر ليس ثمناً وإنما هو إمارة إكرام وإعزاز، ولو كان غير ذلك لقامت
نزاعات مطولة في هذا الشأن تحت من كرامه المرأة ومن كرامه الرجل، وهذا لم يبد شيء منه في
قصص هذه الدراسة.

و - العنف ضد المرأة:
كثر في هذا الزمان الحديث عن العنف ضد المرأة الذي يمارسه عليها زوجها أو أبوها أو
ابنها وسائر الرجال في الحرم وال지고. وفي مرحلة المفاوضات لحل المنازعات، وفي مرحلة
التعصير والبناء بعد أن تضع الحرب أوزحاً، وهو مظهر يمارسه عليها الرجال حين تكون مسامحة،
و حين تكون محاربة، و حين تكون طالبة للجوء، و حين تعتبر لاجئة وفق القانون الدولي، و حين
تكون من طائفة المبدين عن ديارهم أو داخل أوطانهم.(1)

ويراد بالعنف هنا ما يلحق المرأة من أذى جسيم أو معنوي. وسوف يلتمس هذا البحث
بدراسة العنف الجسدي الذي تهان به المرأة من غير جرم تعاقب عليه بالضرورة.

أما قصة صخر بن الشريد وزوجته سلمى بنت كعب، وقصة أردشير وابنها ملك السود(1)،
فقد وقعتا في مجتمع غير إسلامي فوجد من الحكمة استبعادهما من الدلالة على أي شيء يتعلق

(1) United Nations: Women, peace And Security- Study Submitted By Security
United ) 2002(HyineGeneral Pursuant To Security Council Reselution 1325/ 2000,
Nations Puplecation Sales NO. E. 03.IV.1 ISBN 9211302226.
بمسألة العنف ضد المرأة، ولو أنهما أخذنا دليلاً على أي شيء لتبين أن أردشير قتل ابنة ملك السواد، لما تبين له مدى خيانتها لأبيها الذي كان قد أحسن إليها كل الإحسان، وأنه ما كان ليبلغ شأر أبيها في ذلك، وأما صغر فهم بالعنف ولم يقدر عليه حين كان يسمع استخفاف امرأتة به.

أما في الإسلام، فقد خلق عمر بن الخطاب رضي الله عنه بالدرة تلك المرأة التي أبدت تشوقها لمعارضة نصر بن حاجج وهي ليست على ذمته(2)، فكان ذلك منه رضي الله عنه عقاباً تعزيراً، على جريمة رأى ولي الأمر أنها تستوجب العقاب، ولو فعلها رجل نقل العقاب نفسه، ودليل ذلك أن نصر بن حاجج نفي من المدينة بعد حلق رأسه من غير أن يكون قد بدر منه فعل منافٍ لخلق أو لدين. غير أن عمر رضي الله عنه أوقع ما أوقع عليه اتفاء للفتنة وسداً للذرائع الموصلة إليها.

وفي المقابل نجا الرجل الذي قتل يهودياً زنا بزوجة أخيه من القصاص، لأن عمر بن الخطاب رضي الله عنه عدّ حادثة قتل اليهودي دفاعاً مشروعاً عن العرض، لأن صيانة العرض من أغراض الشريعة التي تمثلها المجتمع الإسلامي واحترمها(3).

ويقال الشيء ذاته في شأن ذلك الرجل الذي شيعته زوجته فألقت خلفه روثة وبعرة وحصاة داعية عليه ألا يعود إليها أبداً، فلما بلغه ذلك عنها، عاد إلى منزله فوجدتهم جميعاً(4).

---

(1) انظر الملحق، الفصول 27 و 28 على التوالي.
(2) انظر الملحق، قصة 12.
(3) انظر الملحق، قصة 25.
(4) انظر الملحق، قصة 30.
ويلاحظ أن المرأة في القصة الأولى لم تقتل، وأن المرأة في القصة الثانية قتلت، وتبين
القصة الأولى أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أقر بما فعله قائل الزاني المتضفل على بيت أخيه،
بينما لا تبين القصة الثانية ما فعل ولي الأمر، والقتل على كل حال وقع على حدود الدفاع المشروع.
فيخرج بالتالي عن العنف الجسدي المقصود به إهانة المرأة.
وقد يستغرب المرء المفارقة ما بين موقف أم آبان و موقف حاكم هندي بت عن العنف، في
حين أن أم آبان رفضت الزواج من الزبير بحجة أن له نزاعا على تراثها، وبدأ أخرى في الصوت،
فضلته هندي بت عن عتبة الزواج من أبي سفيان بن حرب مع أن أباها وصفه لها بأنه لا يرفع عصاها
عن أهلها(1).
و في قول شريح أمين دلهم على أن الكرماء من الرجال هم الذين يحترمون أنوثة المرأة،
وأن الشريرين وحدهم هم الذين يضربون نساءهم؛ وهم لذلك مذمومون.
فلشت يميني حين أضرب زينب(2)
رأيت رجالاً يضربون نساءهم
و في مقابل هذا القول يلاحظ أن ختامة شريح نصحته قائلة له في ذات القصة: (فإن رابك
ريت فعلك بالسوط، فوَّاه ما حاز الرجال في بيوتهم شراً من المرأة المدللة)، وقولها هذا يذكرهما
أورده الفيلسوف الألماني (ديتش) قالت العجوز: "أما أن أنت إلى مقابلة المرأة؟ إذا فلا تنس أن تأخذ
معك السوط"(3).

(1) انظر الملحق، القصتين 11 و 35 على التوالي.
(2) انظر الملحق، قصة 36.
(3) Nietzsche, Friedrich: Thus Sbake Zarathustra—A Book For All And None, Translated By Thomas Common, 1923, T. N. Foulis Ltd, Edinburgh And London, p76.
وخلاصةً ما تدل عليه هذه المشاهد أن العنف الجسدي المقصود به إهانة المرأة لم يكن شائعاً، وأنه لا يعترف بها إلا مذموم، ولا يوقع بها الأذى إلا شرير، وأما الأذى الناجم عن تنفيذ حكم شرعي فلا علاقة له بالأذى المطلق.

الخلاصة

لستنا نقول ولا يقول أحد ممن يعقل أن النساء فوق الرجال أو دونهم ببطبقة أو بطبقتين أو

بأكثر(1)، نعلم أن القول هو العنوان الرئيسي لصورة المرأة التي يمكن استخلاصها من أدب الذين

سيقولوا التوخي فلم يرد في القمص المنتقا ن ما يدل على عكس ذلك وإن كانت البيئة المحيطة

بهؤلاء الأدباء قد شاركتها شوائب لا تذكر من الأفكار على المرأة، ولكن الرأي بين أهل الفضل من

الناس أن المرأة شقيقة الرجل مشتقة من ذات مادته، مساوية له في الحقوق والواجبات والأهلية

(1) انظر الجاحظ، رسائل الجاحظ، ج3، ص151.
والمكانة.

وبحلول مما أورده هؤلاء الأدباء أن أخبار النساء التي أوردوها كانت في الحقيقة أخبار الرجال ومدى انشغالهم بالنساء وبأمرهم. وبالنسبة بهن، الأمر الذي يؤكد مكانة المرأة، فالرجل الذي قضى صريعاً ورأسه في حجر أمه لوعة على عدم زواجه من ابنة عمها التي كان يحبها، وقصة الرجل الذي كتب عشق زوجته أخيه إلى أن اكتشف أمره ففرّ حياً ولم يعده إلى ديار قومه، وعباس الذي قتل عشيقته، وهو على المرء تقفان إياها والجارية التي معها من أعدائه، ثم قتل نفسه لوحة على ما فعل حين عرف الحقيقة، وتعلق القسّ بسلامة، هي دليل على ما كانت النساء تفعله بالرجال.(1).

ولم يكن المجتمع بعد هؤلاء الرجال من المنحنيين مكانة، أو الضعفاء في الشخصية، أو المنظور إليهم بعين الزيارة، بل إن معاوية بن أبي سفيان قد روى عنه أن صحبة بن صوحان قد سأله يوماً كمف نسبيك إلى العقل وقد غلب عليك نصف إنسان؟ يريد غلبة امرأته فاختت بتقفة عليه، فقال معاوية: إنهنّ يغلبن الكرام ويغلبون اللانم(2).

ويرى عنه أيضاً أن زوجته سألته عنه الأحفن بن قيس فقالت: "أين الفاسق؟ فأومأ الأحفن إلى البيت الذي كان فيه معاوية يماجن وصيغة من الوصائف، فأخرجته ولحيته في يدها، فقال لها الأحفن: ارفقي بسبيرك رحمك الله، فقالت: يا قواد، وتتكلم أيضاً، فقال معاوية: "يغلبن الكرام.

---

(1) انظر الملحق، التصني، من 31-34 على التوالي.
(2) انظر ابن عبد ربه، العقد الفريد، ج2، ص86.
ويغلبُ اللحن "(1) وذلك إن لم تكن هذه القصة موضوعة.

أما الحجاج بن يوسف الثقفي المعروف بشدة بأنه وقوفه ففشي يوماً عما إذا كان يمارح.

أهله، فقال: "إن تزونى إلا شيطانًا وأسارد ليما قبلت أخصم إحداهن" (2).

هذه الشواهد وكثير غيرها تدل على مدى تعلق الرجل بالمرأة، وعلى مكانة عدته، وعلى عدم كتمان ما يشعر به لها من محبة وموجة واحترام، وتمثل قصص الواقفات على معاوية شعوراً آخر لدى الرجال، قوامه الرهة، وتقدير العقل، واحترام التجربة لدى النساء، أما أن يشار إلى المرأة بأنها نصف إنسان كما ورد في قصة معاوية وفاختة، فذلك من قبيل الإشارة إلى مسألة شهادة المرأة في الدين، وتوليدها النساجي مع الأمر الإلهي الذي نص عليه في قوله تعالى:

"وانتقدوا شاهدين من رجالكم فإن لم يكونا رجليما فرجل وأمران ممن ترضون من الشهداء أن تضل إحداهما فتذكى إحداهما الأخرى" (3).

والناظر إلى الصورة المستخلصة من أدب الذين سبقوا التوخي، يجده أنه لم يفترض نمطاً مسبقًا أو أنموذجاً أو قالاً جامدًا ليسنّ النساء، ولم ينظر الرجال إليها ضمن منظور موضوع مسبقًا بحيث يحكمون على المرأة من خلال ذلك القابل أو المنظور، وليس من خلال مشاهداتهم الشخصية، ونتج عن ذلك بالضرورة أنهم لم يصفوا امرأة واحدة بل نساء متعددات يختلفون في كل

(1) انظر ابن القيم، أخبار النساء، ص 210-211.
(2) انظر ابن قتيبة، عيون الأخبار، م 4، ص 367.
(3) انظر الملحق، القصص من 43-50 على التوالي.
(4) سورة البقرة، آية 282.
شيء في حدود الفروق الفردية، فهنئ من حيث الجسم يتراوح ما بين أوصاف أم إياض(1)، وتلك المرأة التي وصفت بأن لها جسم برغوث وساق بعوضة.

وHEN يتراؤون في الوفاء ما بين نائلة بنت القرافصة وزينب بنت جرير من ناحية، وما بين المرأة التي غدت زوجها الذي ذهب غازياً، وتلك التي ألقى خلف زوجها المفارق حصاة وروثة وبعرة أملًا في ألا يعود أبداً(2).

وHEN يتراوح في اهتمامهن بالمشاكل العالم ما بين الوافدات على معاوية(3)، وما بين الجارية التي كانت تتكلم رفتًا في الحج، فلما سئلت عن ذلك قالت: "لست حاجة وإنما يحج الجمل"(4).

فالمرأة العادلة كان يمكن أن تكون أي مزيج من المفاهيم والسجابة.

وأثر عن العرب كثيرًا أنهم صنفوا المرأة أصنافًا ولم يكتشفوا بأن يستنتجوا أن كونها أنثى يستتبع بالضرورة أن تكون نسفاً واحداً معروف الصفات، صحيح أن بعض الشعراء وبعض من اعتبروا من الحكماء حاولوا أن يضربوا مثل هذه الأمثال ويطلقوا مقولات النمط الجامد، إلا أن القصص المنتقاة توحى بأن العرب لم يكونوا يتعاملون مع المرأة هكذا، وتفسر هذه الظاهرة أن

1. انظر الملحق، قصة 39.
2. انظر ابن قتيبة، عيون الأخبار، م 4، ص 323.
3. انظر الملحق، القصص 17، 36، 25، 30 على التوالي.
4. انظر الملحق، القصص من 43-50 على التوالي.
5. انظر الجاحظ، رسائل الجاحظ، ج 1، ص 98.
الرجل إذا حدد بالمطلق أرسل شعارات تصطحب بالتعليم، حتى إذا تعاوَن مع امرأة بعينها، أو إذا
تحدث عن امرأة خصوصها باسمها فإنه يتحدث عنها بعزل عن التعليم والحكم المسبق.
ولا بد من التأكيد أن القصص المنقذة لا يمكن أن تكون كافية لنتخلص منها صورة المرأة
في العصر الجاهلي، أو في صدر الإسلام، أو في العهد الأموي، ولكنها تصلح أن تكون صورة
للمرأة عند الكتاب الذين وقف على شيء من نتائجهم. فالمرأة في هذه الأخبار أو القصص المنقذة إذا كانت تتحرك ضمن معطيات شخصيتها وقواعِد المجتمع المرعية آنذاك، تحب وتكره، وتقبل وترفض، وتقترب وتبتعد، وتقارع من أجل الشأن العام، وتتفنّى إذا شاءت بحدود بيئتها، وتقاطع المسؤولين إذا ألزم الأمر بثقة وحكمها، وهي تخطئ وتصيب وتستحق الشراء والإطاحة، وتستحق الزيادة والعقاب، تلك هي الصورة التي يمكن استخلاصها من كل ما سبق من العرض والتحليل لقصص من سبقوا النتوخى وهي تصلح أن نقارن بصورة المرأة التي سوف تستخلص لاحقًا من أدب النتوخى.
الفصل الثاني

صورة المرأة في أدب التنوخي

توطئة

بعد أن اتضحت صورة المرأة كما ارتمست في أدب الذين سبقوا التنوخي أصبح سائعاً استخلاص صورتها من أدب التنوخي بذات الأسلوب المنهجي الذي اتبع آنفاً.

ويبدو ضرورياً هنا التركيز العناية على أن المصوصد بأدب التنوخي، هو تلك الأخبار التي جمعها في طيات كتبة النشرة وأوراق المجلة، حيث أن التنوخي لم يتحدث عن المرأة بشكل مباشر كما فعل المراحل في رسائله، وكتبها على سبيل المثال، سويف يكون مهماً تبين صورة المرأة في القصص التي نقلها التنوخي حتى يبين ما إذا كان نظريات للنساء الموصوفات لدى الذين سبقوه في النماذج التي سبقت الإشارة إليها.
النتويحي

اسمه ونسبه:

هو أبو علي المحسن(1) بن أبي القاسم علي بن محمد بن أبي الفهم النتوخى نسبة إلى نتوخ، وهو اسم لعدة قبائل، اجتمعوا قديماً بالبحرين، وталحوا على التأزُر والتناصر، فسموا تتوخاً.

مولده ونشأته:

ولد المحسن بالبصرة، ليلة الأحد لأربعين من شهر ربيع الأول سنة سبع وعشرين وثلاثمائة، ونشأ بها إذ كان أبوه قاضياً فيها(2)، ولعل أول ما يذكر عن نشأته الأولى سماعه للحديث في سنة ثلاث وثلاثين وثلاثمائة للهجرة(3).

نشأ النتوخى في بيت علم وأدب، فقد قال فيه القرشي: المحسن النتوخى الأديب، ووالده

(1) قال ابن خلكل المحسن بضم الميم وفتح الخاء المهمة وكسر السين، وبعدها نون. انظر ابن خلكل، وفيات الأعيان، ج4، ص159؛ انظر الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان، (ت748)، العبر في خبر من غير، ام، (تحقيق أبو هاجر محمد السعدي زغلول)، دار الكتب العلمية، بيروت، ج2، ص166.
(2) انظر النتوخى، أبو علي بن المحسن بن علي، (ت327-848 هـ)، نشورات المحاضرة وأخبار المذكرة، ط2، ج8، (تحقيق عبد الشالجي)، بيروت، دار صادر، 1995، ج1، ص108؛ انظر ابن الجوزي، أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد، (ت597). المنتظم في أخبار الملوك والأمم، (ج5-ج10)، مطبعة دائرة المعارف العثمانية، حيدر باي الدكين، الهند، 1357-1395 هـ، ج9، ص1429؛ انظر الخطيب البغدادي، أبو بكر بن علي البغدادي، (ت463)، تاريخ بغداد أو مدينة السلام، 14، دار الكتاب العربي، بيروت، ج13، ص157.
(3) انظر الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ج13، ص157.
علي، وكذلك ولده على بن المحسن أهل بيت فضلاء قضايا، ثم نزل بغداد وأقام بها

وحدث إلى حين وفاته وكان سماعه صحيحاً، وكان أدبياً، شاعراً، إخبارياً.

ومن الجدير ذكره أن التنوخي لم يتحدث عن إخوته كما تحدث عن جده وأبيه وعمه;
فالأرجح أنه كان وحيد أبوه. أما عن عدم ذكره لأنه قد سار في ذلك على نهج من تقدمه
أو عاصره من المؤرخين والأدباء الذين لم يعرف عن أمهاتهم شيئاً.

ثقافة ومذهبة:

بحكم عمل والده قاضياً عاش التنوخي بين الأهوار والأبار، وقد كان لهذا التنقل أثره
الهام؛ إذ وجه التنوخي (الصوني) نحو العلم، كما كان له أبلغ الأثر في اتساع مدى إدراكه نتيجة
اطلاعه على نماذج بشرية مختلفة.

وقد نشأ التنوخي وترعرع في أسرة عربية عرفت بالعلم والأدب والتأليف، ووصفه
ابن الأثير: "أنه كان كريماً فاضلاً، ذا عقل ومرعوئة".

مات والده وهو في الخامسة عشرة من عمره. ومن شيوخه القفيه والمحذث، وحواره.

---

(1) انظر القرشي، أبو محمد محي الدين عبد القادر بن الوفاء، (ت757). الجواهر المضيئة في طبقات

الحنفية، كم، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1993، ج1، ص151.

(2) انظر الخطيب البعداوي، تاريخ بغداد، ج13، ص157.


(4) انظر أمين، أحمد، (1969)، ظهر الإسلام، (ط5). بيروت، دار الكتب العربي، ج1، ص241.

(5) انظر ابن الأثير، أبو الحسن عز الدين، (ت763). الكامل في التاريخ، 19م، (تحقيق خليل مأمون شحنا).

(6) انظر التنوخي، التصارع، ج1، ص13.

(7) انظر التنوخي، التصارع، ج2، ص339، و ج4، ص339.
الدبيبة والشاعر(1)، وقد كان التنوخي حنفيًا على مذهب والده(2)، ثم انتقل إلى الاعتقاد بمذهب المعتزلة(3) متأثرًا بوالده أيضاً.

شيحوه ومؤدبوه:

تلقى التنوخي العلم على عدد من الشيوخ والمؤدبين، كان لهم الأثر الأكبر في صقل موهبته، ومنهم: أبو العباس محمد بن أحمد بن حماد بن إبراهيم بن تغلب(4) المعروف بالأثر المقرئ البغدادي،(5) وأبو محمد واهب بن يحيى بن عبد الوهاب المازني،(6) والحسن بن محمد بن عثمان بن الحارث النسواني الكوفي الثقفي والمحدث(7)، ومحمد بن الحسن الفضل بن حميد الصيمري وهو مؤدبه،(8) وأبو بكير محمد بن يحيى بن عبد الله بن الحسين المعروف بالصوفي، أحد العلماء بفنون الأدب وطبقات الشعراء وأخبار الملوك والخلفاء، وقد ذكر ابن خلкан أن التنوخي كان قد سمع منه.(9)

(1) انظر التنوخي، التشوير، ج4، ص10.
(2) انظر ابن الجوزي، المنتظم، ج9، ص4249.
(3) انظر ابن الجوزي، المنتظم، ج9، ص4249.
(4) انظر الذهبي، الجبر، ج2، ص166؛ انظر ابن العبد، عبد الحي بن أحمد الحنفي، (ت1089). شترات الذهب في أذاب من ذهب، 3م، (تقيق مصطفى عبد القادر عطاء)، دار الكتب العلمية، بيروت، ج4، ص446.
(5) انظر التنوخي، أبو علي بن المحسن بن علي، (ت327-384 هـ). الفرج بعد الشدة، 5م، (تقيق عبود الشالجي)، دار صادر، بيروت، 1978؛ انظر ابن خلкан، وفيات الأعيان، ج4، ص159.
(6) انظر التنوخي، الفرج، ج1، ص118؛ انظر الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ج13، ص157.
(7) انظر الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ج13، ص157؛ انظر ابن خلкан، وفيات الأعيان، ج4، ص160.
(8) انظر التنوخي، التشوير، ج2، ص229.
(9) انظر ابن خلкан، وفيات الأعيان، ج4، ص159.
الوظائف التي شغلها التنوخي:

في سنة 346 هـ تولى التنوخي الإشراف على دار الضرب بسوق الأهوار، ثم تولى القضاء من قبل قاضي القضاة أبي السائب عتبة بن عبد الله، ولم يتجاوز عمره عشرين عامًا، ثم ولاء الخليفة المطيري سنة 363 هـ القضاء بعسكر مكرم وأيذج ورامهرمز، وتفقد بعد ذلك أعمالاً كثيرة في نواحٍ كثيرة.

ومن الجدير ذكره أن المصادر التاريخية القريبة من عصره، لم تهتم بأن ترتب هذه الوظائف زمنياً، مع أهمية ذلك في تحديد أطوار خبراته العلمية وعلاقة هذه الخبرات بنشاطه التأليف.

استقر القاضي التنوخي بعد ذلك ببغداد، وشملته رعاية الوزير أبي محمد المهري، فأصبح من ملازمي مجلسه، واستمر التنوخي يعمل في بغداد سبع سنوات متصلة بين عامي 349–355 هـ، وذلك يظهر من مجموعة روايات وردت في التشواز حدد فيها زمنها ومكانها.

وقد كان التنوخي في بلاط عضد الدولة مكانة خاصة، إذ كان ينادم عضد الدولة، الذي عينته وألماً على الموصل بعد أن استقر له الأمر فيها، وبعد خمس سنوات من ذلك الوُلد أي في عام 371 هـ تعرض التنوخي لسخط عضد الدولة، فعزله عن جميع مناصبه، وألزم الإقامة.

(1) انظر المصدر السابق، ج4، ص159.
(2) انظر الخطيبي البحضري، تاريخ بغداد، ج13، ص157; انظر ابن الوزري، المنظم، ج9، ص4249.
(3) انظر التفاصيل، القضائي التنوخي وأثاره، رسالة دكتوراة، ص43.
(4) انظر المرجع نفسه، ص44.
(5) انظر التنوخي، النشوار، ج4، ص488.
في منزله؛ ولم يكن ذلك غريباً، فعضد الدولة عزل ونكب كثيراً من خاصته ووزرائه في ذلك العهد.\(^1\)

مكانته العلمية:

حذو التتويخي بمنزلة اجتماعية وعلمية سامية قلما يصل إليها عالم، وقد أشار عدد غير قليل من العلماء إلى مكانته العلمية، فالعالبي قال في وصفه: "هلال ذلك القمر، وغصن هاتيك الشجر الشاهد العادل لمجد أبيه وفضله، والفرع المثل لأصله والذئب عنه في حياته، والقائم عليه بعد وفاته".\(^2\)

أما الفرشي قال في وصفه ووصف عائلته: "وهما فضلاء قضاء".\(^3\)، ولا نجد من العلماء من يحاول الحظ منه ومن قدره، إلا ابن الأثير، عندما تحدث عن عزل التتويخي من جميع مناصبه يقوله: "وكان حنفي المذهب شديد التعصب على الشافعي، يطلق لسانه فيه، قائله الله".\(^4\)

مؤلفات التتويخي وأهميتها:

ويبدو جلياً أن التتويخي عانى كثيراً في نشأته فكتابه المعروف بفترة بعد الستة يوجي بذلك، فقد جمع فيه قصصاً لأشخاص عانوا من الشدة فرج الله بعدها عليهم، وزاد كتبه

---

(1) انظر القدراتacity، القاضي التتويخي وأثاره، رسالة دكتوراة، ص50-53.
(2) انظر الاعلان، أبو منصور عبد الملك بن محمد، (ت429). نبئه الناصر في محاكم أهل العصر، ك، (تحقيق محمد مجد فتحي)، دار الكتب العلمية، بيروت، 1983م، ج2، ص405.
(3) انظر الفرشي، الجواهر المضيئة، ج2، ص151.
(4) انظر ابن الأثير، الكامل، ج9، ص15.
التوخی أهمیة ما اعتمده من مصادر لم تصل إلينا بعد، فقد حفظ في مؤلفاته نصوصاً لتلك المصادر: نحو كتاب الأدب النفیسة والأخلاقيات الحمیدة للطبري، وكتاب فضائل الورد على النرجس لابن لنكك الشاعر، والفرج بعد الشدة للمداحیة وكتاب مناقب الوزراو للمطوق وغيرها.

أما مؤلفاته فهي:

1. نشوار المحاضرة وأخبار المذاکرة.
2. الفرج بعد الشدة.
3. المستجد من فعلات الأجرود.
4. ديوان الشعر.

نشوار المحاضرة وأخبار المذاکرة

اختلت المصادر في ذكر اسم الكتب فبعضها ذكره باسم نشوار المحاضرة(1) مثل:

غرس النعمة (2) وياقوت (3) وابن قطليغا (4) وابن طاوس (5).

(1) نشوار كلمة فارسية ممزقة وهي تعریب للفظ نشوار وتعني ما تبقى الدابة من اللف، وأصل المعنى فيه الجرارة أي ما يخرج البعير مبتئل ليضعه ثب يليعه، انظر الفیروز أبادی، مجد الدين أبو الظاهر بن بعقوب، (ت782)، القاموس المحيط، 4م، دار الحديث القاهر، ج2، ص142؛ انظر أدي شیر، (1980).

معجم الألفاظ الفارسیة الممزقة، بيروت: مكتبة لبنان، ص153.

(2) انظر غرس النعمة، أبو الحسن محمد بن هلال الصادق، (ت704)، الهیجوات النادرة، ط2، (تحقیق صالح الأشتر)، دار الأعریظ، بيروت، 1987، ص18.

(3) انظر الحموی، أبو عبد الله ياقوت الرومی، (ت726)، معجم الأدباء السبکی إرشاد الأربی إلى معرفة الأدب، ط171م، (تحقیق إحسان عبیس)، دار الغرب الإسلامی، بيروت، ج5، ص2280.

(4) انظر ابن قطليغا، زین الدين أبو العمل قاسم الحنفي، (ت787)، تاج التراجم من صنف من الحنفیة، (تحقیق إبراهیم صالح)، دار المأمون للتراث، دمشق، 1992، ص163.

(5) انظر ابن طاوس، رضی الله أبی القاسم علي بن موسی، (ت764)، فرج المهموم في تاريخ علماء النجوم، المطبعة الجدیریة، النجف، 1368هـ، ص168.
والغزولي، والبعض الآخر قد ذكره باسم نشوان المحاضرة؛ مثل ابن خلكان، والديمرى، وأبن دفقم، واليافعي، والسيوطي، وأبن العبد.

ورغم ذلك، فقد أضحى له أن اسم الكتاب هو «نشوان المحاضرة»، والدليل على ذلك أنه قد وردت كلمة النشوان في تضاعيف بعض الروايات، كقوله: في وصف بعض الفضلاء: "طيب النشوان والأدب"، وقوله: رأيت كل حكايته بما أنسيته لو كان باقياً في حفظي لصلح لفnn من المذاكرة ونوع من نشوان المحاضرة". وقوله أيضاً: "حسن النشوان" يريد بهذا النظف أنه طيب الحديث غزير مادة المحاضرة.

(1) انظر الغزولي، علاء الدين، (ت 815هـ)، مطلع البدور في منزل السرور، مطبعة الوطن، 1299هـ، ج 1، ص 97.
(2) النشوان نشأ الرجل من الشراب، نشأ ونشوة ونشوة كله سكر وتعني السكرات. انظر ابن منظور، لسان العرب، مادة نشأ، انظر ابن فارس، أبو الحسن أحمد بن زكريا، (ت 395هـ)، مجمل اللغة، ط 1، 4م، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1984، ج 3، ص 868؛ انظر ابن السكين، يعقوب بن يسحاغ، (ت 652هـ)، كتاب الألفاظ، ط 1، مطبعة لبنان، بيروت، 1998، ص 361؛ انظر أثير، معجم الألفاظ الفارسية، ص 154.
(3) انظر ابن خلكان، وفتي الأعيان، ج 4، ص 159.
(4) انظر الدميري، كمال الدين محمد بن موسى، (ت 808هـ)، حياة الحيوان الكبير، 2م، مطبعة حجازي، القاهرة 1367هـ، ج 1، ص 89.
(5) انظر ابن دفقم، إبراهيم بن محمد بن أيتمر، (ت 748هـ)، الانتصار لواسطة عقد الأنصار، 2م، المكتبة التجارية للطباعة والنشر، بيروت، ج 5، ص 2.
(6) انظر يافعي، عبد الله بن عبد الرازي، (ت 768هـ)، مرآة الجناين وعبرة البصق في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان، مؤسسة الأعلام للملطبوعات، بيروت، 1970، ج 2، ص 419.
(7) انظر السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن، (ت 611هـ)، المزهر في علوم اللغة وأنواعها، نشره محمد علي، صبح، 1946، ج 2، ص 215.
(8) انظر ابن العبد، الشذرات، ج 4، ص 446.
(9) انظر النوني، الناشوار، ج 1، ص 10 و 29.
(10) انظر المغيري، عبد القادر، (ت 1923هـ)، طاقة أزهر من النشوار، مجلة المجمع العلمي العربي، دمشق، م 4(4)، الأجزاء 1، 2، 3، 11، ج 1، ص 27.
ويظهر أن التتوخي بدأ بتأليف كتابه هذا في سنة ستين وثلاثمائة، فهو يقول في مقدمة
الجزء الأول من الكتاب "إنى حضرت المجالس بمدينة السلام في سنة ستين وثلاثمائة، بعد
غيبتي عنها ستين، فوجدها مختلطة ممن كانت به عامرة."(1)

أما طريقة في تأليف هذا الكتاب فتختلف عن سبقه من المؤلفين، فالتدوين لم يرغب
هذا الكتاب في أبواب وصولات معلاً ذلك بقوله: (2) فأوردت ما كتبته مما كان في حفظي سالفاً
mختلطة بما سمعته آنذاً من غير أن أجعله أبواباً مبوبةً، ولا أصنفه أنواعاً مرتيبة، لأن فيها
أخباراً تصلح أن يذكر بكل واحد منها في عدة معان... وكان إذا وقف قارئه على خبر من أول
كل باب فيه، علم أن مثله باقي، فلأتريقه جمعه ارتقاءه ونشاطه، وضاق فيه توسعه
وابتساطه، ولكن ذلك يفسد أيضاً ما في آثاره من الفصول والاشعار. (3)

وهو يفتخر كثيراً بهذا الكتاب ميمناً، أنه ينفرد عن غيره من المؤلفات بهذا الأسلوب في
التدوين وهو بذلك "جنس وأصل". (4)

ويبعد أن الذي دعا التتوخي إلى تأليف هذا الكتاب عدة أسباب أهمها:

1. خشيته من ضياع كثير من أخبار الملوك والممالك بعد أن مات أكثر العالمين

بهذا الجنس، كما أنه حضر المجالس ببغداد، ووجدها "مختلطة مما كانت به
عامرة، وبذاكرة أهله ناظرة، ولقيت بقايا من نظراء أولئك الأشياخ وجرت

---

(1) انظر التتوخي، الشوارع، ج1، ص10.
(2) انظر المصدر نفسه، ج1، ص13.
(3) انظر المصدر نفسه، ج1، ص12.
(4) انظر المصدر نفسه، ج1، ص13.
المذكرة، فوجدت ما كان حفظي من تلك الحكايات قديماً قد قلّ، وما يجري من
الأقواف في معناه قد اختلّ، فتأتيت ما بقي على ما كنت أحفظه قديماً؟(1)
2. أراد التنوخي أثاث أهمية العلماء في عصره، وارتفاع قدرهم عمّ تقدمهم من الزمان.
3. يذكر التنوخي أنه ألف كتابه "ليستفيد منه العاقل الأريب، الفطن الأريب، ويجد فيه
ما يبحثه على العلم بالمعاش، والمعاد والمعرفة بعواقب الصلاح.(2)
وقد طبع هذا الكتاب عدة مرات، حتى جاء عبود الشالجي، فأكمل هذا العمل حيث قام
بجمع ما تيسر من مخطوطات الكتاب المنتشرة بدور المخطوطات في العالم، ثم أعاد دراستها
وتحقيقها من جديد.(3)

كتاب الفرج بعد الشدة

هذا كتاب وسط بين المستجاد وكتاب الشوار من حيث حجمه، وهو مجموعة من
الأخبار اتفقت لأناس أصحابهم بعد الشدة فرج، من ضمن هؤلاء مؤلف الكتاب الذي بدأ بوضعه
في أواخر أيامه.(4) على أثر محسن تعرض لها، وشهدت إبطالي بها ثم نجا منها.(5)
وقد أودع التنوخي فيه(6) أخباراً استنثها من الكتب، وأضاف قسماً من مسوماته ومشاهداته،

(1) انظر المصدر السابق، ج1، ص10.
(2) انظر المصدر نفسه، ج1، ص12.
(3) وقد شكل شكري فصل في عمل عبود الشالجي، انظر فيصل، شكري، (1973). نشر الحاضرة خلال
نصف القرن وزيد، مجلة مجمع اللغة العربية، دمشق، م(48)، ج2، ص259.
(4) انظر التنوخي الفرج، ج2، ص286.
(5) انظر المصدر نفسه، ج1، ص52، ص74.
(6) انظر الحموي، معجم الأدباء، ج5، ص2280.
وشملت هذه القصص والروايات أخبار بعض الأنبياء والصحابة الذين تحققت بالنسبة عليهم الصلاة والسلام، وخصوصاً من العصر الراشدي وأخرى من العصر الأموي، ولكن أغلب الروايات التي نقلها التوخي في كتاب الفرج تعود للعصر العباسي.

وقد وصف الثعالبي كتاب الفرج بقوله: "وله كتاب الفرج بعد الشدة وناهيك بحسنه، وإمتناع فإنه، وما جرى من الفعال بينه، لا جرم أنه أسبب من الأمثال وأسرى من الخيال.

وذكر بروكلمان مخطوطات هذا الكتاب وأماكن وجودها، والمؤلفين الذين اختصروا، أو هدبو، أو ترجمو، أو قدتوه في منحا في اللغة التركية، وجعل منهجه في الكتاب الإيجاز الاختصار، وانتقل الحساررون تزك اكتر، لأن اكتر تصيب القارئ بالملل.

وبين التوخي أنه لم يصل إلى درجة الكمال في كتابه، ولهما يجد في القارئ بعض الأخطاء فقال: "وجاء راغب إلى من يصل كتابي إليه ويشتغل حوله، أن يصفح عما يثير به من زلل، ويصلح ما يجد من خطأ وخلل ".

---

(1) انظر القدحات، القاضي التوخي وآثاإ، رسالة دكتوراه، ص 65-66.
(2) انظر الثعالبي، البيتية، ج 2، ص 405.
(3) انظر بروكلمان، كارل. تاريخ الأدب العربي. (ط5)، نقله إلى العربية عبد الحليم التجار وآخرون، دار المعارف، بيروت، ج 3، ص 145.
(4) اختصره علي بن أبي طالب على الحلي، وسماء نجاة المنهج ومنه نسخة مخطوطة في باريس، انظر بروكلمان، تاريخ الأدب، ج 3، ص 145.
(5) هنله بتصريف محمد عوفي في جامع الحكايات وجوام الروايات، انظر بروكلمان، تاريخ الأدب، ج 3، ص 145.
(6) ترجمه إلى الفارسية، الحسين بن أسعد بن الحسين الدهشتني وقدمه إلى طاهر بن زنكي، انظر بروكلمان، تاريخ الأدب، ج 3، ص 145.
(7) انظر القدحات، القاضي التوخي، الفرج، ج 1، ص 55.
(8) انظر المصدر نفسه، ج 1، ص 55.
المستجد من فعلات الأجواد

هذا الكتاب أصغر كتابه، حيث جمع فيه أخباراً عن الكرام منذ عصر ما قبل الإسلام،
حتى عصره، وقام بتحقيقه ونشره محمد كرد علي (1)، ونشر قبل ذلك من قبل باولي (2).
وكان تأليفه لكتاب المستجد بعد (373 هـ)، والدليل على ذلك أن هناك خمس عشرة
حكاية من حكايات الفرج موجودة في المستجد (3).

ولعل السبب الحقيقي الذي دفع الفاضل التنوخي إلى تأليف هذا الكتاب هو انتشار
الفقر، ووضيق أحوال الناس، نتيجة للظروف الاقتصادية السيئة في ذلك الحين، ففي إحدى روايات
الشمار نجد يقول: "تجارينا ذكر شدة زمانا وفقر الناس فيه، وضيق أحوالهم واستباحهم
البخل، حتى إن بعضهم يسميه احتيالاً، وبعضهم أصلاجاً، وتوصية الناس بعضهم بعضاً به،
وتحذر التجار من معاملات الناس، ومسك أيديهم عن الإحسان إلى أحد، وأن ذلك في الأكثر
لضيق أحوالهم (4). فأورد التنوخي هذه الروايات، بهدف تزويج الكرام والكرماء، وحث الأغنياء
على العطاء والإنفاق (5).

(1) نشر عن دار التراقي، دمشق، 1946 ثم أعيد نشره عام 1970.
(2) نشره في شتوتجرت بألمانيا بالتزكيرغاف عام 1939. انظر بروكلمان، تاريخ الأدب، ج3، ص146.
(3) انظر الفهدات، القاضي التنوخي وآثاره، رسالة دكتوراة، ص69.
(4) انظر التنوخي، الشمار، ج2، ص275.
(5) انظر الفهدات، القاضي التنوخي وآثاره، رسالة دكتوراة، ص69.
وقد اقتبص التنوخي حكايات الكتب من مصادر لم يذهب عليها في الغالب، ونسب السند إلى مجهول كقوله "روي وقيل وحكي" وأغلب الظن أن التنوخي عند ما استعمل هذه الطريقة كان يريد لهذه الحكايات وال حوادث أن تروى وتنتشر بين الناس، بليستن لها الشيوخ والانتشار.  

وأمم ما يميز هذا الكتاب عن غيره من مؤلفات التنوخي هو فصاحة لغته، وعدم استخدامه الألفاظ العامية التي أكثر من استخدامها في مؤلفاته الأخرى.

وحول تأليف الكتاب قال في مقدمتته المقتضبة أن أحد الأشخاص طلب أن يجمع له من أخبار الأجواد أجودها، ومن فعالات الكرام أسانها، وأرشدها".  

**ديوان الشعر**

ذكر الخطيب البغدادي أن القاضي التنوخي كان أديباً شاعرًا، وأشار التاليمي إلى ديوان شعر من نظمه بقوله: "أخيرتي أبو نصر سهل بن المرزبان، أنه رأى ديوان شعره ببغداد

أكبر حجماً من ديوان شعر أبيه". ولكن هذا الديوان لم يصل إلينا، وما لدينا من شعره لا يتجاوز المقطوعات المعددة الأبيات، ومن مطالعة هذه المقطوعات، نجى أن التنوخي كان يميل

---

(1) انظر د. رويش، سلوى عبد الفتاح، (1994). المحسن بن علي التنوخي: حياته ودراسة تحليلية لآثاره. رسالة ماجستير غير منشورة، الجامعة الأردنية، عمّان، الأردن، ص 143.


(3) انظر التنوخي، أبو علي المحسن بن علي (ت 327 - 384 هـ). المستجرا من فعال الأجود، دمشق، ص 39.

(4) انظر الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ج 13، ص 157; انظر الباقعي، مرآة الجنان، ج 2، ص 419; انظر ابن قطليغا، ناج النجوم، ص 163.

(5) انظر الثعالبي، البيتة، ج 2، ص 405; انظر النحوي، معجم الأدباء، ج 5، ص 2281.
إلى النظم في الأغراض الشعرية المعروفة منها: الغزل، والهجاء، والمدد، والتهاني والحكمة والشكوى من الزمن.¹

ومن شعره في الهجاء، ما قاله في أحد المشايخ، وقد خرج ليستقي، وكان في السماء سحاب، فلما دعا صحت السماء، فقال التنوخي:²

خرجنا لنستنشق بينم دعائه
ومادعه أن يبلغ الأرضا
فما تتم إلا والغمام قد انفضضا

وفاته:

توفي أبو علي التنوخي مرحبا الله في بغداد في إبله الثاني لخمس بقين من محرم سنة أربع وثمانين وثلاثمائة عن عمر ناهز السابعة والخمسين عاما.³

---

¹ انظر القدرات، القاضي التنوخي وآثاؤه، رسالة دكتوراه، ص 71.
² انظر التفالي، التهامة، ج 2، ص 405; انظر الحموي، معجم الأدباء، ج 5، ص 2818; انظر الكتبي، محمد بن شاكر، (تم 764)، قوات الوفيات والذيل عليها، كم (تحقيق إحسان عباس)، دار صادر، بيروت، 1974، ج 2، ص 80.
³ انظر الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ج 13، ص 157، وانظر ابن الجوزي، المنتظم، ج 9، ص 429.
⁴ وانظر ابن الأثير، الكامل، ج 7، ص 204، وانظر الصدفي، المواقف بالوفيات، ج 4، ص 46، وانظر ابن خلكان، وفات الأعيان، ج 4، ص 162، وانظر الذهبي، العصر، ج 2، ص 166، وانظر النبري، الجوهر الحضينة، ج 2، ص 151.
جسم المرأة في كتب التنوخي

أولاً ما تجد ملاحظاته من القصص المنقولة من أدب التنوخي أن المناهاج بأوصاف المرأة
الجسمية لم يحظ باهتمام يذكر، فلم يرد في أي قصة من هذه القصص أي وصف تفصيلي لجسم
المرأة، ولم يرد في أي منها أي إشارة للجسم الأنموذج حسنة أو قبيحة.

وثاني ما تجد ملاحظاته على هذه القصص أن التعبير عن جمال المرأة كان يتخذ منحى
الأوصاف العامة كأن تشبه المرأة بالنار، أو أن توصف بأنها أجمل ما وقعت عليه عين، أو أنه
لم يكن لها مثيل في الحسن من قبل، ولن يكون لها مثيل من بعد (1).

وثالث ما يلاحظ على هذه القصص أيضاً أن إشارات كثيرة كانت ترد إلى زينة المرأة
وعطرها، وطيبها، وبخورها، وملاسستها الفاخرة (2)، ومن ذلك مثلاً، أن أم المقتدر كانت تحشو
نعالها بالمسك، كما كانت المرأة التي قال لها زوجها طلما تتزين بالحريمية الذهبية الفاخرة التي
اختطفها العقوق، فأوقع الزوج في الحب، وأما المرأة التي أصرت على مضايقة ابنها فقد
تبخرت له وتطببت (3).

رابعاً ما يلاحظ أن قصة واحدة أشارت إلى عيب خلقي وهو النمش، وذلك في قصة
عوزف المتوكّل عن شراء جارية من الجواري، إذ اعتبر ذلك مما يعجب في وجه المرأة، ولكن
بئاً من الشعر كان كافياً لإقناع الخليفة بتغيير رأيه (4).

---

(1) انظر الملحق، القصص 68: 66-67
(2) وقد فصلت رولا النجار الحديث عن مظاهر الترف في زينة المرأة في العصر العباسي. انظر النجار، رولا
حمدان، (2001)، صورة المجتمع في القرن الرابع الهجري في مصنافات التنوخي، (الفرج بعد الشدة، والمستشار
من عقول الأجواء وتشاور المحاضرة وأخبار الذاكرة). رسالة ماجستير غير منشورة، الجامعة الأردنية،
عمان، الأردن ص 99-101.
(3) انظر الملحق، القصص 53، 54، 56 على التوالي، وكذلك القصص 61، 66.
(4) انظر الملحق، قصة 70.
وخلاصة القول إن جسم المرأة لم ينهض بوصفه بعداً بارزاً في صورتها المرتبة في

أدب التوخي.
لعل من المفيد الاستذكار أن الصفات لغيات هذا البحث تعني السجية أو النقيصة التي تتحكم في السلوك الذي يتجدد كلما طرأ موقف يحكم فيه إلى هذه السجية أو النقيصة(1)، وسوف يلاحظ أن الصفات نسبية وأنها تندرج عادة ضمن خط بياني يمتد من القمة إلى الحضيض، وأبرز الصفات التي رصدتها الدراسة للمرأة في أدب النتوخي ما يلي:

1. حسن التدبير والدهاء :

هاتان صفاتان تقومان على درجة عالية من الفطنة والذكاء، وتوظيف المعلومات؛ من أجل الخروج من أزمة أو حل مشكلة، أو تحقيق منفعة، أو دفع ممثرة في حدود ما يقدر الشخص الذي صدر عنه السلوك.

(1) انظر ص 26و 27 هذا البحث.
فأما حسن التذكير فصفة تقوم على المهارة في التخلص من مأزق، أو في الحصول على منفعة لا تتكرر منظومة الخلقية الرائجة في المجتمع، وأما الدعاء فيدفع إليه التحدي لقيمته الاجتماعية أو الهدف إلى إيقاع أدى من غير وجه حق، أو لتحقيق منفعة تتكرر منظومة الخلقية التي يتنباه المجتمع.

وأورد النقوشي قصص عدد من النسوة. أتضح كل واحدة منهن بنوع من الدعاء. أما القصة الأولى فهي قصة أم الولد التي توفي عنها زوجها، فقامت بإخفاء كثير من مفردات تركته حتى لا يستفيد منها سائر الورثة، وقد نجحت في إقناع القاضي باستشادة بخبر أورده الجاحظ بأن تركه الورثة انصخرت في سراويلات، فحكم القاضي لها ورد تعيين سائر الورثة لصدام وجود البيئة، مع أن الحقيقة أن السراويلات لم تكن إلا إجزاء صغيراً من التركه.

فالواضح أن الدعاء إلى سلك هذه المرأة كان لحرمان الورثة من حقوقهم الشرعي، وهذا يمثل أدى واستهتراراً بقيمة اجتماعية مصغرة، غير أن هذه المرأة كانت قد أدت مهارة في إحكام حيلتها بما صنعت حين أخفت مفردات التركه، فسكونها هذا دال على الدعاء والخبث.

أما الثانية فقصة الخادمين اللذين شهدا زوراً على جارية بأنها تخلع مالكها، فقد أقدما على مثل هذا الفعل بتدبير وبرشوة من إحياء ملك الجارية التي أمرتهمَا ألا يبوحا بشيء بدين الجارية حتى يتعرضوا إلى العذاب، ولكن الأمر اكتشف وأقرت المرأة بما فعلت.

وكانت المرأة تنجح في حيلتها لولا تنفي غير منظم أو توبة طرأت عليها، إلا فقد كان دهاء من شأنه إنشاء الجارية من غير ذنب، وإيذاء مالكها من غير أن يعلم، فهو دهاء إذاً، وإن يكن اقترن في نهاية المطاف بفشل المسعي.

(1) انظر الملحق، قصة 57.
(2) انظر الملحق، قصة 74.
و تتعلق القصة الثالثة بجديد التي ألبيت صديق عشيقها ملاساها، وأرسلته لنجام في سريرها، وبينت له ما يكون من زوجها، وتخطيطها هذا يكشف عن دهاء واضح ينطوي على فهم لمجريات الأمور، وقد استخدم لتحقيق مأرب شخصي لا يستقله الخلق الاجتماعي، ولا يست güne أحد من الناس، الأمر الذي يضعه موضع الدهاء لا موضع حسن التدبير.

ومن القصص الدالة على دهاء المرأة قصة قهرمانة أم المقتدر التي عشقت ناجراً، وأرادت أن تتزوجه، فاشترت عليها أم المقتدر ألا تجوز ذلك الزوج حتى ترى ذلك التاجر بنفسها، ولم يكن ذلك مسيوراً إلا أن يدخن الرجل دار الخلافة بحيلة، فرحت القهرمانة(2) ذلك الأمر معاًridiculous التسببها بإحكام حتى أخذها الرجل إلى قصر الخلافة، وأبلغها عن غير أن يفعل إلى ذلك. أهدي ممن يخشى منه، ثم إنها تزوجت ذلك التاجر، وعامت منه في أوسع نعمة(3).

لقد كانت القهرمانة راية الجاهل سيدة الرجل في الطرفيات التي أتخذتها، وفي الأشخاص الذين استعنا بهم حتى تمكنوا من إدخال التاجر خمسة إلى بيت الخليفة، ثم أخرجته منه، ورتبوا لزواجها منه، فلم يكشف عن ذلك شيء، ومع أن دخول الرجل وخروجه كانا محفوفين بالمخاطر، إلا أن القهرمانة كانت حاضرة البديهة في كل موقف من غير أن ترتد أو يظهر عليها شيء من قلق، وإذا كان مشروعاً أن تعمل المرأة على أن تزوج نفسها من تجب، فإنه ليس مشروعاً لها أن تدخل إلى بيت زوج مالكتها رجلاً غريباً من غير إذن من صاحب البيت، وعلى ذلك فإن احتباباً لتزويج نفسها يدخل في نطاق حسن التدبير في حين أن عدم مراعاتها لحرمتي البيت يدخل في عداد الدهاء فهي إذاً متصفة بالأمران معاً.

(1) انظر الملحق، قصة 88.
(2) هو كالخازن والوكيل المحافظ لما تحت يده والقائم بأمر الرجل بلغة الفرس. انظر ابن منطور، اللسان، مادة قهرم.
(3) انظر الملحق، قصة 63.
وعلى النقيض من ذلك، قصة اللص النائب الذي سرق كيساً من صيرفي موسر، فثقت عنه عجوز تصدت له مع كبلها وأشعرت الملأ بأنها عرفته، وأنها تود إكرامه، فدعته إلى بيتها فأقام فيه ثلاثين، ثم إنه لما لاح ترك المنزل لم يفلح في ذلك؛ لأن الكلب حال بيه وبين ما بريض، فلما استأذن العجوز قالت له: "هات الذي أخذته من الصيرفي، وأمض حبشي شنت، ولا تقم في هذه المدينة؛ فإنه لا يتهيأ لأحد معي عمل" (1). إن هذا التصرف ينتم عن ذكاء ورباطة جأش لا شك فيهما، وقد أثبتهما العجوز في تعاملها مع اللص الذي تاب من بعد، وقد وظفت ذكاءها لغابات السرقة التي لا يقرها المجتمع.

أما صيد فقد كانت تستخرج الضحايا لسرقة أمورهم عن طريق إغرائهم بجارحة، وتوقع بالواحد منهم بأن تقدمه مع الجارية إلى بيت يتم فيه قتله وسلبه (2). هذا التخطيط يدل على دهاء محكم من العجوز والجارحة إذ قالتا بينود أن أدى إلى إيقاع أعداد كبيرة من الناس في هذا الشرك، فالتجارة الذي تمكن أخيراً من قتل الأسود يذكر أنه وجد في البئر في الساعة الأولى غروتا يه أشلاء ثلاثة قتلاً قبلاً، وهذا يدل على ذكاء مستخدم لتحقيق غاية إجرامية يرفضها المجتمع لأنها تقوم على الخداع لأجل سرقة الأموال وقتل الأبرياء.

وفي قصة المرأة التي بلغت كثرة ذنوبها جداً جعل أهلاً القبور يخرجون من قبورهم متضرعين إلى الله ألا تدنى إلى جانبهم خشية التذأى من سماع صوت عذابها (3)، خطة محكمة في كل مراحلها، ولكنها كانت تستهدف استباحة ما حرم الله، وما يكره المجتمع، فهو دهاء محض لا عذر فيه لمعتذر.

---
(1) انظر الملحق، قصة 72.
(2) انظر الملحق، قصة 68.
(3) انظر الملحق، قصة 66.
ولا تغيب عن الأذهان قصة نبئية للقبور التي دأبت لمدة سنتين على أن تتوجه ليلاً إلى المقبرة، فبنيت قبل من كان قد دفنه من جلة القبور هناك، فتستخرج كفنه إلى أن جمعت ثلاثماثة كفن أو ما يقاربها، إن هذه الفتاة أحكمت خططها إحكاماً مكينًا من ستر ما كانت تقوم به لمدة سنتين فلم يكشف أمرها إلا غريب طارئ قادته المصادفة إلى تلك المقبرة في تلك الليلة، وبعد ذلك بقيت رابطة الجأش، وترتبت لأمها سلسلة من التصرفات كان من شأنها أن تخفى الأمر عن الناس لولا أن هذا الغريب أفحض نفسه على غير علم منه في حياة هذه الفتاة وأسرتها حتى اكتشف أمرها له، ورغم هذه التطورات الخطيرة بقيت هذه الفتاة محافظة على توازنه تتحين الفرصة للتخلص من هذا الطارئ الذي فرض نفسه عليها وعلى أسرتها، فكادت تذبحه لولا أنه عرض عليها عرضاً، أنهاء من التهلكة وأنجاهما في من الضيافة فغادر البلد ولم يعد إليها.

إنه ذكاء واضح وإحكام في التخطيط والتنفيذ وتصميم على تحقيق الهدف، ولكن نبش القبور وإخفاء الأكفان وذبح الرجل الذي أصبح زوجها كانت تصرفات يبداها المجتمع، الأمر الذي يدل على أن المرأة موضوع القصة، كانت تتمنع بدهاء مذهل يعجز عنه الكثيرون.

وفي مقابل هذه القصص أورد التدويني قصص عدد من النسوة اللاتي اتصفن بحسن التدبير، فأم الصيرفي العجوز شعرت بلص قد تسيل إلى بيتها ليلاً، وقد كان يخطط لسرقة كبس نقود ابنها، فتمسكت هذه العجوز ببراطة الجاش، وتصرفت بهدوء حتى تمكنت من حبس اللص الذي كان يدعى أنه جبريل عليه السلام، وحين حل الصباح اكتشف أمره وافضح مساعه.

وبعد واسحاً من هذه القصة أن هذه العجوز التي وصفت بأنها عزلة، وبأنها جيدة، كانت في مأزق ولم يكن لها بد من إنقاذ نقود ابنها من غير أن تعرض نفسها للأذى، وليس من

(1) انظر الملحق، قصة 61.
(2) انظر الملحق، قصة 59.
باب المصادفة أن تكون هذه المرأة معزلة بل لعل القصة كلها جيء بها للتليل على مهارة
المختلطة جميلة في استخدام العقل الذي كان من أبرز ما عرفوا به حتى سوا أهل العقل.
وأورد التتوخي قصة الجارية التي حملت إلى مسجد القرية جامع (2) فالميال حار، وأزمعت
الرجل الصوفي ورفقها على أكلها بالقوة إنذاراً لملكتها من الوقع تحت يمين طلاق زوجها (3).
فقد حققت الجارية مصلحة مشروعة لملكتها بذكائها وإصرارها وحسن تدبرها، كما كشفت عن
موقف راوي هذه القصة من المتضوحة الذين عرفوا بالبساطة وبالفهم في أن معاً، فتكونا حريكت
للتشهير بالمتضوحة.
أما خالة المختلطة فقد كانت ماهرهة في حسن التذكير إذ أبانت أنها جعفر الشيرزاد لما وقع
في الملحمة مع بجكم (4) وضاقت به الدنيا، فقد اتخذت جميع الاحتياطات اللازمة لحمايته، ومقدم
انكشف أمره، وقد توارق لها من المعرفة ما كننا من ستر خبره حتى عن أهل بيتها، وما فعلت
ذلك إلا حماية له من بجكم الذي وصفته بأنه: جاهل ظالم لا يرعي حرمة لأحد (5) ، فوقع فعلها
في عداد حسن التذكير صيانة لقمة من القيم التي يتعز بها المجتمع الإسلامي والعبري، وهـ:
إغاثة الملموسة وإجارة المظلم، فضلًا على التشهير بالظلمين.

ومن ذلك أيضاً ما جاء في قصة المرأة التي حاول أحد الجنود اعتصامها، ولما غلبت
على أمرها ما كان منها إلا أن قالت للجندي: "أغلق الباب الذي بقي عليه أن تغلقه قال: أي باب

(1) أنظر أمين، أحمد، (1978)، صحي الإسلام، (ط9)، الدار النشر: مكتبة الهجرة؛ أنظر أمين، أحمد،
(2) السجان: جمع جاما، وهي إبناء من فصيلة، انظر ابن منصور، اللسان، مادة جوم.
(3) انظر الملحق، قصة 60.
(4) بيجكم أبو الخير الأمير التركي كان أمير الأمراء قتل ملك بني بويه، توفي رحمه الله تعالى سنة تسع
وعشرين وثلاث مائة، وكان بين موت الراضي وقتل بجكم أربعة أشهر وأيام. انظر الصقلي، الواقفي
بالوفيات، ج10، ص 48.
(5) انظر الملحق، قصة 80.
هذا؟ قالت: الباب الذي بينك وبين الله، فقام عنها وقال: "أخرجي قد فرج الله عليك فخرجت ولم يتعرض لها".  

ففي هذه المحبة الشديدة بقيت المرأة رابطة الجأش محذرة بنتاً، ونثرت كلمات حكيمات مكتبتها من الخروج من المحبة التي كانت فيها، فكان ذلك من حسن تدبيرها، ومن حكمتها في معالجة الأمر؛ وذلك فضلاً عما فيها من إيماءة ذكية إلى ظلم الجند.

إن هذه القصص في مجملها تخلص إلى القول: إن صورة المرأة عند التنوخي كانت أقرب إلى الدهاء المقترن بالفسوقة، وارتكاب الجرائم، والقدرة على إخفاء معالم ما تقترف إلى أن يتدخل عامل طارئ ما كان يمكن أن يكون في الحب. غير أن قصص التنوخي لم تصنف النسوة في ذات القدرة على الدهاء فأورد قصص ثلاث نسوة مارستها ولكن دون عظم، إذ أو ذكاء.(2). وفي مقابل ذلك أورد التنوخي قصص أربع نسوة اتصفهن بحسن التدبير، وله على تفاوت، فكانت في مقدمهنّ المرأة التي حاولت الجندي اغتصابها إذ خففت بالقوة، والقدرة فغلبته بحسن تدبيرها، ومن ثم العجز المعتزلي الذي تمكتن من إفشاء محاولة اللص لسرقة كيس نقود ولهما، وبعد ذلك تأتي خالة المقترن الذي اضطرتها طرفها من إحكام حكمة إجارة أبي جعفر الشيرازد، وأما قصة الجارية حاملة الفالوجر فإن حسن تدبيرها يتمثل في إشرافها على البحث عن مخرج لحماية ملكتها من الطلق حتى إنها تجرأت فيصفعت الرجل الشيخ.(3). فالغالب على ما يبدو أن التنوخي رسم نساء مثبتات، ولكنه كان أميل إلى تصوير المرأة على أنها متصفة بالدهاء المقترن بالفسوقة واحتراف الجريمة.

(1) انظر الملحق، قصة 75.
(2) انظر الملحق، القصص 57، 74، 88 على التوالي.
(3) انظر الملحق، القصص 75، 59، 80، 60 على التوالي.
2. الوفاء والإخلاص في مقابل الغدر والخيانة:

يبرز التفاوت جلياً بين النساء في مدى تمكن كل منهن بصفة الغدر، أو الوفاء، بل إن الممتتعات بهذه الصفة أو تلك قد لا يتساوين فيها، فمنهن من تصل إلى أعلى درجات الوفاء والإخلاص، ومنهن من تهوي إلى أدنى درجات الغدر والخيانة، ففي حين يورده التوخي قصصاً تتميز بطلاتها بالوفاء، يورد أيضاً قصصاً لا تخلو من الخيانة الموغلة.

فقصة الجارية حاملة الفالوذج الحار تعبير عن وفاء تلك المملوكة لمالكتها؛ إذ إنها مازالت تتجه نفسها في البحث عن عريبين يأكلان الفالوذج لولا هذا الوفاء، فقد كان يكنيها أن تأكل هي ذلك الفالوذج الحار، أو أن تعطيه لأحد من غير أن يكون غريباً، أو أن ترميه على قارعة الطريق مدعية أن غريباً قد امتدت بيدا لأكله، لكن وفاءها منعها من ذلك قطعاً. 

وذلك فإن المرأة التي كانت تتعنٍّى بشعر موجه إلى زوجها الذي فارقها لطلب السرقة بقيت على عهده رغم طول الفراق بينهما، بل ظلت تتعنٍّى بتعلقها بزوجها، وتعاطبه على تركها وفرقاً وهي لا تستنكرا إلا بخير، وتتمتنى عودته وفاء لعهده.

ومن ذلك أيضاً وفاء تلك الجارية في قصة صيد شريكتها في جرائم السرقة لشريكتها الأسود حتى بعد موته، فقد طلب من قاتلها أن يقتلها لما علمت أن شريكتها قد أطيح برأسه، وعلى الرغم من أن المحقق في هذه القصة يمنح فعلة الجارية إلا أنه ليس ممكناً إنكار وفائتها لشريكتها، وربما قبل إن هذا الوفاء ضرب من ضروب الإصرار على الفعل الجرمي؛ لأن الوفاء

---
(1) انظر الملحق، قصة 60.
(2) انظر الملحق، قصة 69.
(3) انظر الملحق، قصة 68.
إذاً يكون مبدأً من الخمسة، والواقع أن عدم الإخلاص بالعهد لا بد أن يعتبر وفاة بالرغم من أي اعتبار آخر، أما سائر الشروط فتقدر بقدرها كما سلف بيانه عند استنفاذ مدى دهاء هذه الجارية(1).

وفي قصة لبيب العابد(2) الذي كان مملوكاً رومياً لبعض الجنود، فأعتقه قيل موته أنَّهُ تزوّج أرملة مولاه حين مات عنها راغباً بذلك أن يصونها، فابتلع بمرض أنزيم الفراش، وأفقده القدرة على الحركة والكلام.

إن محور القصة يدور هنا حول سمعه لزوجته وهي تتحدث إلى جارة لها فقتول عنه: 

"إنه ليس حياً فيرجى ولا ميتاً في生命周期ي، فأصابة حديثاً بالشدة، هذه الزوجة مع كل هذا لم تخون، ولكنها لم تراع مشاعر زوجها الذي تزوجها أحساساً من إليها، فهي ليست خائنة تماماً، ولا وفية تماماً بل هي في منزلة بين المقلدين، الرسائل الجامعية.

وتتعدد أشكال الخيانة عند المتذوخي، فمنها ما جاء في قصة المرأة التي كره الموتى أن تدفع معهم في ذات المقدرة إذ كانت تخون زوجها في اليوم مرة أو مرتين مع رجال تدخلهم إلى بيتها من غير علمه، ثم إن الأمر وصل بها إلى أن تخونه مع ابنهما(3).

هذه خيانة بالغة اقترنت حتى بغير ابنها إذ جعلته يعذرها، وجعلته بعد ذلك يعذر أخته منها، ويتزوجها وهو على غفلة من كل شيء.

(1) انظر ص 9 من هذا البحث.
(2) انظر الملحق، قصة 84. ولبيب العابد رجل مشهور بالزهد والعبادة حتى لقب بالعالم، كان مملوكاً رومياً لبعض الجنود فرعاً، وكان كثيراً ما ينزل بباب الشام من الجانب الغربي بيбудد. انظر ابن قادم المقدسي، أبو محمد عبد الله بن أحمد(720-1382)، كتاب التوابين، ام، (تحقيق عبد القدار الأرناؤوط)، دار الكتب العلمية، بيروت، 1983، ج1، ص 276.
(3) انظر الملحق، قصة 66.
وها هي زوجة القراد وقد بات في خان معها مصطحبًا قرده حين مكانت القرد منها
والناس نَبَام(1)، هذه قصة بالغة في الخيانة جعلت المرأة تخون زوجها مع قرد، وهي إلى جانب
زوجها في خان ما بين الناس من غير أن تزعم أو تترد، وهي خيانة موقرة بالاستخفاف
بالزوج ويشاهد العيان الذي رأى بالم عينه ما حدث.
وتصور قصة الرجل الذي جاء إلى المنصور يشكو إليه فقد أُمور كثيراً أفادها من
تجارة انجر بها خيانة الزوجة لما انتمت عليه حين كانت تتغلمه إلى عشيق لها(2).
وكذلك خيانة زوجة الحسن بن مالك العنيوي التي أدخلت رجلاً من أصدقائه إلى بيته،
فمكنته من نفسها، فلمما علاها وَلَب عليها كاب الحسن وقال لها معاً(3)، فعلى الرغم من أن الحسن
ينسب الخيانة إلى صديقه فيما يرويه من الشعر إلا أن الخيانة ما كانت لتم وَلَأ أن زوجته كانت
هي المبادرة إلى الخيانة.
ومما يجب التنبيه عليه أن هذه القصة ليست الوحيدة التي أوردها النَتوخ، وجعل
محورها خيانة الزوجة لزوجها، ووفاء الكلب لصاحبه، وقته الزوجة والعشيق، ولكنها كانت
الأولى التي كانت الزوجة فيها مبادرة إلى المراودة.
وقد اختبرت هذه القصة من بين سائر التصوصات في الجزء السادس من
النشوار(4) حتى لا تكبر قصص تكون بذات المعنى، فقصد البحث، وتحرف مساره عن وفاء
المرأة إلى وفاء الكلاب، أو تعطي غلبة لظاهرة على سائر الظواهر لمجرد الطرافة في الخبر.

(1) انظر الملحق، قصة 82.
(2) انظر الملحق، قصة 73.
(3) انظر الملحق، قصة 71.
(4) انظر النَتوخ، النَشوار، ج.6، ص. 229-247.
والخيانة واضحة أيضاً في قصة الرجل العقلي الذي نزوج ابنته عم له على أن تكون في مهرها فرس سابقة تسمى الشبكة، فقد احتال هذا الرجل في سلب الفرس من صاحبها حين تسل إلى بيتها، وتمكن من سلب الفرس، فشاهد آنذاك الزوجة وهي تقوم من فراش زوجها ليعلوها عبد أسود، جعلت الرجل يقول بألل: لا جزاك الله من طارق خيراً طلقت زوجتي، وأخذت قنادها، وقتلت عبد(1).
وتقدم جيده على إدخال رجل غريب إلى بيت زوجها حتى تخلو بعشيقيها شر بني عبد الله المعروف بالأشهر حرصاً منها على الوفاء له فيما قد يقال.
والخس بالمسؤولية وزوم العيد لا بد أن يتناول ويرجوا على العاطفة وفقاً للمنظومة الأخلاقية التي كان يحترمها ذلك المجتمع، ولا لما كان ضرورياً أن تلجأ جيدها إلى الحيلة والغدر للقاء الأشتر.
وعلى أي حال فمن مجمل هذه القصص يتبين أن التوخي أورد قصص ثلاث نسوة اتصنف بالوفاء ولو على درجات، ولعل أعلاهنّ درجة بالوفاء تلك الجارية حاملة الفسالذ، وتبفيها في الدرجة تلك المرأة التي بقيت وفية على عهد زوجها عمرو، وأداها قصة الجارية التي بقيت وفية لشريكها في الصوصية بعد أن قتلت(2).
ثم إن التوخي روى قصة المرأة التي وقعت في منزلة بين المنزلتين، فما كانت وفية، ولا خاتمة(3). وفي مقابل ذلك يورد التوخي قصص ست نسوة اتصنف بالغدر والخيانة وقعت في الحضيض، منهنّ تلك المرأة التي كره الموتى أن تدفع معهم، ووقعت فوقها بدرجة تلك المرأة التي مكنت الفرد من جماعها، وتأتي فوقهما تلك المرأة التي خانت زوجها، وأخذت إلى عشيقيها

(1) انظر الملحق، قصة 62.
(2) انظر الملحق، القصص 60، 69، 68 على التوالي.
(3) انظر الملحق، قصة 84.
أمكلاه، ثم المرأة التي خانت زوجها مع صديقه، ثم زوجة صاحب الفرس التي خانت زوجها مع عبده، ثم جيضاء التي لم يرو تبعتها أنها مكانت الأشتر من نفسها(1).

فالنساء إذا متباينات في ممارسة الغدر والانصاف بالوفاء، ولكن أكثرهن وفاء لم تكن مما يضرب به المثل، في حين أن الواقعة منه في حضيض الخيانة بلغت في انحطاط مستواها مباغًا فاحشًا، فقمة الوفاء منخفضة وحضيض الغدر والخيانة عميق في انحطاطه وترديه.

وإذا كان التوخى قد رسم بصريًا صورة للمرأة الخائنة الغادرة، فإنه على كل حال لا يبدو كأن أصدر حكماً وضع فيه جميع النساء في خانة واحدة من الخيانة أو الوفاء، فكان يرسم المرأة كفرد ولا يتسلخها كشيطة، ولا يستطيع أحد أن يزعم في أن الرجال لدى التوخي يتمتعون بمكانة تختلف عن مكانة النساء من حيث الانصاف بالوفاء، أو من حيث ممارسة الخيانة والغدر، فما من امرأة خانت إلا والرجل شربكها في جرسها، وإن جاءت المبادرة في كل تلك الأحوال من المرأة فذلك يتسق مع المنظور القرآني "الزانية والزاني...(2).

3- حب المرأة لبذل المال والكرم في مقابل حبها لجمع المال الشجع:

ليس المصوصد بحب بذل المال الرغبة في تبديده اعتباطاً وشفاهة، بل المصوصد هو البذل لغات لترضيها المرأة سواء كانت تلك الغات نبيلة أو ضيعة، وفي مقابل ذلك فإن حب جميع المال يعني السعي للحصول عليه بأساليب نظيفة أو شائنة حسب ما تقدر المرأة.

---

(1) انظر الملحق، القصص 66، 82، 73، 71، 62، 88 على التوالي.
(2) سورة التور، آية 2.
إن هذا الاحتمال يتواجد في الحقيقة صفتين وجدتا مترابطتين في أدب التسويق، فزينب بنت سليمان بن عيسى العباسی (1) والخزائر جارية المهدي (2) وأم وله بذلت المال كرماً وشهامة (3).

فأما زينب فكانت كريمة إذ منحت جاربتها كتاباً لراوية القصة مع مال كثير كرماً منها، وأما الخزائر، فقد أكرمت مزنة زوجة مروان بن محمد لما رمت بها الحاجة، وألماها الذي إلى بيت الخزائر، ولم تجمع المرأتان المال بطرق غير مشروعة، كما هو مقتصد سياق الخبر، وبذلتاه كرماً أو شهامة.

ويفترض أيضاً أن حالة المقدار التي أجرت أبا جعفر بن شيرزاد لما نقم عليه بحكم وفقاً لسباق النص لم تجمع المال بطرق متأنية أو مشينة، ولكن الفتى أنها أنفقته كرماً منها، وشهامة خدمة لقيمة اجتماعية كبيرة في مقياس المنظومة الخلقية التي كان يتبناها المجتمع (4).

وتبين من قصة الجارية التي تزوجت الناجي بعد تنفيذ حيلة مكنها من إدخال خمسة إلى دار الخلافة أنها لم تسرق مالاً، ولم ترتكب جرماً من أجل الحصول على ذلك المال، بل حصلت عليه هبة من دار الخلافة ثم أنفقته على زوجها وعلى نفسها ببذخ وترف (5).

أما المرأة التي دفعت مالاً لخدمين من خدمها ليشهدوا زوراً على جارية كانت أثيرة لدى زوجها فلم تجمع المال، ولكنها بذلت لتحقيق غاية لنيمة كان يمكن أن توري بحياة الجارية، وأن تلحق بزوجها ألمًا شديداً (1)، فهو حب لبئس المال المقترب باللؤلؤ لا بالشهامة.

---
(1) زينب بنت سليمان بن عبد الله المنصور أبو أبوب الحاشمي كان والدها أمير دمشق من قبل الرشيد ومن قبل الأمين أيضاً ولي البابرة للرشيد مرتين. انظر المصدر، الوافي بالوفيات، ج15، ص241.ترجمة ابن المنصور.
(2) الخزائر الجرذانية مولاة المهدي وحبيبته وزوجته وأم ورديه الهادي موسى والرشيد هارون رزقت من سعادة الدنيا ما لا يوصف. وتوزفته سنة ثلاث وسبعين وثمانية. انظر المصدر، الوافي بالوفيات ج13، ص280.
(3) انظر الملحق، قصة 81.
(4) انظر الملحق، قصة 80.
(5) انظر الملحق، قصة 63.
ومن هؤلاء النساء اللواتي برزت مثالًا على حب جمع المال تلك المرأة التي كشف المتصور عن خبنها، حين كانت تمنح عاشقها مالًا من مال زوجها.

وقد انتهت أم المقتدر بنته الأموال الكثيرة لومة، بما في ذلك محاولة إنقاذ حجة وقف عقار لابنائها، كما عبرت عن حبها للمال بذلها الشديد في إفنهم.

ومن هاتين القصتين يستفاد أن أم المقتدر كانت تحب المال، ولا تتردد في جمعه حتى عن طريق النهب المنصب إليها، فهي محبة لجميع المال عن لومة، كما تشير الرواية، لكنها لم تكن وحدها في ذلك المسرح، فقد أورد النصري قصة أم الولد التي أخفت سائر ممتلكات زوجها عدة سراويلات قالن: إنها متممة(4) أن فعلة أم الولد تغل على حبها للمال وسعينا للحصول على ما عن طريق اللؤم البالغ حتى سوء الأمانة.

ومن هؤلاء أيضاً مرأة اكتشفت سرقة لص كان، فمنعها من دخول المدينة، حتى لا يشاركها في اللصوصية(5)، فهذه المرأة تجمع المال عن طريق السرقة المنظمة، ولا تريد أن يكون لغيرها من اللصوص دور أو نصيب من الأموال المسروقة، فهي محبة لجميع المال لثيما في ذلك، وإن لم يرو عنها أنها ارتكبت جرماً آخر غير السرقة كقاتل الذي يستفاد من قصة صيد وشربتها، وهذا حب للمال لكنه مقترن هنا باللوم المتمثل في ارتكاب الجرائم البالغة حتا القتل المتكرر، وممارسة الجماع على مسمع الضحية فهو لؤم فاحش وحب مفرط في جمع المال.

---

(1) انظر الملحق، قصة 74.
(2) انظر الملحق، قصة 73.
(3) انظر الملحق، القصتين 52 و 53 على التوالي.
(4) انظر الملحق، قصة 57.
(5) انظر الملحق، قصة 72.
(6) انظر الملحق، قصة 68.
ويستفاد من قصة الأخ والأخت الذين تعاشاً معًا في السفاح متسنن بمال أبيهما المسروق (1)، ومن الجدير ذكره أن الجرم هنا منسوبي، ولا شك للشفقية والشفقية على حد سواء، ولكن محور البحث هو المرأة فهي بالتالي هنا موصوفة بجمع المال لومة، ونابعها لومة تسترأ على جريمة نكراء لا ترتبض المنظومة الأخلاقية التي أقرها المجتمع، وتضمنت تنزيه العلاقة الأخوية من أن تترد إلى السفاح، ولا يعني هذا تبرئة الشقيق إذا لم يكن البحث متعلقاً بصورة الرجل وصفاته مما تتمتع الشقيق بوصف أفضل من وصف شقيقه.

وبتيبين من تمحص محارب هذه القصص جميعاً ما يلي:

1. لم تتصف أي من النساء بالبهاء، أو باسفاك المال لمجرد كنه.
2. تبؤت النسوة مواقع مختلفة على الخط البياني الابتدائي من قيمة كنذ المال كرماً إلى حضيض

جمعه حراماً، وإنفاقه لومة، لتحقيق مصالح غير مشروعة، فهي قمة البذلات كرماً وشهامة تأتي الخيزران إذا أجرت مزنة زوج مروان بن محمد الأمري، وزينب بنت سليمان بن علي الياحمية التي وبيت كتاباً كرماً وسخاء، وتأتي دونهما خالة المقتدر إذا أجرت أبا جعفر بن الشيخزاد، ثم تأتي الجارية التي تزوجت التجار، وألققت المال الذي جمعته حالاً

في مصرف عادلة لا تتصف بالشهامة، ثم تأتي أدنى من ذلك المرأة التي دفعت للخادمين

رشوة؛ ليشهدوا زوراً على الجارية، والمرأة التي كشف المنصور أنها كانت تتفنف مال زوجها

إلى عشيقها لتخدون الزوج، ومؤذنها انحطاطاً أم المقتدر التي تشير الرواية إلى أنها نهبت

الأموال، ولكن دون دليل على جريمة معينة، أو فعل مشين محدد، ثم تأتي أدنى من ذلك في

الدرجة المرأة التي أخذت تركه زوجها مرتكبة جريمة واحدة لا أكثر، ومؤذنها انخفاضاً في

(1) انظر الملحق، قصة 67.
الدرجة المرأة التي احترفت السرقة وعرضاً للفضيانة كثيرة أبل أن يتوب، وتتحط أدنى من ذلك صيد وشريكتها اللتين احترفتهما السرقة لجمع المال، واحترفت معها احتيال وإيقاع الضحايا الواحد بعد الآخر تحت نصل سيف شريكهما الأسود، وتتحط في الدرك الأسفل الشقيقة التي سرقها مال أبيها لتتستر على السفاح مع أخيها وشريكتها في الجرائم المستمرة المتكررة سرقة وسفاهاً(1).

3. يلاحظ أن أربعاً من النساء المتزوجات في اللوم والمغرامات ببريقي المال كن من الحرائر لا من المولدودات، أو أمينات الولد، أو الجوباري المعتقات، ومع أن هذه الحالة تفرض نفسها إلا أن قلة عدد القصص المنتظرة قد لا تسمح باستنتاج الكثير، ولكن وجد من الأدب النبات بها، خصوصاً وأنه ورد في هذا السياق خارج القصص المنتظرة أن الخليفة المقتدر "اضطر إلى أن يشعل أذناً عند القبض على السرقة آمن موسى(2) عن بديوان المذببات من أم موسى(3).

4. النزعة الجرمية لدى المرأة عند التنوخي:

توجي قصص النساء التي محورها المال أن أربنّ ارتكب جرائم أو كن قريبات من ارتكابها؛ الأمر الذي استدعى استقراء سائر القصص المنتظرة بحثاً عن مدى تغلغل النزعة الجرمية عموماً في شخصية المرأة كبعد من أبعاد صورتها، كما ارستت في أدب التنوخي، وهذا موضوع شديد التعقيد مشوه بكثير من المصائب؛ لارتباطها من ناحية بالعلم الشرعي،

---

(1) انظر الملحق، القصص 81، 80، 74، 73، 72، 71، 68، 67، 64، 63.
(2) أم موسى بنت منصور بن الحميرية، أم أمير المؤمنين المهدي ثالث خلفاء بني العباس. انظر الصافي، الوافي بالعوائض، ج.3، ص.244، ترجمة المهدي.
(3) انظر الأطرجي، وجاهزة مجيد عبد الله (1981). المرأة في أدب العصر العباسي، رسالة ماجستير منشور، جامعة بغداد، بغداد، العراق، ص 398.
ومن ناحية أخرى بالعلم القانوني؛ ولذلك وجب الاقتراب منه بحذر شديد ضمن ضوابط واضحة

تميز الجريمة عن الخططنة الخلقية دون الدخول في مأزق الإثبات والتوصيف الجرمي.

والغابات هذا البحث سوف تعتبر الجريمة كل فعلا رتبت الشريعة الإسلامية عليها حداً من الحدود، أو عوقب عليها بالتعزير، ويستفاد ذلك أيضاً من ورود شيء في النص يوحي بالعقوبة التعزيرية.

أما بالنسبة لنبئية الإثبات فسوف يعتبر ما ورد في النص صحيحاً، ولو لم يكن مطابقاً لأصول الإثبات في الشريعة الإسلامية، وذلك لأن إغفال ما ورد في النص يعني عدم الاعتماد عليه، ويستوجب إلغاءه من أساسه.

ومن ناحية أخرى، فإن هذا النص لا يستخدم استخراضا قضاياً ينفي بمقتضى إيقاع العقوبة، بل إنه يستخدم هذا استخراضا كأشنأ عن فهم نزاعات الخروج عند التنوخي، ولكن واضحًا أن نسبة الصفات إلى أي شخص إما تقوم على فهم الواصف أكثر مما تقوم على ما يعتقد في نفس الموصوف، فقد اعتمد هذا البحث أسلوب استخلاص الصفات من مدلول السلوك، وهذا هو البديل الوحيد الممكن في مثل هذه الحالة، وإذا تبين أن أدب التنوخي ينظر إلى المرأة على أنها تتصف بالنزوع إلى الجريمة، فهذا ليس حكماً على المرأة، وإنما هو استخلاص لرأي المستنتج من التحليل.

ويمتاز من مجمل القصص المنقولة من أدب التنوخي أن النزعة الجرمية لدى المرأة تدخل في صورتها كصفة من صفاتها وفقاً لما يلي:

أ- ثمة امرأة واحدة لا غير نأت بنفسها عن الوقوع في شرك الجريمة عندما وُجدت في ظروف سانحة لارتكابها كما يتبين من قصة المرأة التي حاول اغتصابها أحد الجنود(1).

(1) انظر الملحق، قصة 75.
ب - يستفاد من القصص أن ثمة ست نسوة ارتکبائنا، أو السفاح بين الأقارب طواعية،
وتشكل مكرر محترف، كما يتبنين من قصة المرأة التي كره الموتى دفنهما عندهم
قصة صياد، وقصة المرأة التي مكتبت القرد من نفسها، وقصة الشابة، وقصة الأخون
الشقيقين، وقصة المرأة التي قتلقا كلب زوجها وهي منفصلة بالزرّان(1)، وإذا ما أخذ بعين
الاعتبار أن قصة الكلب الذي قتل الزوجان وشقيقها كانت قصة واحدة من بين مجموعة
قصص مشابهة أوردها التنوخي في ذات الجزء من كتابه الدواوين(2)، فإن صورة
النساء عند التنوخي تنتصف بعمق المرأة إلى الزنا.

ج - يستفاد من هذه القصص أن خمس نسوة ارتکبائنا جريمة السرقة، وما في حكمها من
إساءة الامتنان، كما يتبنين من قصتنا أم العتبر، وقصة أم العتبار التي أخفت معظم تركه
زوجها، وقصة النساء الثلاثة، وقصة المرأة التي كشف المنحوت جزء من سرقتها، وقصة
الشقيقين العاشقين(3).

د - يستفاد من القصص موضوع البحث أن أربعا من النسوة ارتکبائنا بشكل قاطع جرائم
متعددة، كما يتبنين من قصة نباهة الفيروز، وقصة المرأة التي كره الموتى دفنهما عندهم
قصة صياد، وقصة الشقيقين العاشقين(4)، ويسعد بتحديد الجرائم هنا أن تكون الجريمة
غير مماثلة لما سبقها كأن تكون جريمة سرقة وزنا أو سرقة وتسبب في القتل.

هـ - يتبنين من تحلص القصص المنقولة أن التركيز وقع على الشخصية الأساسية في كل قصة، في
حين أن معظم هذه القصص كانت تشير أيضا إلى امرأة أخرى كانت تعين الفاعلة الأصلية على

(1) انظر الملحق، القصص، 66، 68، 62، 67، 71 على التوالي
(2) انظر الملحق، القصص، 66، 68، 62، 67، 71 على التوالي
(3) انظر التنوخي، الشواو، ج 6، ص 229-247.
(4) انظر الملحق، القصص، 61، 66، 68، 67، 71 على التوالي.
ارتكاب الجرائم معها بانتفاق مسبق، كما فعلت الجارية التي أعانت ناشئة القبور، وكما فعلت الدائية العجوز إذ أعانت المرأة التي كره الموتى دفنهما عندهم، وكما فعلت الجارية صاحبة صيد إذ كانت تغوي الرجال وتعين على القتل والسرقة(1)، وهذا يزيد من تعزيز هذه الصفة كبد من أبعاد صورة النساء اللواتي اختارهن التنوخي شخوصاً لقصصه.

و - الجرائم المنصوبة إلى النساء في هذه القصص جرائم خطيرة تمس كلها كيان المجتمع، وليس من السهل تدريجها ووفق لسلام من الخطورة والجسامة، فكل واحدة منها تعد جريمة نكراء تستوجب عقاباً حاداً في مختلف المجتمعات الإنسانية ولا سيما في المجتمع الإسلامي.

وعلى ذلك كله فإن النزعة الجرمانية تبدو صفة واضحة المعالم في شخصية المرأة في أدب التنوخي.

(1) انظر الملحق، القصص، 61، 66، 68 على التوالي.
ملاحظات إجمالية حول صفات المرأة في أدب التنوخي

تفنّز من بين سطور قصص التنوخي نساء منفتحات يتصرفن في الغالب الأعم في مجتمع مدني معقد، وتبدو المرأة جزءًا من هذا المجتمع تتفاعل معه وتستخدم أساليبه وتتغنى بتطاعماتها، فغالبًا القصص تقدم نساء عش في مستوى رغد من العيش، وكثيرات منهن كن مرتبطة بمراكز القوة والمال، فليس غريبا أن تتجنّح المرأة إلى حب المال جمعاً وإتفاقاً، وليس غريباً أن تعني بسائر ما يعنيه المجتمع المدني من بحث عن الترف والبذخ.
وتتصف النساء هنا بصفات مثيرة للدهشة أو الاستجابة، وتتصدر عنيف أنماط من السلوك تستوقف المشاهد، وتدفعه إلى التأمل والخوف، فمن بينهن نباهة القيور جامعة الأفكار، والممعنة في الزنا والسناج، والمنخرطة في عصابات الأشرار وقطّاع الطرق من القتلة والقصوص، ومنهن الشديدة الدهاء المتجرنة على التطاعم حتى على دار الخلافة، ومنهن التي وصلت بفجورها إلى تمكين قرد من نفسها، وهي راقية في الخان إلى جانب زوجها، وكَانَ أحسنها حالاً في قصص التتوخى تلك المرأة التي تعاملت مع اللص المحترف برعاية جَائِش وسَكينة لا تحتاج معهما إلى طلب النجدة من أحد، فَهُنَّ إِذَا نَسَاء مَتَصَفَّات بِغَرَائِبِ السَلُوك عَلَيْهِنَّ الفساد والشر.

ولا يكاد المرء يجد فرقاً ما بين الجوازي والحرايز في ما يتصنف به من صفات خلافاً لما قد يظهنه بعضهم من تردي الجوازي إلى الدرك الآمن من الحرية، وارتفاع الحرايز إلى الذروة العليا من الفضيلة، بل ربما كانت الجوازي أكثر افتتاحاً، وارتبطاً بالحياة العامة وقدرة على جميِّن المال والرغبة في إف dáق، المهم أن الغالبية العظمى من النساء اللاتي يقدمهن التتوخى يتصنف بما يثير الدهشة سلباً لا إيجاباً، وإذا كانت ثمة نساء انصفَّن بالنيل والرقي فهيُنَ قَلِيل.

على رأسهنّ مَرأة زوجة مروان بن محمد وزينة بنت سليمان بن علي والخزيران، ولكن هؤلاء يُضاءن أمام إِسْرَاف شغب١ أم المقتدر وزوجة لبيب العابد والبدينة التي تخفي عشيقتها وراء

---

١ (أَمِّ الدَّكر وَوَزْوجَةُ لَبِيبٍ العَابِدِ الْبَدِيْنَةِ، شُغْبٌ)
ظهرها فتستره عين دخلوا بيتها يفتشونه طلباً لإذائه وإيذائها، والجارية التي أساءت إلى عاشقها يوم أن تبين لها أنه افتقر ورق حاله(1).
وتعبر قصتان بشكل خاص عن إحساس بدأ يتجسد عند الرجال قوامه الخوف والشك في النساء، فهذا رجل قليل زوجته دون أن يسألها عن شيء ظالمًا لها لأن ابن عم لها ظهر أمامه ومعه زينة الزوجة البريئة(2)، فالرجل ظن بزوجته السوء قياساً كما يبدو على ما يسمعه عن النساء من غدر وখيانة.
وهذا أبو إسحاق المصعي(3) يطلع على تقارير أصحاب الشرط فيشعر بالفزع مما تمارسه بنات الوزراء والرجال من الفواشش والرماح حتى نظن أن بناته الخمس سيفعلن فعل هؤلاء النساء اللاتي انحططت إلى الحضيض، فمعز الإفصاح كأن فجور هن ثبت لديه ثبوتًا لا شك فيه(4) وتأتي هاتان القصتان شاهدين على ما بدأ يعتمل في المجتمع العباسي من شك وخوف.
إزاء المرأة في هذا الجو المشحون بحب المال، والإقراض على المستهجن من السلوكي ويفتقد المرء هذا المرأة الناعمة الودود فلا يكاد يجد إلا الجارية حاملة الفالوذج الحار.
والتي تتصف بشيء من القسوة أيضاً معبرة بذلك عن نزعة فكاهة مخلصة صادقة، وتستوقف

---
(1) انظر الملحق، القصص، 81، 84، 87، 80 على التوالي.
(2) انظر الملحق، قصة 54.
(3) إسحاق بن أتيرحم المصعي، والي بغداد من قبل النجاشي سنة ثمان عشرة وثمانين كتاب له باحثان القضاء والشهود والقاضية والمحقون بالقرآن فم أن أقر أنه مخلوق محدث خلي سبيله، ومن أبي عليه أعزمه به لبهر فيه، انظر الحموي، مجمع الأمراء، ج3، ص10، في خبر المناظرة بين يونس بن متي وآخر.
(4) انظر الملحق، قصة 79.
المرء جارية أخرى رددها المتوكل ولم يرد شراءها فبادرته بسرعة خاطر تنطوي على تطـ
جعل المتوكل يقدم على شرائها بعد ذلك(1).

وستوقفه أيضاً جارية ثالثة تنتفل على بيت مالكها إسحاق الموصل المغني الشهير
فألذت لطفاً ورقة إضافة إلى إجادتها الغناء(2)، ولكن هذه الجارية على وجه التحديد قادرة على
فعل ذلك كما يبدو من منطلق حرفتها في الغناء، ومنادمة أهل الطرق من علية القوم في المدينة،
وربما كان تهدبها من فتيل الترويض الذي تتطلب الحياة المدنية لا من قبيل السجية المنبعثة من
أصلاء في النفس كما هي حال الجارية حاملة الفالوذج وهي من بنات القرى.

__________________
(1) انظر الملحق، قصة 70.
(2) انظر الملحق، قصة 85.
مكانتة المرأة في أدب التنوخي

1. التعليم

يكان أدب التنوخي يرسم أمام القارئ المتعلم مهراجاناً ضخماً يعمّ بلاد الخلافة

العباسية تتبع من جميع أرجائه أصوات الجواري يغنهن غناء يخبل ألباب السامعين،

ويوحى بمدى دربهن في هذا الفن الرفيع الذي يعبر عن الوجدان الإنساني، وما كان
لأحد أن يبدع في الغناء حتى يتعهد مدربون مهارة يكتشفون خصائص صوته، وينمون
أذنيه الموسيقية، ومعرفته بالشعر، والموسيقى، وهذه حصيلة التدريب مائة أمام العيان
فالمجلة هندي يتحف الأميين بآداء صوت صنعة لها إبراهيم بن المهدي(1)، وهذه خالية
المقادر تهيئ رجلاً أجارته جارية تغني أطيب غناء(2)، وذلك بيت متواضع تغني فيه
جارية من الجواري غناء في نهاية الحسن والروعة(3)، وهذا إنطلق الموسيقى المغنى
المشهور يدخل خلسة إلى قصر رجل من علية القوم، فتعلم بغناء جارية، ثم يتحف
الحضور بفنه الرفيع(4).

فالنواة على ما يبدو كان محور تعليم الجواري في العصر العباسي كما يظهر بجلاء في

أدب التنوخي، إلا أن بعض الجواري والحرائر كن أيضاً بارعات في قرض الشعر، فها هو
المتوفر يستطيع إلى جاريتين تقولان الشعر ارتجالاً، وتؤثر فيه إحداهما، فشبربها، وقد كان عزيم

(1) انظر الملحق، قصة 73. وإبراهيم هو أبو إسحاق ابن المهدي الملقب بالثين لسمه، وكان فصيحاً مفوحاً
بارعاً في الأدب، والشعر، والغناء، ومعرفة الموسيقى، ويقال إنهما من أحسن من إبراهيم
وأخته علية أبي الهادي.

(2) ولد سنة الثامنة وستين ومائة وتوفي في شهر رمضان سنة أربع وعشرين ومائتين. انظر الصغير، الوافي
بالوفيات، ج6، ص73.

(3) انظر الملحق، قصة 80.

(4) انظر الملحق، قصة 78.

(5) انظر الملحق، قصة 85.
على أن يردها(1)، وهذه امرأة سوداء تقول في زوجها الغائب شعرًا آخر على سامعه حتى أتاهما بزوجها، وردته إليها، وقضى لهما حوائج المعانش ثلاث مائة درهم كل سنة(2)، وهذه عادة الجهينة(3) من الحرائر تقول شعرًا وصفه التنوخي بأنه من جيد الشعر(4).

غير أن تعليم المرأة لم يكن محصوراً في مجال الغناء مع أنه كان كما يبدو محور تعليم الجواري، فقد تتفقت المرأة العباسية ثقافة مكتبة من الوقوف أمام القضاء وكسب الدعوى(5)، وأنا ندي معرفة بالقضايا العامة كما هو شأن جميلة شقيقة ناصر الدولة التي كانت تتطلع على المراسلات الديوانية المتعلقة بشؤون الإدارة المركزية، ثم تأتي الرأي، والتوجيه، ويلزم العمال بما تأتيه احتراماً لموقعها، الأمر الذي يؤكد أنها حازت عامةً مندةً في شأن جلّل من شؤون الحياة العامة(6).

وتبقى قصة المرأة المعتزلة التي شاغلت الله وحيدة حتى الصباح قصة نثير الأسئلة الكثيرة حول مدى علم هذه المرأة، إذ إن مذهب الاعترال يصعب أن يعترق بالتقلد، فهو قائم على أسس فلاسفة عميقة شغلت الناس حينها، وأثارت جدلاً عظيماً ما بين المعتزلة من جهة وبين الأشاعرة، والمرجئة، والجبرية، والمشبهة، وكثير من المذاهب الفلسفية الإسلامية، من جهة

(1) انظر الملحق، قصّة 70.
(2) انظر الملحق، قصّة 69.
(3) وفي كتاب التراجم عبارةً بنت محمد الجهنية امرأة عم أبي محمد السحيم بن محمد السحيمي، كانت أديبة شاعرة فصيحة فاضلة، روى عنها القاضي أبو علي المحسن التنوخي، انظر الصفدي، الوقاني بالوفيات، ج 16، ص 314.
(4) انظر الملحق، قصّة 58.
(5) انظر الملحق، قصّة 57.
(6) انظر الملحق، قصّة 51.
أخرى فالراجع أن هذه المرأة كانت على درجة لا يستهان بها من العلم الشرعي وعلم الكلام والفلسفة، إضافة إلى معرفتها المؤكدة بالقرآن الكريم(1).

إذن ما يمكن استخلاصه باختصار من كل ذلك هو أن أبواب العلم كانت مفتوحة أمام النساء تلتها من ترغب منهن في ولوجها دون عائق مادي أو معنوي، وإذا كانت النساء قد اختلفن في مدى تحصيلهن في نوع ما حصلن عليه من التعليم فمرد ذلك إلى التفاوت في القدرات الفردية، وفي الظروف الاجتماعية كما تدل على ذلك أخبار كل من جميلة وشغب وهدبة والمرأة المعتزلة، فالأولى عنيت بأن تتعلم شؤون الدولة العامة، والثانية عنيت بابتكار الأساليب لاستثمار موارد الخزينة العامة لصالحها، والثالثة عنيت بالتفقه في أسر الفلسفة، وشؤون الدين والرابعة عنيت بالغناء وفونون(2).

ولا بد من الإشارة هنا إلى أن التعليم لم يكن إلزاميًا ولا منظماً بالشكل الذي يعرف الناس في القرن الحادي والعشرين، ولكن الرايغة في العلم كانت تستطيع إذا شاء أن تنحل منه قدر ما تستطيع وقدر ما ترغب، وهذا دليل على مكانة المرأة لا تقل عن مكانة الرجل في هذا الخصوص.

2. الأهمية القانونية

ليس في أدب التنوخي مخلوقات تتحرك كالدمى بفعل غيرها من غير أن تملك من أمرها شيئًا، فالرجال والنساء والعبد والجواري والقهرمانات وسائر الإمام يتحركون بإرادة ذاتية تتأثر، ولا شك بالظروف العام وبالوضع الخاص لكل منهم، ولا تظهر الإرادة المستقلة بمجرد الذهاب والياب، أو في الحب والكره، أو في الرضا والسخط، بل هم

(1) انظر الملحق، قصة 59.
(2) انظر الملحق، القصص 51، 52، 59، 73 على التوالي.
تتجاوز ذلك كله إلى تعبير عن الإدارة ينتج أثراً في الأشياء المحيطة، فالمرأة تتطلع بحقها في الملكية كاملاً، وهي بهذه الصفة تملك أن تهتك المال إلا إذاً واعياً بهره من التعامل، أو يغير حاله من مسمي إلى آخر، فشغب أم المقتدر كانت ضرفة تقني أمرًا ما(1)، طائلة في النيروذ المعتضدي، وتختلف من الأدبية شيئًا كثيرومًا وتصنعها من مواد ثمينة.

بل إن الجارية تملك أن تتلف وتنتهك ما دخل في ملكها من ماتاً(2).

أما عن التصرف القولي بالأشياء والممتلكات فأمر عادي يتمثل في أن المرأة كانت تملك أن تتبرع بمالها، أو تعطيه للغير كما يحلو لها من غير وصية من أحد، فخالصة المقدّر على سبيل المثال تبّه أبا جعفر بن النادر الجارية وما حق بها من ماتا دون مقابل(3)، وقهرمانة أم المقتدر تبّه الرجل الذي تفضّله آلهًا مؤلفة من القطع التنفيذية دون أن تستشير في ذلك أحدًا(4)، ومن يملك الهيئة يملك بالضرورة إيرام سائر التصرفات والعقود كالبيع والإجارة والإعارة والكفاية والوكالة، إلى آخر ما هنالك من عقود تتطلبها ظروف المعاش ومقتضيات التجارة.

والواضح أن أم المقتدر كانت تبرم البيع بنفسها حتى إذا اعترضها عقار موقف أرادت أن تشتري أمرت بمصادرة حجة ذلك الوقف بهدف إيطالها، وإنفاذ الصفة ضمن الشروط التي تناسبها، ولولا وقفة القاضي ودعم الخليفة له لألفت ما تريد، ولكنه شرع الله والقوى في قلب القاضي، ومخافة الله في قلب الخليفة ولولاها جميعًا لنفذ أمر هذه المرأة(5).

______________________________
(1) انظر الملحق، قصة 53.
(2) انظر الملحق، قصة 78.
(3) انظر الملحق، قصة 80.
(4) انظر الملحق، قصة 63.
(5) انظر الملحق، قصة 52.
وكانت المرأة في أدب التنوخي تملك الوكالة، وتقبل تحت الإكراء ولكن وكالتها لا تتعقد
حتى يصان حقها في ألا يزور إمضاها ولا تنزل شخصيتها، لولا ذلك لما أجاز القاضي وكالة
أم المقترح ولا قري إنفاذها(1).
غير أن ثمة إشارات قليلة إلى تقعيد حرية المرأة في الزواج ببعض القيود، فهذه قهرمانة
أم المقترح ارتبط أمر إنفاذ زواجها بموافقة مالكتها، فإذا كان في ذلك تقعيد لحرية هذه القهرمانة
فإن القيد كان بيد امرأة أخرى، وربما كان صناعي القول إن تققيد حريتها جاء من كونها جارية لا
من كونها امرأة(2)، وأرملة المقترح تشعر بأنها لا تملك أن تزوج نفسها ممن شاعت فتعمد إلى
رشفة القضاة تخوفاً من ألا تنفذ إرادتها، وفق ما تورد(3)، أما سائر عقود الزواج المأخوذة من
أدب التنوخي فلا تشير إلى قيد على حرية إرادة المرأة في هذا المجال.
النساء إذاً كما بوريمن أدب التنوخي نساء بخيرن لأنفسهن، ويتحملن العواقب التي قد
تصل إلى الانتقام والإهانة والعقوبة، تماماً كما كان نظراً لها من الرجال وتحت طائلة ذات
الأشكال من العقوبات والثبعات، ولم يكن أحد ينازعها في حقها في التعبير عن إرادتها إلا قدر
ما يقع على الرجال من النزاع، فتخر، أو تربح كما يخسر الرجل أو يربح، وفي قصة أم الولد
الدليل القطع على أن أحداً لم يكن يجد حق المرأة حتى في تملك نصيبها من تركه زوجها(4).

---
(1) انظر الملحق، قصة 56.
(2) انظر الملحق، قصة 63.
(3) انظر الملحق، قصة 64.
(4) انظر الملحق، قصة 57.
3. مكّانة المرأة الاجتماعية في أدب التنوعي

في أدب التنوعي نساء يتحركن على مختلف محاور الشؤون العامة بدءًا من إدارة
شئون الدولة وانتهاء بالإغرار في الملذات الشخصية، صحيح أن أي إمراء لم تتمكن من تبوؤ مركز الخلافة أو القضاء في أدب التنوعي، ولكن المرأة فعلت ما بوأها مراكز
التأثير في القرار السياسي والإداري، ومن الشواهد على ذلك جملة أخت ناصر الدولة
التي كانت تحسم في مختلف الأمور المتعلقة بشؤون الدولة، وعائدة الجهنية التي روي
عنها أنها كانت تكتب في أحد الدواوين مما حولها صلاحية الحل والعقد في الشؤون
العامة.(1) فالمرأة إذاً كانت تقوم دور كبير في النشاط السياسي للدولة العباسية(2).
والتقت المرأة قادرة على أن تتجه المتهربف سه أو علماء، أما في السر فيبدو ذلك واضحًا في صنع خالة المفترض التي فتحت بيتها لتجرير أبا جعفر بن الشيخزاد، وأما علانية فإنها في قصة
الخنيزران التي أجازت، وأغابت مزنة زوجة مروان بن محمد بن نصيب من زينب بنت
سلمان الهاشمية، وهذه الأخيرة كانت كما يبدو قريبة من الخليفة تحادثه في مختلف الشؤون،
وهي ذات موقف من مسألة الخلافما بين بني أمية وبني هاشم.(3)
والتقت المرأة قادرة على الحوار مع رئيس الدولة دون قيد ولا شرط، فهذه عجوز
تحاور عبد الملك بن مروان في شأن إيقاف حد القطع على ابنها، فهي سأل بها الأمر أن تواجه
الخليفة مواجهة جريئة فيها اتهام صريح وفيها رجاءمؤثر، إذ اقترحت عليه أن يتحمل وزر

(1) انظر الملحق، القصتين 51 - 58.
(2) انظر سعادة، سعاده أحمد، (1998). المرأة في الأدب النرومي في العراق في العصر العباسي الأول. رسالة
ماجستير غير منشورة، الجامعة الأردنية، عمّان، الأردن، ص 118 – 126.
(3) انظر الملحق، القصتين 80 و81 على التوالي.
إيقاف الحد على ابنها، وأن يتحمل هذا الوزير مع سائر الأوزار التي يتحملها، ويستغفر الله من تبعاتها).

بدأ أن مكانة المرأة ليست مبادأ تماماً من كل زاوية، فالمقتدر يدور بها الزمن
وتتذب حتى تعلق من شعوبها بعد أن تقلب لتكون رجلاً موثقة من أعلى ورأسها مدلي إلى
الأسفل حتى إذا بات سال بولها على وجهها.

تلك ولا شك مهينة وإذلال وممارسة للعنف ضد المرأة كما يقال في القرن الحادي
والعشرين، ولكن مختلف الوراء كانوا يتعرضون إلى شيء من ذلك عندما تدور عليهم الدوافر
رجالاً كانوا أو نساء، فالخليفة الفاهم (3) قد سمته عناة، وأصبح بطلاً للصدقة من الناس عندما
غلب على أمره، وعلى أي حال فليس هذا حكما عاماً يطالب المجتمع العباسي في تعامله مع
المرأة، والدليل على ذلك أن أرملة المقتدر نبذت من كل عقب، وبيَّن لها كل ما كانت تملك من
المناع، وإن كانت أبعدت عن دار الخلافة (4).

وئمة قصص نامس بوضوح إلى ظلم كان يقع على المرأة بصفتها امرأة من غير أن
تتمتع فرصة للدفاع عن نفسها، فتتحمل تبعات الغضب دون مسْوَع، أما أولى القصتاين فهي
قصة أبي إسحاق المصعي الذي كان يخطط لقتل بنته الخمس دون تردد، لما وصل إليه من
أخبار عن فجور النساء، وأما الثانية فقتل المرأة التي خطف العقاب خواطيمها، ولم تأتي ذنياً
تستحق عليه حتى اللوم، ولكن فعلة الرجل لقيت العقاب المناسب إذ قبض على الرجل وقتل

---
(1) انظر الملحق، قصة 77.
(2) انظر الملحق، قصة 55.
(3) انظر الصدفي، الواقي بالوفيات، ج2، ص2.
(4) انظر الملحق، قصة 64.
بجايته، ولم يتخل المجتمع عنمحافظته على كيان المرأة، والأخذ بشرع الله في مسألة القصاص بالقتل (1).

و يمكن القول باختصار إن المجتمع بقي محافظاً على مكانة المرأة، وإن كان بعض الرجال قد بدأوا يتصرفون بما لا يتناسب وقيم ذلك المجتمع، الأمر الذي يعني بشكل مبدئي ظهور مؤشرات سلبية على مكانة المرأة وإيمان الجميع بها، وليس من المناسب بالطبع المبالغة في مدلول هذه المؤشرات لأن الرجال أيضاً كانوا يضطهدون ويفتلون، وكانجنسة يلاحقون وينالون العقاب، وإذا ما أفلت جان من متسلط فذلك من قبل ضعف المؤسسات الإنسانية في الأداء دون أن يكون ذلك دليلاً بالضرورة على تبدل في القيم.

(1) انظر الملحق، القصتين 79 و54 على التوالي.
صورة المرأة الإجمالية مستخلصة من أدب التنوخي

يخلو أدب التنوخي من قالب مضروب مسبقاً تسكب فيه المرأة أو تخرج منه حاملة

صفات محددة مسبقاً تبين صفات جسمها، وسجايها، ومكانتها في مجتمعها ضعية أو رفيعة، إنّه في أدب النساء يتتحرك بأجسام خاصة بهن وسما متباهة، ومكانه تكاد تكون موحدة ولو من حيث المنظومة القريبة في المجتمع، ولا تدل القصص المنتقاة على أن نفوذ المرأة ومنزلتها كانت مرتبطة ببطيئة من الطبقات كما ذهبت إلى ذلك وديعة النحّم، فنفوذ الجارية والحرية على سبيل المثال كان متمثالاً.

أما جسم هذه المرأة فترتكب تقدّر أمره لانطباع ال.Promise وحيل المثيرق، فهي من أجمل النساء وجمالها، أو هي كالنبر، أو هي سوداء، أو بديعة، أما ما عدا ذلك فجسمها لا تتناوله التفاصيل من حيث تركيبه، ولكن ثمة تركيز على العطر والزينة من خواتم ومجوهرات مع عناية بالإضافة بغطاء الملابس، وغلاء ثمنها، فهي إذا متروكة في جسمها لتقدير من يريد أن يتخيله وفق ما يلقوه عليه. وهكذا تختلف هذه الصورة عن الصورة التي رسمها الشعراء الجاهليون في البحرين واليمنية للمرأة فهؤلاء قد "صرفوا جل شعرهم للحديث عن المرأة الحبيبة، وأسبوا عليها من ألوان الجمال ما جعلها تستوي أمام الناظر متمثالاً ينطلق بالروحاء والجمال الذي يغري

المرء بأن يظلّ ناظراً إليه"(2).


(2) نظر العمير، سالم حامد، (1986). صورة المرأة عند شعراء البحرين واليمنية في العصر الجاهلي. رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة اليرموك، إربد، الأردن، 4.
ومن هذا الجسم المتباين بين امرأة وأخرى تتبنين صفات أصيلة تتسم ب بصورة عامة
بالحيدة ولا سيما في الجوانب السلبية من الشخصية، فهي الجريئة على نبش القيود والذبح
بالموسى، وخبائنة الزوج مع الصديق ومع الحيوان، وهي القادرة على اقتراف الفجور والسرقة
المنظمة المحترفة دون رحمة أو ترد، كما أنها تتصف بالحنكة وبربارة الجاذبية، أما الطبيعة
والوفاء وما شاكلهما فصفات تدخل في عداد الحدود التي لا تثير إعجاباً ولا دهشة.
وكان المجتمع العباسي يحفظ للمرأة من المكانة ما يؤمن أنها نتمم وأن تتعلم على
حاجاتها ضمن حدود شخصيتها وبينها، ويضمن لها أنها تتم في كرامتها أو حياتها أو عرضها
دون أن ينال الجاني عقابه، ولا يبدو أن الرجل كان يتعبد بأكثر مما تتغنت به نظيرته من
النساء. واللافت للنظر بشكل واضح: "اعتداد المرأة نفسها وحراتها إنها الفتاة مكتناها من التصدي
كل من حاول نثيل من كرامتها."

وبدو واضحًا على كل حال أن الجواز في أدب التنوخي كثبت أكثر نشاطاً وحضورًا
من الحرائر، وهن في مختلف الأحوال نظيرات الرجال سواء كانوا خلفًا أو أحرارًا أو أرقاءً،
وهذا يعني أن أنوثة المرأة لم تكن تمنعها من الحركة على مختلف المحاور حتى ولو كانت من
الناحية الاجتماعية أو القانونية أدنى نظريًا من الرجل المالك.
أما الحديث عن الرق فليس هو محور هذه الرسالة فيكي في إذا أن تتمتع الجارية من حيث
هي امرأة بالمكانة الفعلية التي تتمتع بها الرجل.

(1) انظر سلام، المرأة في الأدب النثري، رسالة ماجستير، ص 221.
صورة المرأة بين التنوخي ومن سبقوه

(الأحاظ وابن فتية وابن عبد ربه نموذجاً)

لا تكاد الصورة تشهد تغييراً كبيراً في معالمها الرئيسية ما بين النموذج المختار من الأدباء وبين التنوخي، فالأهلية القانونية والمكانة الاجتماعية لا تكادان تختلفان مع أن المرأة كانت في النموذج المختار من أدب السابقين على التنوخي أكثر اهتماماً بالشأن العام، وأكثر اطلاعاً على العلوم المتنوعة، وأكثر قدرة على قراءة الشعر وروايته والاستشهاد بالأعمال من الشعراء، فلا يكاد المرء يواجه موقفاً إلا يسمع فيه من المرأة في أدب السابقين على التنوخي شعراءً انطلق على لسانها من ساعته، أو شعراءً حفظته، واستخدمته في المناسبات، ولا يكاد المرء يجد مثل ذلك عند النساء في أدب التنوخي مع استثناءات ضئيلة للغاية.

وفي مقابل ذلك برزت بوضوح أهمية الغناء ودوره في الحياة المدنية المرتزمة في أدب التنوخي، ورافق ذلك بروز دور الجواري والقبان اللواتي برعن في هذا الفن دون الحرائر، الأمر الذي فتح للجواري أبواب الحياة العباسية واسعة فتحرك بفعالية على كثير من محاولات الحياة العامة.

وتتصف المرأة في النموذج المختار من أدب من سبقو التنوخي بأنها كانت متميزة في قمة كل محور من محاور الصفات كما يستدل على ذلك من وفاء نائلة بناء الفراسة، والتمييزية زوجة شريح القاضي، ووضوح الخمساء في موقعها من درد بنت الصمة، والزنا الأمومة التي
بقيت على عهدها لزوجها بعد موته ورخصانة الوافدين على معاوضة، والتزامهن بفك حَن
السياسي، وأيانيهن، وعفتهن ترفعا واعتزازا.
وفي مقابل ذلك يقدم التنوخي في أدبه صورة لبعض النساء اللواتي جروت إحداثاً على
نبن القبور، أو الذبح بالموسي أو ممارة الفجر، أو السفاح، أو السرقة المنظمة، بل وحتى
الخيانة السافرة، فإن النساء في أدب التنوخي أكثر حدة، وأصلب عدوة، وأكثر حباً للمال، بل إنهن
يكنون الانحراف بكل أشكاله، كأنهن كن يعانين أزمات نفسية خانقة.
وفي حين أن المرء يذكر بإعجاب أولئك النساء اللواتي تمت الإشارة إليهنها هنا، يذكر
المرء بكثير من الدهشة وربما بليء من الرعب ذاتية زوجها، والمسافة مع ابنها، والجَور
محترفة السرقة، والجارية صاحبة سباق المشتركة معها ومع الأسود في السرقة، والقتل، والزنا،
وتتفق إلى الذهن صورة مقابلة إيجابية تتفق على النقض في أدب من سبقوا التنوخي لأننا
سنعجب بروعة خالة المقتدر وبروعة مزنة وهي في محنتها وروعة الخيزران وزينب بنت
سليمان الهاشمية في التعامل بشهامة واحترام لعزز قوم ذل.
أما جسم المرأة فقد حظي في النموذج المختار من الأدباء الذين سبقوا التنوخي بعناية
فائقة في التفاصيل في حين لم يحظ الجسم بهذا الوضوح في المعلم عند التنوخي، ولكنه في
المقابل ركز كثيراً على مظاهر الترف والبذخ المتصلة بجسم المرأة، وربما كان مفيداً التوقف
عندما أورده صلاح الدين المنجد إذ لاحظ تغيراً على جسم المرأة الأندلذ في العصر العباسي
بحيث صار العرب يغضلون صرامة المجتمع جبن (1) على السمنى، والمرأة ضامرة البطن (2) على ذات

(1) لُجَّطِّقَتِ القَسْبِ المَحْكَمَةِ التُّقَلِ، وَيُقَالُ رَجُلٌ مُسْجِدُ وَأَمْرَةٌ مَجْدَوَلَة، انظر ابن منظور، اللسان، مادة
جدل.
(2) يُقَالَ مِنِ الرِّجالِ الْضَّامِرِ البَطُنُ أوُلمُحْضُنُ الْبَطَنُ الْلَطِيفُ الْجَسَمَ، والأنثى ضامرة ضامرة، انظر ابن
منظور، اللسان، مادة ضمار.
العكن(1) والمراة ذات النهود المعتدلة في حجمها على ذات النهود الضخمة(2).

التغير المهم إذاً هو في مسألة صفات المرأة التي شهدت لدى التتوخي ميلاً إلى الإحدر
 نحو الحضيض في الصفات النميمة، وتراجعاً عن القمة في مختلف المحاور التي تتور حصول
 القيم والأخلاق التي لا ترضيها النفس السوية، ويبدو أن العناية كانت أكثر تركيزاً لدى التتوخي
 على مساوئ المرأة بوصفها إنساناً، دون إغفال لمحاسنها، بينما كانت العناية عند ممن سبقوه
 منصبة على رواية أكثر موضوعية، وأقرب إلى إبراد الخبر مع تركيز مبدي على مختلف
 مقومات المرأة جسماً وعاطفياً وحياً ومتعة وأخلاقاً.

(3) العكن و الأعسقان الأطراء في البطن من البطن من السمن، وحارية عكناً و معكّنة: ذات عكّن. انظر ابن منظور،
الفصل الثالث

التشكل في أدب التنوخي المتعلق بالمرأة

توطنة

المقصود بالتشكيل لغات الفصل هذا البحث هو أسلوب عرض الخبر الأدبي وصياغته، وما

يستتبعه ذلك من خصائص تتعلق بنسقية السرد، وبناء الشخصيات، وتفاعليهم، وخصائص العقدة،

أو الحبكة وخصائص الحل.

وخبر الأدبي هو ذلك الخبر الذي يعني الندب يجمعه لأمر يتعلق بطرافته، أو فائدة،

أو قدرته على إثبات حكمة من الحكم كنوع التمرد، وقد يكون الخبر أيضاً مسؤولاً

لغايات سياسية، أو مذهبية، أو فكرية، أو بقصد التسلية، والترفيه، والإضحاك. وهو يختلف

بالضرورة عن الخبر الإعلامي الذي تحكمه ضوابط مختلفة تماماً، ولا يدخل ضمن هذا البحث

أمر تحديده، أو تحديد ضوابطه.

والأسئل في الخبر الأدبي - على كل حال - أنه خبر صادق، فهو لا يعرض لغايات

التوثيق التاريخي، وإن كان ممكناً أن يكون التوثيق ضمن مكونات الخبر، وهذا ما ذهب إليه

المحروفي إذ أشار إلى أن الجاحظ اختيار أعلاهما ينتمون إلى فرق مختلفة "فجعلهم من ضمن

بخلاته، وقد لا يكونون كما يدعى البخلاء من بخل ومنبتين إلا أن موقفه المعادي لهم جعله

يحسرون في زمرة البخلاء، فنسب بعضاً من بخلاته إلى فرقة من هذه الفرق" (1). فإذا كان

الخبر غير صحيح لم يتسن للجاحظ أن يتبنَّى بهؤلاء الأعلام، ولا أن ينال من الفرق التي

(1) انظر المحروفي، سيف محمد، (2003). نماذج إنسانية في السرد، رسالة ماجستير غير منشورة، الجامعة
الأردنية، عمان، الأردن، ص 95.
يلتنسبون إليها، وإذا كان صحيحاً تحقيق له ذلك. والمحروقي بدوره لم يترعرع إلى استقصاء صحة الأخبار وإنما أوردها على علاتها، وينبغي على ذلك أن أي مناقشة للأدوات الفنية أن تكون النذر لرود بوصفها معياراً لصدق الخبر أو كذبه وإنما لتنبيه فعاليتها في الأداء الفني الذي يختلف بطبيعته الحال عن آداء القصة القصيرة، والمقالة، والخاطرة، والرواية، وسائر الأجناس الأدبية الأخرى. ولأن هذا البحث بحث إدبي فلا بد له أن يكرس لهذه الأعمال، وإلا لأصبح بحثاً في التاريخ، ولخرج بالنتيجة عن منطق اهتمامه واستقرائه.

وليس بالمقدر ولا بالمرغوب فيه تحليل قصص التنوخي جموعها، ذلك لأن المقام لا يسمح بهذا، وأن المنشد يحقق إذا ما محبس مجموعة مختارة من قصصه، وسوف تختار مجموعتين من قصص التنوخي لغابات استقصاء الأساليب التشبكية التي تتظنن كلًا منهما، فامرأ المجموعة الأولى فتتعلق بالقصص الإخبارية التي تدور حول شخص غير معروفين تاريخيًا، وأمّا المجموعة الثانية فتصل بأعلام معروفين نقلت عنهم الأخبار ضمن مجموعة القصص التسجيلية.

ولا بد من بيان مسألتين جوهريتين قبل المباشرة باستقراء القصص المنقاة من أدب التنوخي لتبين نسقية التشبك التي تنظمهما. أما أولهما: فالتميز بين ثلاثة أنماط من القصص هي: نمط القصة القصيرة، نمط القصة الإخبارية، ونمط القصة التسجيلية. فاما النمط الأول فيشمل تلك الأعمال الأدبية التي ينطبق عليها تعريف: أ، أو آخر من تعريفات القصص القصيرة. وهذا الجنس الأدبي يقوم على الإبداع، ولا يتوخى صدق الخبر، ولكنه يحافظ على مصداقيته بمعنى أنه يشتقه ما أمكن من التجربة الملموسة لبني البشر. ولا يمكن القول إن ثمة اتفاقاً على تعريف جامع مانع لهذا الجنس الإدبي، ويتين ذلك من الأمثلة الثلاثة التالية التي حاول من خلالها عبد الله إبراهيم أن يلفي ضوءًا على هذا الجنس الإدبي. إذ قال: "إن القصة
هي محتوى التعبير السردي، أما الخطاب فهو شكل ذلك التعبير "(1)". القصة نص عمادة الحدوث الزمني الذي تتناوب على محور الخطي وحدود تتنظم في إطار مقاطع متساوية أو متغيرة." (2)

"يمكن تعريف المروي بأنه كل ما يصدر عن الراوي، ويتضمن تشكيك مجموع من الأحداث تقترب بأشخاص، ويوطرها فضاء من الزمان والمكان، وتعد الحكاية جوهر المروي والمركز الذي تتفاعل عننا في المروي حوله بوصفها مكونات له". (3)

أما النمط الثاني فهو نمط غير واضح للمعالم لا يندرج ضمن القصة القصيرة لغياب مقومات تركيبها، وإن كان يقترب منها حين تلوح فيه بواكير تلك المقومات غير الناضجة، وغير الموظفة لغايات القصة القصيرة، وهو من ناحية أخرى يقترب من القصة التسجيلية من حيث اعتماده على السعي إلى تثبيت أعلى درجة ممكنة من صدق الخبر، أو استبعاد تكذيبه بالدليل الدامغ. غير أن هذا النمط لا يصل إلى أن يست설 بنفسه كقضى أدبي قائم بذاته معتمد على قواعد الخصاصة. فقصة الكلب الذي قيل الزوجة الزانية وعشيقة(4) لا تصلح أن تكون من ناحية قصة قصيرة لأنها تقوم على حداثين، أو ثلاثة أحداث دون عقدة وحل. ويصدق القول ذاته على قصة المرأة البديعة التي لزمها من خلفها عشيقتها فلم ينهز إليها من دخلوا بيت المرأة للعثور عليه(5)، فخلاصة القصة تتمثل في هذه الكلمات القليلة كما وردت. والقصتان السابقتان معاً


(3) إبراهيم عبد الله، السردية العربية، ص 19-20.

(4) انظر الملحق، قصة 71.

(5) انظر الملحق، قصة 87.
مستعصيتان على التوثيق التاريخي فلا تعتبران من هذه الناحية شهادة على واقعة تاريخية أو تثبت نتائج حديث من الأحداث التي شهدتها الناس ولو اختلفوا على تأويلها.

وأما النمط الثالث فهو النمط التسجيلي الذي يسعى إلى توثيق الحقائق التاريخية، ويتم كثيراً بالدقة والصدق، وتحري عدالة راوية الخبر، مستخدماً في ذلك أساليب علماء التاريخ. وسوف تنصب دراسة التشكيك لدى التوثيقي على النمطين الثاني والثالث من القصص أي القصص الإخبارية والقصص التسجيلية. ومن هنا فإن إخضاع القصص الإخبارية للمعايير النقدية المتصلة بالقصص القصيرة هو من قبيل الجهود المضبوع الذي لا يخدم غرضًا، فإذا كانت نتائج إخضاع هذه القصص لتلك المعايير تنطوي على استبعاد القصص الإخبارية من جنس القصص القصيرة فهذه النتيجة ثابتة قبل البحث وبالتالي فلا جدوى من ضياع الجهد ولو فرض جدلاً أن نتيجة البحث أدت إلى اعتبار التوثيقي من كتب القصة القصيرة فهذا سوف يستوجب تطوير المعايير من أجل التوصل إلى نتيجة موضوعة مسبقاً، وهذا أيضاً جهد لا طائل تحته.

أما المسألة الثانية التي ينبغي إيضاحاً فهي أن هذا البحث هو بحث استقرائي يستهدف استخلاص النسبيات التي تتنظم قصص التوثيقي الإخبارية، والتسجيلية، ولا يقوم على نقد هذه القصص وتقديمها. ويفترض الاستقراء أن ينقلب الباحث مبراً من كل حكم مسبق منظوراً ما سوف يصادفه من خصائص فيسجلها، ويحاول بعدد يصنفها ليتوصل إلى وجود النسبية أو عدمه، ولو كان البحث تقييماً لوجب وضع معيار التقييم مسبقاً، ومن ثم قياس كل عمل في ضوء كل معيار، وإصدار حكم إجمالي على العمل موضوع القياس. وقد يوفر هذا البحث منفتحاً على جميع الاحتمالات فتكون إلى ما هو مثبت في هذا الفصل.
السرد في قصص التنوخي الإخبارية

"سمعت رجلاً سأل أبا العبر عن هذه المحالات التي يتكلم بها: أي شيء أصله؟ قال:
أبكر فأجلس على الجسر ومعي دواء ودرج، فأكتب كل شيء أسمه من كلام الذاهب والجاني والملاحين والكبار حتى أصل اللحرم من الوجهين ثم أقطعه عرضًا، وأقصه مخالفًا، فيجئ منه
كلام ليس في الدنيا أحق منه". فالسرد (إذا) لا يعبر احتمالاً لا لجودة الأدب، ولا لردته
إنه عالمي، عبر تاريخي، عبر ثقافي، إنه موجود في كل مكان تمامًا كالحياة فهل تذفعنا كونية
السرد إلى القبول بانعدام دلالته؟

"إن أنماط السرد تتعلق بالكيفية التي يعرض لنا بها السارد قصة ويقدمها لنا بها (3). كل سرد يتضمن في الواقع بنسب متفاوتة جدًا مع أنه متتنوع وشديد التراكب من جهة أولى عروضًا لأفعال وأحداث في التي تشكل السرد بمثابة المصدر، ويتضمن من جهة ثانية عروضاً لأشياء وشخوص فهي نتاج ما ندعوه اليوم وصفاً (4). فالسرد فن حمله أساسًا ووصف
عبد للسرد خاضع له" (5).

هذه المحاورات في إلقاء الإيضاءات جميعًا على مفهوم السرد لا تبدو قادرة على تحديد
ماهية السرد بشكل يجعله أداة صالحة للقياس. ولا يعني ذلك أبدًا أن هذه الإيضاءات غير مجديه،

(1) انظر كليلة، عبد الفتاح، (1988)، الحكاية والتاويل: دراسات في السرد العربي، (ط). المغرب، الـ
البيضاء: دار توبقال للنشر، ص 55.
(2) انظر بارت رولان وأخرون، (1992)، طرق تحليل السرد الأدبي، الرباط: منشورات اتحاد الكتاب،
ص 9.
(3) انظر المرجع نفسه، ص 61.
(4) انظر المرجع نفسه، ص 75.
(5) الرقيق عبد الوهاب، في السرد: دراسات تطبيقية، ص 26.
لا أنها غير مكثفة لتحديد معنى واضح يحتوي على معايير للقياس، أو على مادة تسمح بانتشار
مثل هذه المعايير. وتكفي الإشارة إلى ما وصفه رولان بارت بأنه "كونية السرد" التي ينتج
عنها انعدام دلاليته. فالضرورة تدعو – والحالة هذه - إلى تبني تعريف إجرائي لغيات هذا
البحث، وتزيد الضرورة إلحاحاً إذا ما ذكر المنهج بهذا الأمر ما أثير حول تعريف السرد
والراوية، وما أثير حول التمييز ما بين الكاتب والراوي والسرد، بل إن يمنى العبد لم تورد
تعريف سرد ضمن (شرح لآية المصطلحات والمفاهيم الباردة) في كتابها تفنيات السرد
الروائي، وإنما أوردت مصطلحاً جديداً اسمته "السياق " وعرفته على النحو التالي: "السياق هو
التابع والتتابع للأنواع متفق معEqه باء النص أو يوحي به هذا التتابع الخاص به."). وهذا
الاصطلاح بهذا التعريف يقترب كثيراً مع الإضاءات التي حاولت تقديم معنى السرد، ثم إن
عبد الله إبراهيم انتكر هذه الاصطلاح أيضا، أسماء "السرواية " وعرفه بقوله: " السردية هي العلم الذي
يعني بمظهر الخطاب السردي أسلوباً وبناء ودالية (...).

يستنتج من كل ما سبق أن السرد تواجه في نظر النقد والأدب ما بين سخرية أبي
العبر، والرصانا التي دعا إليها عبد الله إبراهيم، إذ أعتبر السردية علماً، وهذا مدعاماً للنشئت
عند محاولة تحقيق معنى دقيق للسرد لغيات استفادة خصائصه إستقراء من النصوص. فكان
لزاماً والحالة هذه تبني تعريف إجرائي لغيات هذا البحث.

وهذا منطلق لذلك هو ما توحي به اللغة العربية لا ما يستفشف بشكل عام من لغات
أخرى، فالسرد في اللغة العربية يشير إلى إحكام النسيج وقد ورد ذلك في القرآن الكريم: "ولقد

---

(1) انظر العبد، يمنى، (1999)، تقنيات السرد الروائي في ضوء المنهج البلدي، (ط2)، بيروت: دار
القاربي، ص186.

(2) انظر إبراهيم عبد الله، السردية العربية، ص 17.
آتينا داوئ منا فضلاً يا جبال أبوي معه والطير وأننا له الحدي، إن اعمال سابقات وقدر في السرد واعملوا صالحاً إن بما تعملون بصير(1). وفسرت عبارة "قدر في السرد" على أنها تعني: إحكام حلقات الدرع بشكل يجعلها نسجناً متماسكاً متسقة تنتظم جميع النسيج وتبدو واضحة للعين(2). ومن هنا كان لزاماً أن يكون قوام السرد نسقية تتعلق بإحكام بنية النسيج وتماسك حلقاته وربط أجزائه المختلفة الربط بما يكسبه وحدة متماسكة، وقد اختبرت كلمة السرد دون كل من مشتقات حكى وقصة، لأنها هي الوحيدة التي تشير إلى النسقية حتى في معناها اللغوي، فأما حكى فتطوي على المشابهة والمشابهة أي بين الخبر الأصلي والخبر كما يرد على لسان الحاكي(3).

والمقصود بالسرد – لغايته هذا البحث – إن هو نسقية تناظر الأحداث المكونة للخبر الأدبي من حيث الحبكة، ومن حيث الزمان والمكان، ومن حيث اللغة المستخدمة، وأدوات التشويق، ووسط أنماط الصراع والخاتمة. ولدى تطبيق هذا التعريف على المنتمى من أعمال التنوخي في نهج استقرائي مفتوح على جميع الاحتمالات تبين أن السرد عندنا يتصف بخصائص فنية ولغوية، يمكن إجمالها في بضع خصائص سيجري بيانها والتمثيل عليها تأليفاً، غير أنه ينبغي التنبه إلى أن هذه الخصائص لا ترتبط بالضرورة بنمط التنوخي في السرد دون غيره من الأدباء والكتاب، إذ لم يقم هذا البحث في هذا المقطع منه على أسلوب المقارنة فيما بين التنوخي وغيره من جمعنا الأخبار.

(1) سورة سبأ، الآية 10-11.
(2) انظر عبد المنان، حسان، (2000)، معجم ألفاظ القرآن الكريم، عمان: بيت الأفكار الدولية، مادة سرد.
(3) انظر المرجع نفسه، مادة حكي.
وجدير بالعناية في هذا المقام أن التتوخي نسب كل خبر إلى سلسلة من الرواة المتعلقين، بحيث لا يمكن القول إن التأكد من أن الأسلوب المبتوث في هذه الأشياء هو أسلوب الشخصي، مع أن ثمة خصائص عامة هي التي سنكون مدار هذا الاستعراض لخصائص السرد عند التتوخي.

ويلاحظ أن التتوخي خاطب قراءه من خلال راوية يتحدث بصفة المتكلم، وهو دائمًا راوية ذكر، إذ لا مكان للمرأة بين الرواة مع أن أفكارها تنقل عنها، وأفكارها ومفاهيمها يجري التعبير عنها من خلال ذلك الرواية كما هو حال سائر الشخصيات في قصص التتوخي، فالمرأة إذا تظهر بمظهر الغائب إلا إذا أطلقها الرواية فعدناً بتعديل الكلام بضمير المتكلم، والرواية في الغالب هو جزء من الحديث وإن كان في بعض الأحيان مشاهداً قريبًا لا يخرج من حيز التفاعل الشخصي مع الحديث، إعداد الرسائل الجامعية، وللدلالة على هذه الخصائص المتصلة بالرواية يمكن تحليق قصة الأثير وعذراء

فالرواية فيها هو التمثير الهلال، الذي كان طرفًا رئيسيًا في أحداث الفصبة حتى أنه كان أكثر ظهورًا من الأثير ذاته الذي كان يقتصر دوره على الانفراد ببعضه الاستغلال، في حين أن التمثير كان يسوي ضروب سطح زوج جيدة التي كانت كل ضربة تقع عليها من يخرج إثرها منه الدم، والحقيقة أن المشهد المؤثر لم يعد موقع لقاء الأثير وعذراء وإنما بيتها ومخدعها وسريرها، ويتحدث التمثير فيقول على سبيل المثال: "فخرجت لا أعود ما أمرني به حتى لقيت الجارية، فأبلغتها الرسالة، وأعلمتها مكانه وسألتها عن الخبر قالت: "هي والله مشددة عليها، محترف بها، ولكن موعدكم أولئك الشجرة اللواتي عند أعقاب البيوت مع صرادة العشاء الأخرى ...". التمثير هنا يتحدث عن جميع الشخصيات بصيغة الغائب إذا أطلق الجارية أنطقها.
على أنها هي الأخرى متكلم، ويصدق القول نفسه على جبابة وأمها وأختها بل وعلى الأشتر ذاته.

ويصدق هذا الحكم ذاته على قصة صيد(2).

 فالراوية هنا صديق، من أولاد الجند قال: كنت معتزًا يومًا في الكرخ ببغداد فرأيت
امرأة لم أر أحسن منها قط، فوقفت أنظر إليها وإذا بها قد ولت وإذا بعجوز معها قد جاءتي
فمازحتني عنها وقالت: تقول لك تجء في دعوتي فقلت: لا يمكنني أن أقضي مع أحد ولكن
تجيء في دعوتي أنا، فقالت لب، بل تجيء أنث، فحملني رط شهوتي لها أن مضبت معها ...

الراوية هنا رجل كان طرفًا فاعلاً في القصة تفاعل مع أحداثها في جميع مراحلها، فهو قد تولى
الرواية بضمير المتكلم، ولكنها نقل أقوال الآخرين، ووضعها على لسانهم، وتركهم يتكلمون.
ولعل أبعد الرواية عن الحدث راوية قصة ذات تسامح(3)، فهو لم يكن طرفًا في الحدث، ولكنه
تعقبه وترك المرأة تتحدث عن صلب القصة بضمير المتكلم، وفعل ذلك بعد مقدمة طويلة،
فالمراة لم تبدأ القصة من أولها وإنما أدخلت إلى مسرح الحدث لكي تحول عقدة القصة، وبهذا لا
يمكن القول إن المرأة كانت هي الراوية الفعلية؛ ذلك لأن الخبر نسب إبتداء إلى العقلاء من أهل
مصر.

واعتمد رواة القصص على السرد التاريخي المتلاحق الذي يبدأ بالحدث الأسبق في
الزمن ليقلوه ما حدث من بعده حديثًا حدثًا إلى نهاية القصة.

---
(1) انظر الملحق، قصة 88.
(2) انظر الملحق، قصة 68.
(3) انظر الملحق، قصة 83.
قصة المرأة والقرد تبدأ بأن راوية القصة بات في سطح خان، وبات معه قرّاد ومعه قرده وامرأته، ثم نام الناس ثم اقترب القرد من المرأة، فرشي القرد الراوية بكيه نقود الزوج فغض الراوية نظره عن القرد، وتركه لشأنه، ثم وطى القرد المرأة، ثم شكا القرّاد إلى صاحب الخان ضياع نقوده ثم وقف القرد وصاحب الخان بالباب مع القرد الذي تناول رجلًا يهوديًا على أنه السارق وصرف النظر عن الفاعل الحقيقي (1).

أحداث القصة إذا متعاقبة تعاقدًا تاريخيًا يكاد يشبه التقارير الوصفية أو شهادات الشهود، ويصدق ذلك أيضاً على قصة المرأة البديهة التي شاع أمرها بالكوفة مع عشيقها حتى آتي الناس دارها يفشلونها، فادخلتهما بها وبين قريصتها، فتشاد الناس البيت لما وجدوا له أثراً فخروا (2). ولا يكاد الارتداد إلى الزمن الماضي يدخل في الأسلوب السردي الذي اعتمدته العريفي؛ لأنه لا يناسب بالضرورة مع الأسلوب التاريخي المتلاحم في عروض الأحداث في القصص الإخبارية المنقولة.

وفي معظم الأحيان تفتح القصة بمقدمة قد تطول كثيراً وقد تقصر، وقد تصرف ذهن القارئ نحو سلسلة من الأحداث لا تكاد تتنسج مع ما سوف يأتي، إلا أنها في أحيان أخرى تكون بمثابة تمييز لمصرح الأحداث أو في محورها، قصة الرجل الذي أدخل دار الخلافة في صندوق (3)، تفتح بمقدمة طويلة يكاد القارئ يظن معها أن الخبر سوف يتناول سيرة ذلك الرجل، قصة بناء تجارية عملية في السوق متصلة بالخبرة الواسعة في التجارة التي ورثها عن والده، ولكن الأحداث تتخذ منحنى مختلفاً تماماً كائن التجارة فيه مجرد قاعدة انطلاق لتعاقب

(1) انظر الملحق، قصة 82.
(2) انظر الملحق، قصة 87.
(3) انظر الملحق، قصة 63.
الأحداث، بالمقابل كانت المقدمة قصيرة في قصة الحسن بن مالك الغني الذي قتل كلبه زوجه وشقيقها بعد أن باشرًا فعل الفاحشة(1).

وبدو جلياً أن وظيفة المقدمة تختلف عند التنوخي عنها لدى الروائيين وكتاب القصة القصيرة المحدثين إذ أنه لا يمكن اعتبار اللوحة التقديمية (لدى غسان كتافني مثلًا) جزءًا عضوياً من النص إذ أنها مجرد توضيح لنية الكاتب، ورويته الأيديولوجية الكاملة وراء إنتاج العمل، أي أنها توضح لماذا كتب غسان كتافني العمل، وفي أي ظرف، وتحت ضغط أية حاجات نفسية وأيديولوجية، وتعبيرية أي أنها ترسم إطار العام لكتابة رواية قصصية لها ضرورتها الأيديولوجية في العالم الأول(2). مقدمات التنوخي لا تبين لماذا كتب ولا تقدم إطارًا أيديولوجياً أو فكريًا لقصته الإخبارية التسجيلية بل هي خبر متصور نادر قد يزيد كل منهما الخبر الآخر إمتاعاً.

ويبقى أن التنوخي لم يُعَن كثيراً بوصف مسرح الحدث ومكانه، فهو لا يصف الشارع الذي وقع فيه الحدث، أو الدار التي شهدت حواراً أو شجاراً أو قتلاً، والوصف الذي في قصة ابن التساح تركز على المنطقة المحيطة بالمغارة التي يفترض أن التساح وطئ المرأة فيها، وليس على المغارة ذاتها، ومع هذا فوصف المكان جاء لتفسير الحدث من ناحية رجاء وصفاً لا يقوم على الإثارات الجمالية كمحسنات أو مشوقات الفقار من ناحية ثانية(3). وبهذا تُجب

(1) انظر الملحق، قصة 71.
(3) انظر الملحق، قصة 83.
التوخوي الإعراق في الوصف التفصيلي؛ لأنه كان قادراً على الإقاع بالمعقولية دون اللجوء إلى التفاصيل كما لاحظ ذلك على يوسف إدريس الناقد رشيد بوشجر(1).

والمرء لا يجد في القصص المنقولة من أعمال التوخوي وصفاً جمالياً كالذي ورد على لسان أبي نواس في أخبار النساء لابن القيم حين التقى مع صاحبه بجموعة من الجواري أغريته بأنفسهم إذ قال: لما كنا بأرض فزارة، أيام الربعين ننزلينا منزلًا بما أنهم إلى أرض أرض، ونبت غريض، وقد اكتست بنيتها الزاهية، وبرزت طراص غرها، والتح أنوار زخرفتها الباهية، ما يقصر عن حسن النمارق المصرفية، ولا يداني بهجه الزرافي المبثوثة، فازدادت الأصبار في نفسها، فاتبعت النفوس شمها ..(2). وابتدت التوخوي عن الاستعانة بالشبيهات والكنايات إلا ما جاء عن الخاطر (3).

وتثير الانتباه بعض الخصائص اللغوية التي أعطتها التوخي في سرده للقصص، مع ملاحظة أن هذه السمات اللغوية لا تتنظف جميع القصص، وإنما يجدها القارئ مبتوثة هنا وهناك، ومن بين هذه الخصائص إبراد جمل تفسيرية، أو ما في حكمها من أجل توظيفها لتفسير الحدث، فالتوخوي يستخدم جملة في موقع ما لتضيء سائر الأحداث الأخرى التي لولاها لظل الخبر أو الحدث غير مقنع، فوصف امرأة بأنها معتزلية جلدة(4) بوحي للفارق بأن رباطة الجاش ستكون من مستلزمات صفات هذه المرأة.

(1) أنظر أبوشجر، الرشيد (1995)، دراسات في القصة العربية القصيرة: مقاريات في الرواية والشكل، دمشق، ص 57-58.

(2) أنظر ابن القيم، أخبار النساء، ص 181.

(3) أنظر درويش، سلوى عبد الفتاح، رسالة ماجستير، ص 153.

(4) انظر الملحق، قصة 59.
ووصف ليلة بأنها مفترة يأتي ليتين كيف أن رجلاً تمكن بحكم ضوء القمر من تتبع

الشخص الذي طارده ليلًا دون أن يدخل في متابعة تفرضها الظلمة.

وجد سيف لطيف تحت ثياب ضحية من الضحايا؛ يأتي لتمثيل القارئ إلى ما سوف

حدث من تغير في المشهد، ما كان له أن يحدث نود وجود هذا السيف، ولو أن ذكر السيف

جاء في مستهل الحدث لكان الأمر عادياً لا يوقف القارئ، لأنه منصوم مع متطلبات القصة

الإخبارية ولكن الإيذاء به عند الحاجة إليه يوحي بأن هذه الجملة كانت بمثابة استدراك لا بدّ منه

من أجل إضفاء المصداقية على ما حدث لاحقاً، فإنها في ذلك شأن الجملتين الاستدراكيتين

السابقتين المشار إليهما في هذا الفقر، فهي جميعاً من قبيل ليس ثورة حصلت في النص

القصصي كاستدراك متاخر، ويتبين ذلك حلياً من جملتين تفسيريتين وردتا في القصة الممثة

"لا جزاك الله من طاريٍ خيراً". إذ ذكر الراوية أن مفتاح قلب الفرس كان تحت رأس المرأة

خلاصاً لما يتوافع القارئ من وجوده تحت رأس الرجل ما في الفرس، ووجد لجام شعر مع

الراوية يأتي ذكره عند التأهيل لسرقة الفرس، وهذا وذاك يظهران بجلاء أن الراوية آراد أن

يستدرك ما كان قد فاته من إعداد محكم للتنفيذ السرقة.

ومما يلاحظ على التوخي من حيث اختيار الألفاظ والتراكيب ورود كلمات تذكر

باللهجة

1. انظر الملحق، قصة 61.
2. انظر الملحق، قصة 68.
3. انظر المرزوقي، سمير وشاكرين، جميح، (1986). مدخل إلى نظرية القصة: تحليلًا و تطبيقًا. بغداد:
   دار الشؤون الثقافية العامة أفاق عربية، ص 78.
4. انظر الملحق، قصة 62.
العامة في هذا الزمان (1) نحو (فُتحَجتِها إلى بِرا)، (فانصرف إلى برا) (2)، ومن ذلك أيضاً (بَلَا تُطَّلِق يَّسِي) (ثَبَّثَ لَسْنِيِّ بِاء مُولَانِي)، (أَمَرْتُبُيَّ سُنِيَّ بِإِنفِاذ هذَا الْإِلَكَ)، (نَثْلَا نَحْيَهُ سُنِيَّ فَتْحُرِد عَلَيْهِ) (3). فَرَبَّما كَانَ لَفْظ سُنِيَّ مُتَداوَلًا بَيْنِ الْجُواْرِيَّ وَالْخَدْم، وَلِيْسَ بَيْنِ الأَشْرَاف وَعَلِيْة الْقَوْمِ، وَمِنَ الْأَلْفَافِ المُوْحِدِة لِلْعَالِمِة أَيْضاً لَفْظَة (أَيْشٍ) بَعْمِيْنٌ مَا نَحْوُ (أَيْشٍ فِي صَندُوقِهِ) (أَيْش حُصُلُ الْيَوْمِ) (هَذَا أَيْش)، (أَيْش جَبِتِي الْيَوْمَ)، (أَيْش خَبِيرُكَ) (4)، وَمِنَ الْتَرَكِيبِ الَّتِي تَسْتَفْقِفُ الْمَرْأَة أَسْتَخْدَامُ الْتَوْحِيدِ لِلْحَرْفِ (أَنْ) بَعْدُ كَانَ وَضْطَحَتِهَا نَحْوُ (كَانَ أَنْ يَتَلَفَّ) (كَانَ أَنْ تَتَلَفْ) (5) وَفِي مَقْبَالٍ ذَلِكَ تَسْقَطُ (أَنْ) الدَّاخِلَةُ عَلَى الْمُصَدِرِ المُؤوْلِ فِي نَحْو قُوْلِهِ (تَرْيِدُ نِفْقَة الْمُصَدِرِ) (قُلْيِ لِهِ يَكْبَتْ) (6)، وَإِضْافَةً إِلَى ذَلِكَ يَلْحَظُ سَقْطَتْ أَذَا الْإِسْتِفْهَامِ فِي جَمْلٍ نَحْوُ (يَا فَتِى لَكَ زَوْجَة) (تَنْذِرُ أَيْامَنَا الْأُوْلِى) (7)، وَمِنَ الْتَرَكِيبِ المتَتْرُفَةِ المُنْثِرَةُ فِي هِذِهِ الْقَصْصَيْنِ عِبَارَاتٌ نَحْوُ (عَلِيّ وَعَلِيّ) (8)، (الآخَر جَاهِل) (1)، وَقَبِلَتْ هَذِهِ تنْزِيْهَا لِلْمُخاطِبِ عَنْ الْمَسَسِ بِكَراْمَتِهِ كَمَا يَقَالُ فِي الْعَالِمِ الْبَعِيدَ أو الأَبْعَدِ جَاهِل)، (إِفَّاذَا هِي بَارَكَة) (2) بَعْمِيْنِ جَالَسِهِ كَمَا يِبْرِكُ الْجَمْلِ (إِفَاذَا بَالِدَارِ الأُوْلِى) (3) بَدْلَآً مِنْ الْأُوْلِيَ.  

2. انظر الملحق، القصص 68، 78.
3. انظر الملحق، القصص 60، 63، 78.
4. انظر الملحق، القصص 60، 63.
5. انظر الملحق، القصص 63، 68.
6. انظر الملحق، القصص 60، 61.
7. انظر الملحق، القصص 63، 66.
8. انظر الملحق، القصص 60، 63.
ويستوقف القارئ عدم العناية أحياناً في استخدام الضمائر كأن يخاطب الاثنين مخاطبة الجمع مرة، ومخاطبة المشي مرة أخرى نحو جملة (انتم غرباء أو من أهل القرية...
فوجدناكم)).

ومن الخصائص البنائية لأسلوب التوخي في السرد أنه ينسب رواية القصة إلى سلسلة من الرواة تنتهي براوية بعينه، إذا كانت القصة تسجيلية مثل قصة جميلة أخت معز الدولة وقصة خالة المقدّر). في حين أن القصص غير التسجيلية مشوبة ببعض عن عيب الإسناد عن طريق الإشارة إلى شخص في صيغة نكرة كان يقال(حدثني رجل من أهل الصوفية) (حدثني صديق لي قال (، (رأيت رجلاً من بني عقيل) (وكان من حضر صديق لأبي فسمعته يحدث أبي قال (، (حدثني رجل مستور كان له صديق) (حدثني صديق لي من أولاد الحسن (، (بابيسية الجامعة الأردنية) (، (ساهل الجامعية

وتصنف هذه القصص في الغالب بأن يقدم شخوصها دون أسماء كما هو الحال في قصة نباضة القيصر وأبيها قاضي البلد، وقهرمانة أم المقدّر التي أدخلت مشوقها إلى دار الخلافة في

1. انظر الملحق، قصة 60.
2. انظر الملحق، قصة 61.
3. انظر الملحق، قصة 78.
4. انظر الملحق، قصة 60.
5. انظر الملحق، القصصين 51 و80 على التوالي.
6. انظر الملحق، قصة 60.
7. انظر الملحق، قصة 61.
8. انظر الملحق، قصة 62.
9. انظر الملحق، قصة 63.
10. انظر الملحق، قصة 66.
صدوق إذ لم يذكر اسمها، وكان يشار إليها بلفظ فلانة، والمرأة من أهل النار التي لم يذكر اسمها، ولا اسم زوجها، ولا اسم ابنها، ولا اسم دايتها، ولا اسم أحد من شخصيات القصة المؤثرين فيها؟

أما ذكر الجارية صيد فإنهما ورد لا للتمييز، وإنما كان يمكن الوضوح المنتصر من أن يسألها متشفياً (إلى كم تعتقدين ولا تصدقين؟) ويستنتج ذلك من أن سائر شخوص القصة وردواً غفلاً من الأسماء؟. ومن المستغرب طبعاً أن يشار إلى قاض بعبارة (يعرف بفلان)؟.

وأما كان المرء ليقف عند هذا التنكر والإعراض عن ذكر الأسماء لولا أن القصص التي وردت في مثل هذا الأدب من العروض تضمنت أحياناً فيها الكثير من الغرابية أو الطرافة كما سيتبين عند مناقشة الشخصيات في قصص التوضيح، ويبدو أنه لم يكن بالإمكان في ذلك العصر إبراد قصة دون مبدع؛ لأنها تستخرج في موقع التذكير وقد المصداقية تأسيباً بما درج عليه رواة الحديث النبوي والإخباريون من رغبة في استقصاء الحقائق من علم مصطلح الحديث، ومن علم الجرح والتعديل في الرواية، ذلك أن القواعد التي تنظم أحوال السنده فاضت إلى ظهور علم رواية الحديث الذي يبحث في أحوال الحديث بالمراحل الصلى الله عليه وسلم من حيث أحوال روايتها ضبطاً وعدالةً واتصالاً وانقطاعاً؟. ويصل الأمر إلى درجة تسمية إحدى القصص بالقول (أبو المغيرة الشاعر يروي خيراً ملفقاً)؟.

---

1. انظر الملحق، قصة 68.
2. انظر الملحق، القصص 61، 63، 66.
3. انظر الملحق، قصة 68.
4. انظر الملحق، قصة 61.
5. انظر إبراهيم عبد الله، السردية العربية، ص 53.
6. انظر الملحق، قصة 68.
ويكد القاري، يلزم بأن الشرعة في النخيل هي التي دفعت النتوخى إلى مثل ذلك
النقطة من السرد حتى يكون بريناً من أي تكذيب جاد لخبره، فمن ذا الذي سيعترض نياية عن
امرأة أدعت أن التمساح وطنه، ثم عادت فيبيت كذب الخبر، ومن ذا الذي يعترض نياية عن
امرأة مجهولة مكتت الفرد من نفسها، أو أغرت صديق زوجها بنفسها فقتلهما كلب الزوج؟ ومن
ذا الذي ينحض ليدفع التهمة عن عجوز ليس لها اسم ولا نسب حين يتهمها لص تائب بأنها كانت
أمهر منه في النصوصية؟(1).

هذا الخيال الجامع يوحي بأن النتوخى كان يريد أن يطلق بالإدعاء عنه، وأن يقلت
في الوقت نفسه من فقه الرواية في مصر، يكاد يرى أن يكتب القصة القصيرة، ولكن ضمن
معطيات ذلك الزمان، وليس ممكنًا القول إن النتوخى افطر بهذا من بين أدباء عصره؛ لأن هذا
الزعم يخرج عن نطاق هذا البحث، ولكن فكرة مقاربة النتوخى كتابة القصة القصيرة أمر
يستحق التوقف عنده طويلًاً خصوصًا، وقد تبت بواكير المعالم الفنية للقصة القصيرة في
أخباره وقصصه المنسوبة إلى المجهولين والباحثات من حيث أسماهم، أو أمكنتهم، وما
شاكل ذلك من الميل إلى التفكر، وانقطاع السند. ونذكر هنا أن النتوخى استهل أخباره بكلمات
مثل “أخبرنا أو حتنًا” مع بيان الخبر والمحدث، ولم يلجأ إلى عبارات مثل "زعموا أن أو
بلغني أبيا الملك السعيد؟ كما ورد على لسان كل من بيدبا وشهرزود على التوالي(2).}

وكان من العسير العثور على شيء عن الأعلام الواردين في إسنادات النتوخى في
قصصه ذات الطابع غير التاريخي، الأمر الذي يزيد النتيجة بمفرده أن النتوخى كان يحاول أن
يكتب القصة القصيرة كتابة أدبية لا تسجيلية، غير أنه لم يذكر في أي قصة إخبارية أنه سجل

(1) انظر الملحق، القصص 83، 82، 71، 72 على التوالي.
(2) انظر كيلبتو، الحكاية والتأويل، ص 33.
إشعاعاً كانت سارية بين الناس، وإنما عمداً إلى إيراد سند ولو كان مشوباً بالضعف، أو معرضًا إلى التساؤل، فإن الإشعاع تفقد القصة رونقها بينما يكسبها السند عند العرب في ذلك الزمان صفة المصداقية. 

جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الأردنية
مركز إعداد الرسائل الجامعية
الشخصيات في أدب التنوخي

يمكن تصنيف الشخصيات في قصص التنوخي الإخبارية غير التاريخية في أربعة أصناف، أما الصنف الأول فامرأة تصرع القراء أثناء تبلور الحدث، وأما الصنف الثاني فرجل في غفلة من أمره يخرج خاضعاً في معظم الأحيان، أو يخرج كاسباً ولكن ليس بفعله، وأما الصنف الثالث فعجز محتال قوية الشخصية تحرك الحدث، أو تسهم في بلوغه، وفيما أخيراً صنف رابع من الرجال والنساء يوجد حول الحدث ولا يكادون يؤثرون فيه، فيما يلي بيان لكل من هذه الأصناف على حدة لتبتين صفاته ومعالم شخصيته.

لا تكاد تخلو قصة من قصص التنوخي الإخبارية عن إمرأة تصرع القراء أثناء تبلور الحدث الذي هي محوره، فهي تصرف أثناء الحدث تصرفًا مفرعاً، أو مذهلاً، أو مثيرًا للدهشة، ولا ينتظر صدوره من إنسان سوى من طبيعة البشر الأصليين رجالًا أو نساء.

فالعجوز المعتزلة الجلدة تضع اللص في حيرة من أمره، وتكتشف حيلته، وتظهر أنها قد أسقط في يدها إلى أن وضعت اللص في وضع لا يملك الخروج منه، فأحملته بعد ذلك، وانتقلت إلى صلاتها، وألبس القبض عليه ساعة بعد ساعة إلى أن حقق ذلك في أول النهار(1).

والأمر الطبيعي في هذه الحالة أن تفرغ المرأة فتثير الحيرة، أو أن تستلم فتترك اللص وشأنه، أو أن تدخل معه في معركة قد تخسر فيها، وقد تريح مفتوحة في كل ذلك بخوفها مرتبطة حدوث ما ليس في الحسبان لإنقاذها من ورائها، غير أنها تصرف بثقة تامة كما لو كانت أعادت مسبقاً لهذا الدور.

(1) انظر الملحق، قصة 59.
والجارية حاملة الفالوذج الحار تعرض نفسها إلى مناعبحثاء في بيت من بيوت الله بحثا عن حماية زوجة مالكها من الطلاقً.

وإذا كانت هذه درجة معقولة من درجات الوقاية فإن إعداد الجارية على تحمل المشقة من أجل نزاع لا يضرة حلة أو عدم حلة، هو أمر يستوقف القرار، فقد كان يكفيها أن تتذرع بأن الرجل الغريب رفض تناول الطعام، وكان بإمكانها أن تكتفي بأن يأكل رقيق الشيخ من الفالوذج، بل كان يكفيها أن تدعي أن الطعام أكله شخص غريب، أو أن تأكله هي. وقد لا تكون هذه الجارية مثيرة في وفاتها قد إثرت العزلية والدهشة، وعلى أي حال بظل النفاوت أمرًا معقولاً ومطلوبًا بين الأشخاص.

وتبقى صورة المرأة التي تعيش القرب في الليل، وتجمع الأكفان حتى يجمع لديها خلال سنواتين من الزمان ثلاث مائة كفن، أو ما يقاربها مائة في ذهن القارئ أي قارئ لسنين طويلة، وتعود شخصيتها لإثارة الرعب وهي باركة على صدر زوجها وركبتها على ذراعيه وفي يدها موسى تهم أن تذبح بها زوجها، وهي عامة أن لها يدًا واحدة، وأن زوجها قد يلحق بها أشد الأذى في جسمها، وفي مكانتها بين أهلها وفي مدينتها، إنها تعلم كل ذلك ولا تديث ترددًا في أن تقدم على الذبح، وتتفاوض مع زوجها من مركز القوة لا من مركز الضعف، وتخرج من الصورة، وتطرده من البلد، ولا أحد يعلم بما جرىً.

__________________________

(1) انظر الملحق، قصة 60.
(2) انظر الملحق، قصة 61.
تلك امرأة عتيقة في مزاجها قاسية في سلوكها عصية على الخضوع حتى بعد النوبة،
هي امرأة غريبة تجمع الأفكار، ولا تجمع الحي، تتحرك في العتامة لا تخشى وحشة المقابر،
ولا تستطيع أن تغفر أو أن تهادن في أمر لا ترضيه.
وتستوقف القارئ كثيرا تلك الفهفmana التي أدخلت مشوقها إلى دار الخلافة في
صندوق، فالفكرة بعد ذاتها مثير لدهشة باعتبار أن دار الخلافة محاطة بالحرس المتهبين
والحريرين على ألا يتعرضوا إلى أي مفارج، وعلى الرغم من توقعها تدخل الحرس فإنها لم
تنتوقع أن تصادف الخليفة نفسه، وأن بصر هو بدوره على تفتيش ما في الصندوق الداخل إلى
بيت حرمه، ومع هذا فإنه لم تفقد السيطرة على الرؤية بل احتلت على الخليفة، وأبدت الرجل
في دار الحرم إلى أن حان وقت خروجه، فتجاوزت ذات المحسن ذات الصبر ورباطة الجأش،
والواضح أن الرجل ذاته كان هنبأ للمخاوف والمطامع تتعلق عليه حتى فقد السيطرة على
نفسه، وفعل فعلا الخائفة، في حين أن صاحبته كانت رصينة لا تخشى شيئاً(1).
وتبين أحداث هذه القصة أن هذه الفهفmana كانت ذات نفوذ في بيت الخلافة، وأنها
استمرت صاحبة الكلمة العليا في بيت الزوجية، ويكفي القول إنها في ليلة زفافها رفضت زوجها
عند الدخول بها لأنها لم ترض عن تقصيره في غل من يديه.
ويثير الاهتمام في نفس القارئ ما يطلع عليه من خبر المرأة التي بكى أهل المقابر من دفنه
فما بينهم، فهي امرأة استباحت الزنا، واستمرت السرايا، وقتلت طفلاً، وفرقت بين ابنها
وزوجته، ثم دارت حيلة شنيعة حين زوجت ابنها من ابنتها دون علمهما، إضافة إلى ما نسب
إليها من رمي النساء بالفجور، وشرب الخمر، والاستماع إلى الغناء والمجون(2).

(1) انظر الملحق، قصة 63.
(2) انظر الملحق، قصة 66.
ولو أن العجوز الداية استمرت في رواية فطعان هذه المرأة لوصول الأمر بالقارئ إلى ما يستحيل تصوره من الاشتهار والاحتفار والإدرار، كل هذا مستحسن من كل امرأة لو كان سلوكها يتناوله جريمة جرئة، أما أن يأتي به كله، ويأتي بما فوقه فأمر مستغرب مستحسن، فكأن هذه المرأة ليست كسائر المخلوقات التي يظلها الله تحت شعره، ويقلل فوق أرضه، وهكذا فالامر لا يقف عند مجرد الاستغراب، بل يتعده إلى الكراهية والبغضاء حتى أن هذه المرأة لا تكاد تخرج من ذاكرة القارئ مهما عاش بعد ذلك.

أما المرأة التي ضاحبها القرد على مقربة من زوجها النائم في الغن فلا تثير في نفس القارئ إلا احتقاراً، ولا سيما أن المصاحبة في الغن لم تكن الأولى في لما توفي به القصة، بل إن لومها ليصل بها إلى درجة إثارة المرأة في القرد على سبيل مال زوجها رشوة لمن راقبهم(1). إنها شخصية لا يكاد يستمعها قارئ أياً كان زمانه ومكانه، وإن فعلتها لمقتبسة كريبة دفعت بها إلى الهرب عندما اكتشف أمرها.

ويلاحظ في مختلف الشخصيات النسائية آنفة الذكر وسائر الشخصيات في القصص غير التاريخية الإخبارية أنها جاءت جميعاً منكرة دون أسماء، ولم ترسم لأي منهن صورة تدل على معالج شخصيتها جسمًا ومظهرًا وسلوكًا وتفاعلاً، كل واحدة من هؤلاء النساء كانت مجرد محور لحدث أو أحداث يستنتج منها شيء من الحكمة، أو النصيحة، أو التحذير، فكأن التوحي كان في قصصه الإخبارية على وجه الخصوص يقارب شعورياً أو لا شعورياً... وضع معالج أولية وقابل ينظم فئة محددة من النساء يضعهن في، ويقدمهن إلى الرجال كي يتبهوا...
إلى وجود فئة من النساء يخرجن عن الشائع المألوف بين سائر النساء.

ويتعزز هذا التوجه بأن هناك شخصية نسوية تكرر إدخالها كثيرًا في أحداث قصص التوحي الإبرازية هي شخصية العجوز التي تبدو نشطة على هامش الحدث، أو في صلبه وقلبه، وهي عادةً ما تكون عجوزاً محتالة شديدة الدهاء تستطيع الإيقاع بالرجال.

ومن أبرز هؤلاء العجوز تلك الدارة التي سهلت عمليات الزنا والسنا والقتل والوقائع وسائر الجرائم التي ارتكبتها المرأة التي كره أصحاب القبور دفنهما معهم(3)، هذه العجوز أعلنت توتيرة، وأعلنت تتصلها من فعل المرأة الفاجرة، ولكنها كانت عالمة بكل الأسرار، وكانت ذراع هذه المرأة في تنفيذ كل إن كان يخطر ببالها، فدورها مزروع بقطاع النساء التي سبقت الإشارة إليها أثناء استعراض شخوص الصف الأول فيما سلف.

ومن أخطر النساء في هذا الصراع من قصص التوحي سيدي التي كانت تصيد الرجال، وتدو بهم إلى التلهكة فلا ينجو من كبدها وكيد الجارية أحد حتى كان هلاكها في نهاية الأمر على يد ضحية شاء حسن طالعه أن ينجيه من الهلاك(3). وتنكرت هذه العجوز عن سائر العجوز بأنها أعطت اسمًا يميزها ويصف دورها في كل حدث كانت طرفاً فيه.

أما العجوز التي ضبطت مع كلبها ذلك اللص الذي سرق المجوهرات من دكان صيرفي كانت صانعة الحدث ولكن بهدوء نون صخب ولا جلبة(4).

(1) انظر الملحق، قصة 82.
(2) انظر الملحق، قصة 66.
(3) انظر الملحق، قصة 68.
(4) انظر الملحق، قصة 72.
في حين أن هذه العجوز كانت هي المستفيدة من جميع ما يسرق، ولم يكن لصيد دور
يذكر في الغنائم في حدود ما ورد في قصتها على أهمية دورها في تحقيق الغنائم فهذه عجوز
شرسة تستعين بكلب ولا تستعين بسيدة تتخذهما رأس حربة في جريمتها.
وتخرق العجوز المعتزلة خط هؤلاء العجانز من حيث إنها ليست مجرمة ولا متدخلة
في الجريمة، وتشبهن من حيث إنها كانت عظيمة الجلد، وكانت هي التي ترد على تصرفات
اللص دون أن تعود الحدث بنفسها بل كان لها دور فاعل، فهي شخصية رئيسية في القصة(1).
وتخرج من هذه القائمة تماماً أم نباشة القبور التي لم تكن على علم بشيء مما يجري من حولها
 تماماً كأفراد الصفن الثالث من الشخوص الذين يسعون من الآن(2).
الصنف الثالث من الشخوص ينظم مجموعة من الرجال الذين كانوا على هامش
الحدث ولو تأثروا به في مرحلة من المرال، هم رجال مستغلون يقضون في شرور أعمال
النساء، ولا يملكون من أمورهم شيئاً، وهؤلاء كثيرون في قصص التتوخي الإخبارية.
ولعل من أبرز هؤلاء الرجال أبا نباشة القبور الذي كان قاضياً جليباً وقوراً، ومع ذلك
كانت تصدر عن أبنه هذه الأعمال المستغرقة في عتامة الليل وظلمة المفرغة، وهو غافل عن كل
ذلك، لا يتعلق إلى شك حتى يكشف أمر ابنه، وكان سيتعرض وضععه إلى المهانة لو عرف
الناس بما كان يجري في بيته(3).
ولا يكاد هذا الرجل ينجو من آثار فعلته أبنه حتى بعد أن ظن أن الأمر قد آل إلى
صلاح، وأن ابنه تابث إلى رشدها، وثابت وأن أمر الفضيحة أودع طي النسيان، وهو في كل

(1) انظر الملحق، قصة 59.
(2) انظر الملحق، قصة 61.
(3) انظر الملحق، قصة 63.
الأحوال، رجل يعيش في غفلة من أمر أسرته رغم ما كان عليه من علم وعفو قدر، وما كان
لأحد أن يظن أن تكون له مثله ابنة كهذه المنحرفية تستغله حتى لا يقاد يرتاب أحد فيها.
ويدخل الخليفة المقتر وعده الذين استغلوا فأدخل إلى دار حربه رجل غريب في
صندوق كاد يكشف أمره لولا أن استغل مرة أخرى وضع في الصندوق ما لا يثير اهتمام
الخليفة، ثم استغل مرة أخرى عند إخراج الرجل الغريب في ذات الصندوق، ثم يستغل مرة
أخرى إذ يزوج القهرمانة من ذلك الرجل الغريب المعتدي على حرمة بنته، فكرمه بدل أن
يقته، ويعندهد أن يبطشه(1)، ولو لم يستغل لما كان منه ما كان.
ويبعد مهما هنا بيان أن هذه التهمانة لم تسم بأي اسم بل أُسمى إليها بأنها “فراقة”، ولم
يورد التنوخي شيئًا عن مصيرها بعد أن دارت الدائرة على المقتدر وأمه، ومن كان يحيط به بل
إن سياق القصة يوجِّه بأن هذه التهمانة الداهية التي أخذت من أم ووالد الخليفة شيئاً كثيراً قد
نجت من كل ملاحقة أو عقاب، الأمر الذي يوجِّه بأن القصة لم تكن حديثاً من أحداث التاريخ،
وربما استعين شخص الخليفة للدلالة على مدى الغفلة التي تصيب الرجال بمفعول كيد النساء.
وتذكر هذه القصة بقصة عبد الملك بن مروان وأم البنين(2) التي روي عنها أنها خبأت
عشيقاها في صندوق، فكشف الخليفة أمرها، فأصر على أن يأخذ الصندوق بنفسه، فألقاه في بئر
عميقة دون أن يفتحه، فطوى أمر الفضيحة وهو واع لما يحدث، ومع أنه خادمًا هو الذي كشف

(1) انظر الملحق، قصة 63.
(2) أم المؤمنين عائشة بنت يزيد بن معاوية وزوجة عبد الملك بن مروان وهي أم الخليفة يزيد بن عبد الملك،
جميع خلفاء بني أمية لها محرم سوي عمر بن عبد العزيز ومروان بن محمد، توفيت في حدود الثلاثين
وفما، انظر الصفدي، الوافي بالوفيات، ج 16، ص 315.
لعبد الملك قصة هذا الصندوق فإن المقتدر كان مستغلًا حتى من خدمه الذين كانوا يعرفون سر الحكايّة فكتموا عنه كل شيءٍ.

وفي قصة احتجاج أهل المقار على دفن الفاجرة بينهم يصادف القارئ زوج هذه المرأة الذي لم يحاول أن يعلم حتى كيف استغلّ بعد وفاة زوجته، وبصادف ابنه من تلك الفاجرة الذي كان طيلة الوقت خاليّ الذهن من أن أمّه جرته إلى مواقفها ومكانة أخته منها وإلى فراق زوجته بالحيلة والمكيدة.

إنهما رجلان مستغلان يقعن في حبائّ تلك الفاجرة ودايتها فيصاب الأبين بالصدمة، ويفارق أم أولاده، ويشعر بالخزي أمام نفسه، ويتحدث شبهية أن يسمع عن أمّه ما هو أفظع. ولا يتصور أن يكون هذا صدى للأسطورة الإغريقية التي تتحدث عن القدر المحتوم الذي فرض على الملك أوديبُ.

(1) انظر ابن القيم، أخبار النساء، ص 180-181.
(2) انظر الملحق، قصة 66.
(3) انظر جيد، أندريه، (1968). أوديب ثيسيوس من أبطال الأساطير اليونانية، ترجمة طه حسين، ط.2.

بيروت: دار العلم للغليمين.
وإذا كان صاحب الأشتة ينال مكافأة غير مقصودة لمؤنثة أخت جيداء له فإن ألقه
أوجع وأبقى ومنغم جيدة أعظم وأكبر، صحيح أن الأشتة خرج عفاناً ولكن ليس بخططه ولا
ذكاثه بل بمكر جيدة وكيدها وتسهيل جاريتها له تنفيذ الخطة المرسومة بإحكام المرأة
ودهاناتها(1).

أما ضحية صيد فقد استغل وكاد يموت ولكن سياق القصة ينجيه، ويمكنه من الانتقام
نفسه وسرقة أموال اللصوص، وقتل ثلاثة أشخاص(2)، هذا هو الرجل الوحيد من شيوخ
التوخي الإخبارية في قصصه المنتقاة الذي استغل ثم انتصر بخطط منه، ولكن حق ذلك
ضمن مخاطرة كان يمكن أن تودي بحياة، وقد أظهر هذا الرجل أنه ليس أقل حباً للملال من
الرجل الأسود، وسائر أفراد العصابة، كما أنه ليس أقل منهم جرأة على القتل، وأكل المال
الحرام، فهو ظلمة أبترافاً أبترافاً هو أظلم منهم.

وفي قصة الشبكة يستغل الرجل فيضا الجع عبده زوجته في ظلمة الليل، وسرق فرسه
بسبب هذه الخيانة، ويجب لاستردادها بعد أن أثارت المرأة الحي، وهو لا يعلم من الأمر شيئاً
حتى يخبره سارق الفرس بما كان فيخرج خاسراً فرساً وحيلة وعبداً(3).

ويتشر زوج معشوقته للفقد ما بين عشبة وضحاها قرده وامرأته، ويكد بخسر ماله، وأبو
الأخوات العشيقين يخرج مهزوماً ملوعاً على إثم ولديه ومقتلهما ويتهم حفيدةه المولودة سفاهاً(4).

(1) انظر الملحق، قصة 88
(2) انظر الملحق، قصة 68
(3) انظر الملحق، قصة 62
(4) انظر الملحق، القصصتين 82و67 على التوالي.
كل هؤلاء الرجال كانوا ضعافاً أمام النساء ولم يكن لأي منهم اسم يعرف به باستثناء الخليفة المقتدر الذي زاده اسمه ضعفاً على ضعفه في تخطيط الفهرمانة، وحتى الكاسب من حيلة هذه الفهرمانة كان قليل الحيلة خاصاً لتخطيط المرأة.

فكأن التنوخي يرسم امرأة قوية مترففة في طباعها في مقابل رجل ضعيف مستغل يتصرف في معظم الأحيان بسذاجة وطبيعة، فكأن هذه المقارنة هي وسيلة شعورية أو غير شعورية لتوكيد خطورة المرأة وميلها نحو الحضيض في هرم الصفات.

ويأتي هذا متطابقاً مع ما سلف استخلاصه من أن النساء في أدب التنوخي أميل إلى التردي في وحدة الخيانة ولوم الطبع دون أن يصل الأمر إلى حكم جارف للاستثني امرأة واحدة من النساء، ومع هذا فقد لا يشعر القارئ بالكراهية الشديدة والمقت والبغضاء لجميع النساء ذوات الطبع المتطرفة. وإن كانت الرسالة التي تحملها هذه الأحبار والقصص والحكايات لا تكاد تخفى، وربما كان السبب في ذلك أن التنوخي لم يرسم هذه الشخصيات رسمًا تفصيلياً دقيقًا بحيث يستطيع القارئ أن يتصور كلاً منهنّ كمخلوق متكامل يمثل أمامه بلحمة ودمه وابتسامته أو عيوسه بقدرته على الإحسان في بعض الواقف، وقدرته على الإساءة في بعضها الآخر.

وربما كان ذلك ناتجاً عن أن معالم القصة القصيرة لم تكن قد برزت كعمل فني مستقل عن الرواية لغايات التاريخ والتوثيق، وكذلك لم يكن قد ازدهر عهد المقامه حين برزت إلى الوجود شخصيات يذكرها المره ويذكر معالمها كشخصية عيسى بن هشام وأبي الفتح الإسكندري، والشخصيات المثبتة في المقامات المختلفة التي كانت عملاً أدبياً بدأ ينفصل عن التسجيل التاريخي.
طبيعي إذاً لا يحظى الصفف الرابع من الشخصيات بكثر من التعريف أو الإفادة في ببيان المعالم الشخصية، فهم أشخاص ثانويون في مواجهة سائر الشخصيات المشار إليهم فيما سبق، فالخدم والعبيد المنترون على هواش الأحداث إما هم وسائل كسائر الوسائل ينسون عندما يتبلور الحدث ويضيغون في غمرة تفاعل سائر الشخصيات ولا سيما النساء المتطرفة والرجال المستغلون.

وهذه إذاً هي شخوص التنوخي تتوزعها هذه الأصناف الأربعة، لا يفاجء المرء بجد شخساً واحداً يخرج عن هذه الدوائر. وعلى ذلك فإن شخوص أدب التنوخي في قصصه الإخبارية المنقحة إذاً شخوص حدث لا شخوص من لم يد ولا شخوص من ورق.

ولست كذلك شخوصاً وهما أعلنت أصواتاً للفاعل عن فكرة معينة، أو لإثباتها كما هو الحال في مسرحية " بامبريلون " لـ " جورج برناردوش " الأديب الإيطالي الشهير، وهي ليست نماذج كالتالي أحداثها بعض الأدباء " فوظفوها لتكون تعبيراً عن آرائهم أو رسمًا لواقع مشاهدة "(1).

فشخصيات التنوخي لا تزول من الذاكرة تمامًا ليحل الحدث محلها، ولكنها تتصارف بما يناسب الحدث كما يستنتج من الجمل الإدراكية المتدرجة في تلك القصص. هذا مع أنها قد تكون شخوصاً " مختزرة واضحة الوضع "(2).

أما الفكرة أو الغرض الذي صيغت من أجله تلك القصص فيتعذر استخلاصه من قصة واحدة، فالقهرمانة في دار الخلافة لا توجي إلى ما توجي إليه المرأة في قصة ضجيجية القرد،

---
(2) أنظر المروحي، نماذج إنسانية، رسالة ماجستير، ص 6.
(3) أنظر عبد الله، محمد حسن، (1993). الفرج بعد الشدة. القاهرة: مكتبة وحية، ص 68.
كما لا توحي إليه قصة نبّاشة الفيبر، وإن كانت السمة الغالبة على أولئك النسوة جميعًا بجمعها تصور واحد هو الجنوح إلى الغرائبية والشذوذ والمرض العصبي والإجراة.

هذه الشخصيات جميعًا بتم إلى القرئ من خلال دورها في الحدث دون وصف لخصائصها الإنسانية من طول، وقصر، ونعومة، وخشونة، ورخامة في الصوت، أو قبح فيه إلا إذا تطلبت ذلك طبيعة الحدث، وعلى ذلك فإن" القارئ هو الأقدر على إثراء الشخصية."(1)

خصوصا إذا كان من ذوي الذاكرة التي ترتبط برسم الصورة بالشخص والمشهد والحدث.

(1) الرقيق، عبد الوهاب، في السرد: دراسة تطبيقية، ص68.
الحبكة والعقدة عند التنوخي

من خلال خصائص السرد وخصائص الشخصيات، يتبين أن التنوخي كان يعتمد في كثير من الأحيان إلى مقدمة قد تطول وقد تقتصر، ثم يقدم مسرح القصة، فيصور حياة مستقرة، ثم يأتي طارئ من خارج مسرح القصة، فيحدث التأزم، فتنتشر بعد ذلك الأحداث التي تؤدي إلى حل العقدة والخاتمة.

ولا بد من الإشارة إلى أن بعض القصص المنتقاة تدخل في عداد التقرير الوصفي، فلا ينطبق عليها ما ينطبق على القصص ذات الطابع الخيالي أو الإبداعي، قصة أم الولد التي أخفت معظم تركه زوجها لا تنطوي على أكثر من أحداث متلاحقة تنتهي نهاية طبيعية مسجمة مع منطق الحياة رجاءً أو خسارة، فهي تكسب دعوى كما يحدث في كل دعوى أقيمت منذ أن وعى الإنسان معنى القضاء (1)، ونظرية ذلك أيضاً قصة القتلى الذي وردت مالاً كثيراً، فأثاثه في معاشرة الفيام، فإن عقدة قصته قد أتأزمت بشكل طبيعي دون تدخل خارجي طارئ (2).

أما سائر القصص، فإنها تقدم عقدة تنترزم ففعل طارئ لم يكن من الممكن التنبؤ بدخوله إلى المسرح، وتتأزم العقدة. فمن ذلك أن العنقق دخل طارئاً على حياة الزوجة التي كان يعشقها ابن عمها، فسرق خواتيمها، فأحدث الأزمة بفعل تدخله غير المحتمل (3).

وفي قصة المرأة المعتزلة الجلدة كان ابنها عاكفاً على عمله في النهار، وعلى لهوه في الليل، في حين كانت هي عاكفة على صيامها في النهار، وقيامها في الليل، وظلت حياتهما

(1) انظر الملحق، قصة 57.
(2) انظر الملحق، قصة 78.
(3) انظر الملحق، قصة 54.
مستقرة على هذا المنوال إلى أن تدخل الصل في مسرح أحداث القصة، فتسارعت تلك الأحداث، وبلغت درجة التأزم إلى أن انتهت إلى ما انتهت إليه مما سبق بيانه (1).

ولأنا تكاد تختلف الأزمة في قصة الشبكة - وهي فرس ثمينة - عن قصة المعتزلية، وذلك لأن أوضاع بيت مالك الشبكة كانت مستقرة على حال لا يعلم الزوج أبعادها، فطرأ هذا الراغب في سرقة الفرس، فأحدث الأزمة في خياء ذلك الرجل وفي حياته (2).

هذا إذاً لسان مارسا اللصوصية كما مارسها العقوق، وهذه أزمات نشأت بفعل هذا التدخل الخارجي من اللصوص الطرفين على بنية العلاقة بين شخوص تلك القصص الرئيسيين.

أما في قصتي نبأسة الفضول ومعشوقه الفرد، فالتدخل في كل منهما رجل لم يكن يعرف شيئا عن حياة محور الحدث، وإنما دخل كل منهما إلى الحدث وهو لا يعلم ما ينتظره، ولكن كلا منهما أحدث الأزمة في مسرح كان مستقماً، يبتكر فيه حدث لا يعنى أكثر من أطرافه (3).

ويتدخل المرض المفاجئ كحدث يؤزم حياة لبيب العابد، فإصابته بذيل الحياة وإنثاثها عليه، ومن ثم تعرضه لشلل يده بسبب لدغة الحية، لم يكن سوى حادث عابر، أما شلل يده الأخرى بعد زمان طويل من لدغة الحية، ومن ثم تعطل سائر أعضاء جسمه فجاء مفاجئاً دون سبب يعرفه، فنتج عن هذا المرض استحكام العقدة ونشوء الأزمة (4).
وفي قصة الأخوين العاشقين تبدو الأمور مستقرة، ولو أثارت بعض التساؤلات إلى أن تموت الأخت، فيكون موتها بداية لاستحكام العقدة ونشوء الأزمة في حياة أخيها، ومن ثم في حياة ابنتها ومالك البيت الذي كانت تسكن فيه١.

وهكذا يلاحظ أن التآزر عند التنموي كان مبعده لصوصا، من الطير أو البشر، وغربياء أدخلوا إلى الحدث ففعل المصادفة، وأحداث طبيعية من ناحية، واستثنائية من حيث إنها لم تمر إلا لتحدث بداية لسلسلة من الأحداث الناشئة عن الأزمة.

غير أن المحقق في تفاعلات الأزمة وتوجهها نحو الحل، يلاحظ أن التنموي يطوع مسرح الحدث عن طريق المصادفات أو عن طريق الخروج عن حدود المعقول، ففي قصة العقوق السارق يصدم المرء قطعاً بما تفعله المصادفة من حر شديد في الطقس يقود المرأة إلى الاغتصال، ويقود العقوق إلى سرقة حواتها في ذلك اليوم وفي تلك الساعة، ويقود عشيقها إلى أن يكون شاهداً على تلك السرقة، وأن يكون زوجها في ذات اللحظة عادداً إلى البيت، وكان تلك الأحداث جميعاً تمت بإخراج محكم أحدث كل هذه المصادفات في أن معاً لم تتخلف واحدة عن موعدها، وإذا كانت كل واحدة من هذه المصادفات معقولة بمفردها، فهي في توافرها معاً جميعاً مدعاة إلى التساؤل في مدى مطابقتها للمعقولية٢.

وفي قصة المعتزلة الجلدة يدخل اللص خلف الأبن الصغير تي، فلا يشعر به الأخير الذي يلقي كيسه إلى أمه٣.

(1) انظر الملحق، قصة 67.
(2) انظر الملحق، قصة 54.
(3) انظر الملحق، قصة 59.
ويتحرك اللص في المنزل ويجد في البيت جذوة من نار وبخوراً، فيضعه في النار
والعجوز غافلة عن كل ذلك، ويتساءل المرء عن غراية هذا البيت الذي ليس فيه خادم ولا
جارية ولا كلب ولا أي مخلوق آخر، فهذه ليست طبيعة البيت في ذلك الزمان، لا سيما بعيدت
رجال يجمعون الأموال، وبكمبون جيداً كما هو شأن الصيارفة، والواضح أن المسرح هنا
مطبوع نظرية الحبكة، وليست الحبكة خاضعة لمتطالي المسرح.
وتقدم قصة نببنة النبأ أمثلة صارخة على مجافاة المعقولية، فالليلة مقمرة خدمة
لملاقح النببنة، ولكن الأبلغ هو أن الدم النازف من يد الفتاة المتثورة لا يقوم علاامة على شيء
ولا دليلًا لأحد، رغم ما ينتظر من غراية نزف الدم بعد مسيرة الذهاب إلى المقبرة والنشب
لكثير في القبر والبئر والدوار من المقبرة إلى مقبرة.
ويتساءل المرء كيف لم يتزهي أهل البلد إلى هذا الخط من الدم المتصل من المقبرة إلى
بيت القاضي؟ وكيف لم يستدل بذلك الطارئ المسمى أبا الغيرة؟ ويتساءل المرء كيف
استطاعت هذه النببنة أن تبقى على قيد الحياة بعد كل هذا النزف؟ بل إنها لم تفقد وعيها وبقيت
مسيطرة على كل شيء، كان النزف لا يسبب أكثر من بعض الشحوب على الوجه وبعض
الاسترخاء في الجسم.
ويتساءل المرء كيف بقي القاضي نائمًا وقد نشأت هذه الجلبة في بيته حين عادت الفتاة
إلى بيته أبيها، وأيقظت أمها ودار بينهما الحوار، فقامت الأم وغلت الزيت ثم كوبت يد الفتاة
بالزيت حتى أنقطع الدم.

(1) انظر الملحق، قصة 61.
يتساءل المرء أيضاً عن الوقت الذي استغرقه إنجاز الكي، وعن الإعدادات اللازمة لعِلْي
الزيت في ذلك الوقت الذي كانت النار فيه توجد بجهد ومشقة؟ والأم تغسل الدم حتى في بيتها،
ومع هذا فالقضيسي بقي نائماً كأنه من أهل القبور.

هذه مفارقات عجيبة يبدو أنها أغلقت أو نسيت الخيال، فسار الحدث في مرحلة التأزم
كأن هذه الاعتبارات غير متاحة وكأنها استثناء من الأمر الواقع، ويتداخل المرء كيف استطاع
قضيسي أن يزوج امرأته خلال ساعات من رجل غير معروف في البلد، دون إثارة أي تساؤلات
من قبل المحبيتين به حتى ولو كانوا لم يشاهدا دماً ينتهي عند باب بيتها؟

هذا خروج واضح عن المعتقلاة كله عن الحقيقة، كي تتبع الأحداث وتتلاحم من
نقطة التأزم إلى نقطة الحل.

ومنذ تأزم قصة الشبيكة بطلب أهل المخطوان أن تكون هذه
الفس في مهربها، تتوالى
أحداث غريبة تبدأ من دخول طالب الفرس إلى حي مالكها دون أي شكك به أحد رغم تكرار
مراقبته لخباء ذلك الرجل، ويفوض السياق ألا يكون في بيت هذا الرجل مصابٌ بمضيءٍ به
حتى وهو صاحب فرس لا تقدر بثمن، ويتجرأ طالب الفرس فيجلس في الظلمة ما بين الرجل
وزوجته يتناول معهما الطعام، ولا يغتنم إلى وجوده أحد، فكان هو القادر على الرؤية في
الظلمة وما عاجز عن ذلك، ثم ينامان ويعلم هذة الطرق رغم الظلمة أن متى قيد الفرس
تحت رأس المرأة، وليس تحت رأس الرجل وهو مالكها الذي لا يتخلّى عنها بثمن، وتحرك
المرأة في العتهم نحو العبد فتهيدهي إلى طريقها ويراها ولا تراه هي ولا يراه العبد الأسود،
ويتحرك نحو الفرس ويفكها ويلجمها بمسر ولا يشعر به أحد حتى ينجز مهمته(1).

(1) انظر الملحق، قصة 62.
كلها مفازات لولاها لحبط عمل هذا الطارق ولمسه مكره، ولربما استحال عليه بعد ذلك تحقيق ما يسعى إليه.

وشبهه بهذا المشهد ما ورد في قصة صيد من أن الضحية لما اقتيد إلى البيت أول مرة، أغلق عليه الباب فأخذ ينصب إلى ما يجري في الخارج، فاستنتج أن الذي قدم عبد أسود ذو جسم ضخم، واستنتج لمجرد السماء أن الأسود وطى البارزة عشر مرات أو خمس عشرة مرة (1)،

وإنه لمن الطريف حقاً أن يكون السمع دالياً على لون البشرة أو ضخامة البنية أو ما شابه ذلك من الخصائص، والهمج أن بعض الشخصيات يتمكن من التحرك في الظلمة ويتميزون على سائر الناس بهذه القدرة تمهدماً لتصديق الأحداث التي تجري.

خلاصة القول إن العقيدة عند التنوخي كانت تبدأ في الغالب من ظرف طارئ لا علاقة له بسرح القصة، إضافة إلى أنه يخرج الحبكة عن المعقول والمألوف في خدمة مسار الأحداث من نقطة التأزم إلى نقطة الحل، ويضع الحبكة والحل والخاتمة "لمنطق القص لا لمنطق العقل" (2).

(1) انظر الملحق، قصة 68.
(2) انظر الوسلاتي، البشير، (1997). القص في أخبار الفرج بعد الشدة للقاسمي التنوخي، حوليات الجامعة التونسية، م، (41)، ص 102.
الحل والخاتمة عند التنوخي

تتنوع حلول العقد لدى قصص التنوخي الإخبارية. فهو في بعض القصص يقدم حلاً عادياً مقبولاً ضمن منطق الأحداث، في حين أنه يرد إلى غير ذلك في قصص أخرى، أما أن يقتل القاتل، وأن يسلم النص إلى صاحب الشرطة، أو أن يحكم القاضي في ضوء البيئة المتاحة فأمور عادية يفرضها المنطق السائد وسياق الأحداث.

ولكن ترك البلد خليسة بعد دخوله خليسة يترك من الأسئلة أكثر مما يحل من العقد، ويقدم من الأجوبة. ويفطن الراوية إلى ذلك فيذكر أنه لم يلق بعد ذلك بانتباه القنور ولا بأبيها، ولم يعد إلى ذلك البلد.

وتقدم قصة من يتزام الموتى من دفنهما بينهم مثالاً أوضح على مثل هذه الخاتمة، فإذا اعتبر موت المرأة الفاحرة نهاية القصة من حيث توقف ممارساتها، فالقصة قد انتهت بحل حاسم، وأما إذا كان الموت بدأ قصة الفتى الشاب فإن نهاية السرد توقفت عند عقدة التأزم دون أن يعطى القارئ أي إيجابية بما نجم بعد ذلك من تصرفات.

ولا يستطيع القارئ وحيداً أن يتصور ماذا سوف يحدث إلا أن يكون متخصصاً بالأحوال الشخصية لمقتضى الشريعة الإسلامية وblend النفس وخصوصاً سيكولوجيا الصدمة وعلم الاجتماع في أن معاً، بل إن الرجل الذي رأى الرؤية وسمع احتجاج أهل المقابر قد خرج من المشهد حائراً في باقي ما صدر عن تلك المرأة من ممارسات وأثارها.

(1) انظر الملحق، القصص 54، 59، 57 على التوالي.

(2) انظر الملحق، قصة 61.

(3) انظر الملحق، قصة 66.
وتكفي إثارة بعض الأسئلة المتخصصة حتى تتبع المشكّلات التي تركت دون علاج، وتصلح أن تكون مبدأ لنقطة التأزم في قصة أخرى، فيتسلّم المرء عن الوضع الشرعي للشقيقة الزوجة؟ وعن الوضع الشرعي للأولاد من هذا الزواج؟ وإلى من ينسوب شرعاً؟ ومن يتولى شرعاً الإلقاء عليهم؟ ومن هو وصيفهم؟ ومن صاحبهم حق الحضانة لهم حتى سن البلوغ؟ وما هو الوضع الشرعي للطلاق الذي وقع على الزوجة الأولى وهو غافل عن الظروف التي دفعته إلى إيقاع الـطلاق عليها؟، أسئلة كثيرة وأجوبة قليلة قد تضع أهل الاختصاص في دوامة بعد دوامة، وتبقي المسألة الكبرى التي سيتبّه إليها كل متخصص وهي مدى جواز الأخذ بالشهادة الفردية لعجوز فاسقة كانت شريكة حسب زعمها في كل ما حدد، هذه المسألة ستكون جوهرية في حسابات ابن المتوفاة وزوجته والقضاء، ولكنها مع هذا تترك عامة تظل تعصف بهذه العائلة.

ويند المتّأمل في قصة الأخون العاشقين وضعاً شبيهاً بهذا إذ إن موت الشقيقة وبعدها موت الشقيق كان سبباً في بداية تآزم قصة الطفولة التي لم تحل حلاً مرضياً، على الرغم من عودتها في وقت مبكر من عمرها إلى ذلك الرجل الذي لا يصلح شرعاً أن يكون جدها، لأنها ولدت على غير فراش الزوجية فلا يصح لها نسب إلى أبيها ولا إلى جدها(1).

وفي مقابل ذلك عدم التنوخي إلى نهایات طارئة لم تكن في الحساب، تماماً كما اعتمد عوامل تأزيم طارئة غير محسوبة منذ الأساس، ومن النهايات المفتعلة تلك التي وردت في قصة الرجل الذي ورث مالاً فأتلفه، ووصل به الأمر إلى أشد الفقر والمهانة، فلم يعط عن معاشرة القنان إلى أن تلقى إهانة لم تحركه هي

(1) انظر الملحق، قصة 67.
الأخرى حتى يقوم، فيبتغي الرزق بعمله، بيد إن حل عقده كان بموت مولى لأبيه وابن عم له في يوم واحد في مصر، فحصل له من تركتهما أربعون ألف دينار، فصلحت حاله وعاد إلى نعمة متوسطة\\n\\nويستغرب المرء كيف تتضاعف العوامل فيموت المولى وابن العم في يوم واحد، ويترك كل منهما مالاً يصيبه منه خير كثير، ويكفي لبيان المفارقة أن ابن العم المتوفى كان بمقتضى ما يستوجبه السياق قد مات كلالله دون ولد ولم يكن له أب، ولا حفيد، ولا جد، ولا عم حتى يصل هذا المال إلى هذا الملقي في القطن لا يملك ما يقتات به، فإذا كان له ورثة من أصحاب السهم النسبي في التركية كالنورجة التي ترش للربع والاربع التي ترش النصف أو الابنتين اللتين ترثان للثلثين\\nفي أن كان له شيء من هذه القرارات وباقي بعد ذلك من المال ما اغتى به هذا الوارث فلا بد أن تكون تركته كبيرة حقاً وأن أحد لم يتجأ عليها في مصر وهو مقيم في العراق لا يملك دفع الامكاء\\n\\nومن ذلك ما مر به لبيب العابد من شفاء طارئ عاجل غير أوضاعه في أقل من ليلة بعد مرض طويل لم يكن برجي البريء منه\\n\\nأما الكلب الذي قتل من ضائع زوجة صاحبه فكان في الحقيقة بدأ التأزم في العقدة، ونهاية التأزم على طريق قتلهمها، وحل العقدة حلاً نهائياً حساساً ترك الزوجة في أسو من ناحية وفي سكينة من ناحية أخرى، إذ تخلص من غدر زوجته وصاحبهما وأمن إلى وفاء كبِّل\\n\\n\\n(1) انظر الملحق، قصة 78.
(2) انظر الملحق، قصة 84.
(3) انظر الملحق، قصة 71.
(4) انظر الملحق، قصة 71.
وتقدم قصة التمساح شكلاً مستغبرةً من أشكال حل العقادة، فالمرأة ادعى في أول الأمر أن التمساح وطنهما فحلمت منه، وسرت الشائعة بين الناس وتبليها، ثم عادت فأوردت قصة أخرى كان من شأنها أن تضعها في مشكلة بعد أن أفقنت منها، وكان الحل على كل حال في مسألة عقدة الوقوع تحت سيطرة التمساح أن مجموعة من الخيالة والمشاه مروا بالقرب من الغار فاستغثتها بهم فأنقذوها، وجاء هذا منافساً لما كان قد ورد من أن التمساح كان يلقى بمن يأخذهم في مغارات لا يصل إليها الماشي ولا سالك الماء لبدها عن الجهتين(1).

فهنا يبدو أن التوافق بين منطلق التأزيم ونهاية الحل متضاربة متناقض لا يبقى للقصة درجة من المعقولية أو المصداقية فيما قد يكونها كعمل إيداعي وكدون من الأخبار التاريخية أو التسجيلية.

وهل هناك قصة فريدة من نوعها من بين قصص التوخي المتقدمة من حيث إنها تتكون في الحقيقة من قصتين، فالقصة الأولى قصة صوفي متوكل على الله أراد أن يضرب للناس مثالاً على رحمة الله بعباده إذا توكلوا عليه، وأسلموا أمرهم إليه، فأنزل نفسه ألا يذوق مأكولاً، أو بيعت إليه، بجعة فالفوذج حار وأنزل نفسه ألا يأكل إلا بعد أن يلحف عليه واستمر على عهده إلى أن كان يلفت من الجوع.

والقصة الثانية أن رئيس القرية التي نزل فيها هذا الشيخ طلب من أهله فالمذاج، فتأخروا عليه في إعداده فحلف بالطلاق لا يأكله أحد من أهل داره، ولا أحد من أهل قريته، ولا يأكله إلا رجل غريب، فبلغت هذه القصة ذروتها من التأزيم في حين بلغت القصة الأخرى ذروتها، ولو لم يتلق أحداث القصة الأولى بالقصة الثانية لخلع الشيخ جوعاً ولطلقت امرأة

(1) انظر الملحق، قصة 83.
رئيس القرية، ولولا أن الجارية عثرت على الشيخ وهو في حال النثف، ولولا أنها
صفعته وأعلمه أن ما تحمله كان قالوجاً لما حلت عقدة أي من الفصتين، فكان حل عقدة كل
قصة بعدة الأخرى، وهذا في عرف الناس مصادفة تخرج عن المألوف وإن كانت في عرف
الصوفي وجماعته من الأمور المعتادة(1).
والواضح أن النتوخى كان معناً بفكرة وقوع الفرج بعد الشدة، فجاءت الحبكتان
والعقدتان والحلان محققة جميعاً لهذه الفكرة، وهي فكرة يرتاح إليها الناس طبعاً وإن كانت في
عداد المستبعد الأدبي.
وفي ضوء مثابة الارتباط بين الفصتين لم يعتبر هذا البحث قصة الجارية سرداً، من
الدرجة الثانية(2)، يعني إن قصتها ثانوية قياساً على قصة الصوفي، ومن ناحية أخرى ما كان
ليحدث فرق يذكر في الأداء الأدبي لو أن السرد بدأ من رواية الجارية لما حدث معها حتى
انتهى إلى الصوفي الذي أبلغها بما كان قد حدث.

(1) انظر الملحق، قصبة 60.

(2) انظر المرزوقي، مدخل إلى نظرية القصة، ص 100-101.
ملاحظات عامة حول التشكيل عند التنوخي

"اليوم تميز النظريات الحديثة بين راواً وكاتب، فالراوي هو وسيلة أو آدة تقنية

يستخدمها الكاتب ليكشف بها عالم قصة أو لبث القصة التي يرويها(1). إن السارد في القصة

ينظم الأحداث وفقًا لمخطط سببي وزمني بل تقسيري عندما يكشف الأحداث ويمنحها قيمة

شمولية أو تمثيلية.(1)

لدى اختبار أداء التنوخي في قصصه الإخبارية لا يبدو عسرًا الاستنتاج بأنه كان في

الدرجة الأولى كاتبًا، يعني أنه هو الذي ابتكر (الراوي)، وأجرى على سبنه المروي كله وطُوَّع

له المسرح والشخصيات والعقل والخاتمة. ومع أن يمنى العيد تشير في الاقتباس السابق

إلى أن هذا التمييز بين الكاتب والراوي قد أخذ يتبلور في النظريات الحديثة أواخر القرن

العشرين، فإن هذا التمييز كان واضحًا بالنسبة للتنوخي ولو لم يكن معنناً ذلك لأنه كان يقدم

نفسه على أنه راوية لأحداث صادقة قيسها عن غيره أما المحقق في قصصه الإخبارية فإنه

يقدم ميله الواضح إلى تبوأ موقع الكاتب الذي يصنع الرواية. وعلى إله فإنه أيضًا السارد في

حدود ما يعرف بمشييل رايمون من حيث إنه يعرض الأحداث دون إدعاء بأنه يضيف عليها صفة

تمثيلية أو شمولية. فإذا صح ذلك - والدلال عليه كثيرة كما سلف- فالتنوخي كان كاتبًا يريد

لإبداعه ألا يضيع سدى في ساحة أدبية تحتزم النقل المثير للمؤثر المعزز بالسند المثبت المتصل

باشرة بالخبر.

(1) انظر العيد، يمني، تقنيات السرد الروائي، ص 89.
وتجد القصص الإخبارية التي أوردها التدويهي وذكر فيها النساء على نقطة جوهرية هي الرغبة في ممارسة كتابة القصص الإبداعي على منوال القصة القصيرة المعروفة في هذه الأيام كما سلف بيانها في توطئة هذا الفصل (2).

والقصص المنتقاة تؤكد ذلك بشكل خاص، إذ أنها تحتوي على بؤر الكالمعالم الرئيسة التي تتشكل منها القصة القصيرة، ولكن الرجل لم يتمكن من التخلص من النمط السائد بالكتابة التسجيلية لأحداث تاريخية يغلب عليها طابع التوثيق والتحيز من الرواية غير المسؤولة، وكان ميله إلى التتكرار والانقطاع والنداء أو إدخال عنصر من عناصر ضعف الإثبات دليلاً وضاحياً على الرغبة في أن يطل لجذب العمة. والحق أن جذب الأدباء التي تضمنها في التوثيق كانت أكثر إمتاعاً وأقرب من الأدباء (3)، ولكن التدويهي لم يصل تماماً إلى كتابة القصة القصيرة، ولم يصل إلى إيجاد جنس أدبي مستحدث، بل بقي موزعاً ما بين التقليد والتجديد.

ولعل خيال التدويهي بلغ مداه في قصص ثلاثة تستوقف القارئ، وتنترك في نفسه آثراً عميقا. أما أولها فقصة نباشة البقور التي تقدت تحقق شرائط القصة القصيرة، وتكاد تنسي القارئ متطلبات المعقول وغير المعقول كما سلف بيانها، والقارئ الذي يمر على هذه القصة مروراً سريعاً ينتبهها، وربما يجتر ما حدث أو فسره حتى لا تنتمي لديه بنية هذا الخبر.

أما القصة الثانية فهي قصة المرأة التي يتأذى الموتى من دفنهما عندما، فهي تثير في المرء فضولاً ودهشة وعجبًا. وإنها لينسي ما تخلفه هذه القصة من اشكالات عملية، فإذا تذكرها ازداد تعلقاً بالقصة ورغبة في تدقيقها والإبقاء على بنيتها.

169

(1) انظر بارت، رولان، طرق تحليل السرد الأدبي، ص178.
(2) انظر الوطنية، ص126-130.
(3) انظر الوسطاني، القص في أخبار الفرج بعد الشدة، ص110.
أما ثالثة هذه القصص فقصة القهرمانة التي أدخلت عشيقها إلى دار الخلافة في
صندوق، فهذه القصة تشبه كثيراً تعقيدات القصص الشعبي، ويكاد القارئ يغفر للقهرمانة
عذاباتها على دار الخلافة وهو مأخوذ بطرافة ما حدث(1).

ولعل العنصر المشترك في محاولات التنوخي الناجحة هو رسم شخصية غريبة للمرأة
التي هي محور الأحداث في كل قصة، مع أن الشخصية ليست هي العنصر الأساسي في هذه
القصص جمعياً، فهي قصص تقوم أساساً على الحدث، وتستخدم الأشخاص أدوات لحركة
الأحداث وتتأمرها وحلها، ولكن الشخصيات في القصص الثلاث آنفة الذكر تبقى شخوصاً مائلة في
الذاكرة.

ولو أراد أحد أن يحلل البنية الشخصية لكل واحدة من هؤلاء النساء أو من الرجال
المتغفرين لعشر عليه ذلك أن البنية مفهومة كجزء من الحدث الذي هو الأهم، ولعل
التنوخي كان يريد أن يرسل رسالة إلى الرجال ينبههم من خلالها إلى وجود نساء خارجات عن
المألوف، ويجذرهم فيها من كيد هؤلاء النساء كعظة مستخلصة من الحدث، وبرز النسوة
ذوات التصرفات المستغرقة تعزيزاً لهذه الرسالة.

وعلى الرغم من أن المحلية استعيرت في هذه القصص إلا أنها كانت غير جوهرية
في أحداث القصة، فبالإلغاء وإلغاء أسماء الأمكنة لا يغير شيئاً من البنية القصصية، الأمر الذي
يضيف على هذه الأعمال إنسانية تتجاوز الزمان والمكان. ولا أدل على ذلك من أن هذه
القصص لا تزال تلقى قبولًا عند من يتركون التنوخي رغم اختلاف الزمان والمكان.

وليس من الإنصاف في هذا البحث إن ينسب إلى التنوخي أنه كان أو لم يكن "يعي

(1) انظر الملحق، القصص 61، 66، 73 على التوالي.
فلسفة الزمان وموضوعه الهام من عناصر الأقصوصة(1). فتجوز الزمان يعني التجربة المكثفة
رخماً إنسانياً كونياً أكبر من إن يحصر في نطاق زمني واحد. وكذلك القول بالنسبة للمكان فهو
في بعض قصص التتوخي - كما سلف ببيانه - مجرد إطار آني يصلح الحدث في غيره دون
مساس به أو بالشخصيات. فالقصة القصيرة ليست معنية بوصف المكان اعتباراً ليست مقالة
في الآثار ولا في الجغرافيا. والكاتب المعني بالحدث ينتمي جوهر الحدث ولا ينتمي كثيراً
بمتغيرات لا تقدم ولا تتأخر في الحوار أو في الحدث أو في الحل. وهذا البحث لا يتقق مع ما
ذهب إليه محمود تيمور بهذا الخصوص وهو بالتالي لم يناقش ما إذا كان التتوخي على علم
فلسفة الزمان والمكان، وأثره، أو أنواع منهما في تشكيل بيئة القصة.
ولا يبدو صحيحاً بحق، قصص التتوخي الإخبارية القول: إن وحدة من الأزمات
الخارجية - التاريخ - قد صارت زمناً داخلاً بالموضوع، هو زمن المكاحلة"(2). ذلك لأن الأحداث
في قصص التتوخي الإخبارية ليست مرتبطة بأزمة محددة بعينها كما هو الحال في قصة
الصغير، فنسيج (قصة الصغر) يتشكل من العلاقة التي تنشأ بين الصبي والبلد يد زمن حدوث
الفعل القصصي ويمكن تقديره بأعوام الأربعينات الأولى في فلسطين رغم أن ذلك لا يرد في
السياق ولكنا نقدر ذلك بسبب الصدامات التي تحصل بين العرب واليهود في فلسطين"(3).
فكل من نبشة القبور والمرأة التي كرهها الموتى(4) يمكن ربطهم في أي زمان من
الأزمة الإسلامية بدأ من العصر الأموي حتى نهاية القرن التاسع عشر. ويصدق القول على

171

(1) أنظر تيمور، محمود، دراسات في القصة والمسرح، القاهرة: المطبعة النموذجية، ص 23-42.
(2) الرقيق، عبد الوهاب، في السرد: دراسات تطبيقية، ص 28.
(3) أنظر صالح، فخري، أرض الاحتمالات، ص 16.
(4) أنظر الملحق، القصص 62 و 63 على التوالي.
سأط قصص التوخي ولو مع تحديد طفيف في بعض الألفاظ كاستبدال القرآن بالخادمة، واستبدال قصر الخاطفة بأي بيت آخر من البيوت النزية.

وهما يسهل على القارئ تذوق هذه القصص أنها جاءت بلغة سهلة سهلة التناول تكاد تخلو من الألفاظ الصعبة إلا ما كان منها مرتبطاً بالشائع من أصناف الأطعمة الفارسية في ذلك الزمان كالقالذوج وديكريكة ومرق السكباج إلى آخره(١).

من كل ذلك يتبين أن قصص التوخي الإخبارية كانت قصص أحداث لا قصص أشخاص أو قصص أفكار. فهذه القصص لم تتخ منحنى السير الذاتية أو منحنى القصص الشعبي أو قصص المعاناة الاجتماعية، فلم تكن ألم الأشخاص وأعمالهم ولا مطاعمهم ولا مطاعمهم ولا مشاربهم موضوع الاهتمام في القصص المذكورة، وقد تراجعت حتى فكرة الفرح بعد الشدة في القصص الإخبارية وغلب طابع الحدث بحيث لم بقي مكان لثبيت هذه الفكرة. ويبقى أن الحدث هو الذي طوع الأشخاص والمكان والزمان والعقدة والحل. ويدهني أن هذا التصنيف المستخلص من قراءات الباحث وتصنيفاته لا يعني وجود خط فاصل تماماً بين كل نص من هذه الأناط.

فهي أوضاع قد تقاطع وتدتداخل ولكن الفكرة المهيمنة هي محك التمييز بين كل نضج وأخر.

ولن يكون التوخي قد استوفى حقه حتى يشار إلى أنه كثيراً ما تمكن من صرف عناية القارئ عن الواقع المعروف إلى واقع متصور دون إن يقصد في ذلك إلى التضليل، فاليهودي الذي انتقاء القرد لبعض ساقاً(١) يبدو عرضة لإجاعة حد الفعل عليه، ولكن ذلك مستحيل عقولاً وشرعياً لأن الناس لا يدان بشهادة القرد ولا سيما وأنهم لم تقع قريبة أخرى على أن اليهودي كان حائزاً على كيس النقود المسروقة، ويشبه ذلك ما سلف بيانه عن الدم النازف من يد نشالة

(١) أنظر دووزي، رينهارت، (١٩٨٠)، تكملة المعاجم العربية، ترجمة محمد سلم النيعي، بغداد: دار الرشيد للنشر.
القصة (2) بعد إن أبائها الرجل الطائر الذي اختار أن يقضي ليلته في مقبرة لا في خان أو نزل.
كل هذا دليل على مهارة في الأسلوب تمكن التنوخي من استخدام السرد استخداماً ممتعاً مؤثراً و
إن يكن في نطاق القصة الإخبارية لا في نطاق القصة القصيرة بمعايبها وأشراطها المحددة.
و إذا كان ثمة قول إجمالي في مكانة التنوخي الأدبية فمن المؤكد أنه كان شديد الميل
إلى التحرر من القصة التسجيلية، و التوجه باتجاه القصة القصيرة.

(1) انظر الملحق، قصة 82.
(2) انظر الملحق، قصة 86.
خصائص قصص التنوخي التسجيلية

القصص التسجيلية كما سلف بيانه في توطئة هذا الفصل هي تلك القصص التي تسعى
إلى توثيق الحقائق التاريخية، وتتميز كثيراً بالدقة والصدق، وتحرر عدالة راوية الخبر،
مستخدمة في ذلك أساليب علماء التأريخ، وتعتبر رواية هذه القصص على نقل كلام من
شاهدوا الحدث أو عاصرونه، أو نقل رواية من استمع إليه من اللاحقين راوية رواية حتى
يتحقق للرواية الأخبار يعين بصحة الخبر\(^1\). ولدى دراسة القصص التسجيلية المنتقاة من أدب
التنوخي ينبغي أن تكون محصلة نقلت بهذا الشكل، وأنها حقيقة إجادة من رواها له، كما قررت
عليه بعضها قراءة فما كان له من دور إن التسجيل المحض، و هذا يستتبع أن السرد لا يمكن
أن ينسب إليه بل إلى من استمع منهم أو أخذ عنهم\(^2\).

و يلاحظ بصورة عامة أن هذه القصص بنيت على التتابع التاريخي للأحداث بدءاً من
مستشفى الحدث، وانتهاء بخاتمه، و يتبعون هذا جلياً في قصة سفوة و ابن عمها إياس فقد بدأت
القصة من علاقة والد إياس بأخيه فهر توصلها إلى مولد إياس بعد بأس و بلوغه سن الرجال، ثم
إرساله في مهمة كلفه بها والده فوقعه في حب ابنته عمها سفوة بنت الفهر و انتهاء بزواجه

\(^{1}\) انظر فهد، بدرى، القاضي التنوخي وكتاب النشوار، ص.77.

\(^{2}\) انظر الملحق، القصص 52، 56، 58، 64، 65 على سبيل المثال.

174
منها بعد طول معاناة. و ترد على ذات الوريثية من السرد قصة الخليفة العباسي المنصور
الذي جلس في إحدى قباب بغداد، فاستشعر يأس أحد المارة فدعاه إلى مجلسه، فعلم منه أنه
أحرز مالاً كثيراً من تجارة، فأدعاه لدى أهله، فأعلمه أنه سرق، فرسم المنصور (2) شركاً لتبين
حقيقة الأمر عن طريق إعطاء الرجل عطرًا لا يستعمله إلا الخليفة، فأعطاه بدوره لزوجته،
فأعطته بدورها إلى عشيقها فوقع في شرك رجال الشرطة كما خطط المنصور، ذلك هو نمط
التوثيق التاريخي لا يتجاوز تثبيت الحقائق، ولا يعني بأي إبداع أدبي أو ابتكار.
وإذا كانت قصة المنصور والعشيق اللص تنطوي على شكل من أشكال العقدة
والصراع، فإن كثيراً من قصص التوحيدي السيريلية لا تنطوي على شيء من ذلك، و هذه هي
حال جميلة تحت ضغط الدولة التي لم تتجاوز دورها ممارسة النشاط الإداري والسياسي تعاونًا
مع شبقيها (3). و لا يزيد الأمر من ذلك ففي قصة عائدة الجهينة (4).

وإذا كانت أخبار شغب أم المقدر قد انصفت بالميل الجامح إلى التنوير، وجمع المال،
و من ثم إلى تحمل أعباء الدائرة إذ دارت، فإن السرد كان أيضاً تقريراً ينتمي الحدث بعد
الحدث توصله إلى زوال هميتها وعودتها فقيرة ذيلة (5)، كل ذلك دون عقدة بالمعنى الأدبي
المهتم بالإبداع الفني والجمالي.

(1) انظر الملحق، قصة 65.
(2) انظر الملحق، قصة 73.
(3) انظر الملحق، قصة 51.
(4) انظر الملحق، قصة 58.
(5) انظر الملحق، القصص 52، 53، 55، 56.
و ليس بوسع القارئ أن يعد ترقب خالة المقدثر إذ آوت أبا جعفر الشيرزاد من قبل العقدة(1)، فإن مسألة الأبواء والإجراءات كانت أمرًا عادياً شائعاً في تلك الأزمنة. وإذا كان الأمر
قد وصل بإسحاق المصبوعي إلى توتر شبهه بتوتر شخوص القصص الإبداعية فإنه لم يكن يجتاز عقدة أو أزمة إبداعية؛ لأن الحل كان جاهزاً لديه وهو قتل بنته الشمس جميعًا حتى لا يقع في حبائل الرذيلة كما وقعت من قبلين بنتان مجموعة من الأعيان اطلع على أخبارهن من خلال رقاع أصحاب الأرباع في بغداد(2).

و كثيراً ما كانت أسباب الصراع تقلب المزاج أو تغير الزمان وتبدل أحواله كما هي

الحال في قصة هدية مع الأمن، و قصة رمزية زوج الخليفة مران بن محمد مع الخيزران، و زيينة بنت سليمان(3).

أما الخائمة والحل في قسم التوقيع التسجيلية المنتقاة لم تكن تخرج عن النهايات الطبيعية المرتبطة بالحدث ارتباط النتيجة بالسبب، فرضا الخليفة الأمن عن عمه إبراهيم بن المهدى كان نتيجة عادية متوقعة تحققها هدية ثمينة مثل الجارية المسمى هدية المدرة على مداعبة مشاعر علية القوم(4)، وتتفتح إسحاق الموصلي المغني على بيت من بيوتات بغداد العريقة قد انتهى باستحاسان الخليفة وحصول على مكافأة بسبب العثور على جارية متميزة في

اللغة والعف على العود(5)، هذا على فرض أن إسحاق الموصلي كان يمر بأزمة أو عقدة.

(1) انظر الملحق، قصة 80.
(2) انظر الملحق، قصة 79.
(3) انظر الملحق، قصة 81.
(4) انظر الملحق، قصة 76.
(5) انظر الملحق، قصة 85.
ولا يمكن بحكم ما سبق التصدي لشخصيات هذه القصص التسجيلية التي رواها التوخي
تصدياً أديباً، لأن كلاً منها كان شخصاً حقيقياً ينبغي فيهم تركيبته من خلال علم النفس والعلوم
الاجتماعية والتعايش المباشر عندما يكون ذلك ممكنًا، ليس في هذه القصص وصف للسمات
الشخصية كالجسم والصوت وملابس الوجه، وإذا ورد شيء من ذلك فهو لغائات تثبت الحديث
لا أكثر.
خلاصة القول في هذه القصص التسجيلية التي رواها التوخي أنها كانت أخباراً موثقة
حسب تقديره مفادها إذاء الضوء على شخصية تاريخية ملموسة عانت في زمن معروف ومكان
معروف؛ و هذه القصص لا تشبه ما يعرف بالقصص التي ينزر شخوصها و عقدها و حلولها
من وقائع مادية موثقة مع إعطاء المرة طابعًا أديباً ومع إعادة رسم الشخوص رسمًا أدبيًا قد
يتطابق أو لا يتطابق مع حقيقة الشخصية الأصلية. ومن ذلك يستنتج أن قصص التوخي المتناقثة
كانت تتندرج ضمن فئتين: إحداهما تسجيلية معنية بالاعتبارات التاريخية، أما ثانيتاهما فتندرج
 ضمن محاولات للتحرف من هذا النمط التاريخي باتجاه الكتابة الإبداعية وخصوصاً نحو ما
عرف في الأدب الحديث بالقصة القصيرة.
الخاتمة

بعد أن تنسى إنجاز المراحل الباحثية التي رسمت مسبقاً في المقدمة أصبح الآن متاحاً تسجيل النتائج التي كشفت عنها هذه العملية الباحثية عسي أن يكون فيها جدوى كما توسم الباحث في مستهل مسيرته هذه.

ويمكن القول - على كل حال - إن مشكلة الفضول العلمي أنه لا يرتوى ولا يشع، فالفضول يؤدي إلى مزيد من الفضول، والذهول يؤدي إلى مزيد من الذهول.

كانت نبئة القبور هي التي أذكر شعلة هذا النشاط البهذي، والحقيقة أنها بقيت في آخر المسيرة الباحثية شاهداً ودليلًا على أن التنوخي كان شديد النزوع إلى تجسيد خياله أدبيًا مثيرًا ينتمي على ذهن القارئ، وقد هذا النزوع ذلك النمط الذي كان سائداً لدى الإخباريين من رعية في إسهام الصدق والمصداقية على الخبر المروي تحياً للوقوع في رذيلة الكذب. ولربما كان عسيراً على الوجدان العربي أن يقبل الخيال على أنه حقيقة أو على أنه أمر مشروع في الخبر، وإن يكن قد هضمته وتمتعت في الشعر. وهكذا بقي التنوخي معلقاً ما بين القصة التشجيلية والقصة القصيرة التي لم يقبلها العالم العربي إلا حديثاً. وما كان للتنوخي أن يعمس لجنس أدبي مستقل يسمى القصة الإخبارية، ويظهر أنه حاول الإبقاء على الروايات كما تلتها عن أصحابها، ويدل على ذلك الألفاظ العامة والأعمامية الواردة في المرويات (1)، ذلك لأن طبيعة هذه القصص لا تنتمي لها بالانفصال من همزة القصة التشجيلية.

وأنضمت إلى نبئات القبور مجموعة من السوشي في مرحلة مبكرة من مراحل هذه المسيرة الباحثية، كلهنّ أتبغت بالغرابة ولو على درجات، ولكن قصص هذه النسوة كانت واضحة الدلالة على أن التنوخي لم يكن معيناً برسم صورة سلبية للمرأة في شعوره على الأقل،

(1) انظر فهد بديري، القاضي التنوخي وكتاب الشوار، ص 77.
فهو قد كان مشغولاً بالخيال على ما يبدو أكثر من انشغاله بتقديم النساء في قالب جامد يضمن
في سوية متناسبة عن سوية نظرائها بين الرجال، فالغالبية كانت تتحو أحياناً نحو تصوير جلد
المرأة وحذكتها كما هو شأن المرأة المعتززة، كما تتحو أحياناً نحو تقديم المرأة على أنها يمكن
أن تكون ضاحية كما هي حال من سرق العقاق خواصها، كما أنها تحت أيضاً نحو تقديم المرأة
مخلوقاً محرفياً يمارس الجريمة. فالمرضود إذاً هو ابتكر الأحداث ورسم الشخصيات الأكثر
مناسبة لهذه الأحداث مع تطبيق كل شئ للبورة الحدث.

وربما كان من الأدلة على ذلك أن الذين كتبوا عن المرأة العربية في القرن العشرين
رسموها صحيحة مفهومة رائعة تحت ظالم الرجل، أو تحت ظالم المجتمع، وبينما أن لها قضايا
خاصة بها تود أن تواجه بها المجتمع كله بل ولدتها كلياً. وهذا تبدو صورة المرأة عند النموذجي
أو من سبقوا مختلفة من أي وجه عن صورة المرأة العربية الحديثة التي تكرر من التعبير عن
غضابها وحسرتها، لأنها مستقلة من شخصيتها محرومة من إنسانيتها، ولا تزيد في قيمتها عن
أي دمية أو متاع(1)، فالمرأة أضاعت نفسها وهي تعاني من البحث عن هويتها(2)، أما النموذجي فلم
يقدم نساء من هذا القبيل، ولم يكن في ذلك مكاناً ولا محرفًا للحقائق فالكاتب المحدثون جميعاً
أشاروا إلى مكانة رفيعة تمتعت بها النساء في ذلك الزمان

---

(1) انظر شريحي، منيرة، (1990). قضايا المرأة في الأدب والحياة، (ط1). عماني: منشورات وزارة الثقافة،
الأوسط، ص.86.

(2) انظر مسابع، محمد، (1993). صورة المرأة في روايات إحسان عبد القوس، رسالة ماجستير غير
منشورة، جامعة الجزائري، ص.10.
سواء في الأندلس أو في أقطار الخلافة العباسية المختلفة(1). وإذا كان ثمة من حيث لحق ببعض
النساء فإنما كان بسبب الطبقة الاجتماعية أو المهنة أو ما شابه ذلك وليس بسبب الأبوة.
وتثير هذه الحقيقة تساؤلات نفسيه طبيعة الأشياء، فهل كانت المرأة في ذلك الزمان تعيش
المرأة فيها كثير من الشك والدعاوة إلى عزل المرأة والتخويف من طبائعها الشاذة المنطوية على
الخبث والميل الجارف نحو الاستجابية للمراعاة والمبادرة إليها حتى إنها لا تؤمن على نفسها،
ولا على غيرها إذا سمحت. دالى متحول بروز إيضاح(2).
و يعزز هذا التساؤل أيضا ما كان هذا البحث قد توصل إليه من أن النساء في أدب
النساء المرتسمات في أدب التنوخي في قصصه الإخبارية والتسجيلية على السواء، في حين
أنهن في أدب التنوخي انحدرن احتقانا واضحًا نحو وحدها الرذيلة دون أن يشمل ذلك جميع
النسوة دون استثناء. تغير ملحوظ يلمحه الدارس إذا ما بين أدب التنوخي وأدب من سبقوه من
الأدباء المشار إليهم حتى في الأنموذج الجسمي، فليس غريباً إذن أن يمثل التنوخي مرحلة
وسيطة في سلسلة متلاحقة من التغيرات في صورة المرأة باتجاه التردي. والأمر متروك على
كل حال للبحث والتحقيق.

(1) انظر على سبيل المثال، سالم، سادة، المرأة في الأندلس، و.انظر أبو حسين، محمد صبحي،
(2003). صورة المرأة في الأندلس في العصر الفاطمي والمرابطين، (ط). إبراهيم، عالم الكتب
الحديثي، و.انظر طاهر، حمزة محمد، (2003). صورة المرأة في الشعر الأندلسي في ظل بني الأحمر،
رسالة ماجسنت غير منشورة، الجامعة الأردنية، عمان، الأردن، و.انظر صبر، أمطار محمد،
(1995). المرأة في الحياة العربية عند أعلام الشعر الأموي، رسالة دكتوراة غير منشورة، الجامعة
الأردنية، عمان، الأردن.
(2) انظر ابن القليم، أخبار النساء، ص 110 – 111.
و ما من شك في أن التنوخي قد أثر تأثيرًا واضحاً على المعنيين بالأخبار الأدبية ممن لحقوه كما تجلّى ذلك على وجه الخصوص منذ مطلع القرن العشرين، ولكن من غير الممكن أن يقال ذلك عن أسلوبه الأدبي وخصائصه السردية، فليس واضحاً أن التنوخي أسس لمدرسة أدبية نهت من تجربته ورسخت نهجاً في الكتابة يتمايز عن كتابات من سبقه، لقد كانت له مزایا خاصة لكنها لم تصل إلى مرحلة تأسيس مدرسة أدبية كان التنوخي رائدها وأساتذتها.

لقد انقضى هذا البحث وما انقضى معه الفصول الأدبي العلمي، ذلك أن من المثير للخصوص معرفة ما إذا كانت الغرائبية نهجاً لبناء التنوخي في رسم الشوخوص في قصص إخبارية لا تصل بالنساء. ومن المثير الفصول أيضًا استنقاء ما إذا كان الويل نحو التنوير في السند وانقطاعه مقرناً بلmil نحو كتابة قصة ينطلق فيها الخيال فيبدع حديثاً مرجى من أجل تصويره إبداع شخوص كالمزوّفين في الفصل الثالث من هذا البحث مع تطوير مسرح الحدث لتسهيل عرضه وإنجازه. وإذا كان صحيحاً أن ما توصل إليه هذا البحث بخصوص الخصائص السردية يمكن تعميمه على سائر أعمال التنوخي الإخبارية فإن هذا يوفر فهماً أعمق لإبداعه الأدبي. أما إذا اتضح أن ثمة تنواعاً في الخصائص السردية فإن الأمر سيحتاج إلى تفسير، وفي التفسير مزيد من التذويب وله ثراء حتى لهذا البحث.

تلك كانت حصيلة هذه المسيرة البحثية المتواضعة سواء بما توصلت إليه من خلاصات وما أثارته من تساؤلات، فإذا تحقق لهذا البحث أن يقدم إضافة صغيرة باتجاه فهم الإنسان للإنسان فنعم ما تحقق، ولذا فإن المسعى كان منذ البداية موجهًا نحو الخير المرتنجى وعليه التوفيق أولاً وأخيراً.
المرأة في أدب التنوخي (دراسة في الرواية والتشكيل)

إعداد

أحمد عبد الكريم الملقqi

المشرف

الدكتور ياسين خليل عاشق

ملخص

محور هذه الرسالة هو صورة المرأة في أدب التنوخي (327 هـ-384 هـ) مستخلصًا من الأخبار التي جمعها ومقارنة بصورة المرأة في رسائل الحاتم وعيوون ابن قتيبة وعهد ابن عبد ربه. وبعد ذلك تتعرض هذه الرسالة إلى الخصائص التشكيكية في أدب التنوخي. وتتناول الصورة لغيابات هذه الرسالة جسم المرأة وصفاتها ومكانتها الاجتماعية بما في ذلك أهليتها القانونية.

ويقع هذا البحث في مقدمة وثلاثة فصول وخاتمة وملحق واحد. أما الفصل الأول فقد عقد لغايات استخلاص صورة المرأة كما ارتبعت في النماذج المختارة من كتب أدباء سابقوا التنوخي هم: الحاتم وابن قتيبة وابن عبد ربه. وعقد الفصل الثاني لاستخلاص صورة المرأة كما ارتبعت في أدب التنوخي من خلال ثمان وثلاثين خبراً سمي كل منها قصة وجرى تمحيصها للتوصول إلى مقارنة الصورة المرتبطة في الأدب المتناقش مع الصورة التي ارتبعت في أدب الإخباريين الثلاثة السباقين عليه. وعقد الفصل الثالث لدراسة خصائص التشكيك الأدبي عند التنوخي ومحاولة تبين ما اتصفت به قصصه المتناقشة من سمات في السرد وفي الشخصيات.
وفي الحبكة والعقدة والحل والخاتمة، أما الملحق فخصص لإيراد القصص المنتقاة جميعاً من أدب الجاحظ وابن قتيبة وابن عبد ربه والتنوخي فيبلغ ثمانية وثمانين قصاً.

وتوصلت هذه الرسالة إلى خاتمة مؤذية أن صورة المرأة لدى التنوخي بعيدة تماماً عن القوالب الجامدة فقد كانت تتحرك كفرد في المجتمع متمتعة بحقوقها ومكاناتها الاجتماعية وأهليتها القانونية.

أما من حيث التشكيك فتوصلت هذه الرسالة إلى أن التنوخي لم يتحرر تماماً من القواعد التي تحكم جمع الأخبار وإن كان في قصصه نضج فني معقول يجعل بعضها قريب الشبه من فن القصة بمضمونها الحديث.
المصادر

* الأشيلي، شهاب الدين بن محمد. المستطلف من كل فن مستطلف، 2م، (تحقيق
عبد الله أنيس الطبايع)، دار القلم، بيروت.

* ابن الأثير، أبو الحسن عز الدين، (ت930). الكامل في التاريخ، 19م، (تحقيق خليل
مأمون شيخا)، دار المعرفة، بيروت، 2002.

* الثعالبي، أبو منصور عبد الملك بن محمد، (ت430). بيتنة الدهر في محاسن أهل العصر،
كم، (تحقيق مفيد محمد فهميه)، دار الكتب العلمية، بيروت، 1983م.

* ابن حيان الأنصاري، أبو محمد عبد الله بن محمد بن جعفر، (ت369). طبقات المحدثين
بأصبهان، ط2، 4م، (تحقيق عبد العظيف البلوشي)، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1992.

* ابن خلكان، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد، (ت681). وفيات الأعيان و أبناء أبناء
الزمان، 8م، (تحقيق إحسان عباس)، دار الثقافة، بيروت، 1971.

* ابن عبد ربه، أبو عمر أحمد بن محمد الأندلسي، (ت338). العقد الفريد، 5م، شرحه وضبطه
وعنون موضوعاته أحمد أمين وأحمد الزين و إبراهيم الإبياري)، دار الأندلس للطباعة والنشر
والتوزيع، بيروت، 1996.

* ابن العماد، عبد الحفيز بن أحمد الحنابل، (ت1089). شطرات الذهب في أخبار من ذهب، 3م،
(تحقيق مصطفى عبد القادر عطا)، دار الكتب العلمية، بيروت.

* الفيروز أبادي، محمد الدين أبو الظاهر بن يعقوب، (ت823). القاموس المحيط، 4م، دار
الحديث القاهرة.
ابن قنينة الدينوري، أبو محمد عبد الله بن مسلم، (ت 276). عيون الأخبار، 4 ج، (تحقيق محمد الإسكندراني)، دار الكتاب العربي، بيروت، 1994.

ابن قدامة المقدسي، أبو محمد عبد الله بن أحمد، (ت 620). كتاب التوابين، إم، (تحقيق عبد القادر الأرناؤوط)، دار الكتب العلمية، بيروت، 1983.

ابن منصور، محمد بن مكرم الإفريقي، (ت 711). لسان العرب، ط 1، 15 م، دار صادر، بيروت، 1968.

البستي، أبو حامد محمد بن حبان بن أحمد، (ت 354). مشاهير علماء الأمصار، (تحقيق فلايشهر)، دار الكتب العلمية، بيروت، 1959.

البكري، أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز الأندلسي، (ت 487). معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمعامج، ط 3، 4 م، (تحقيق مصطفى السفاح)، عالم الكتب، بيروت، 1982.

التنوخي، أبو علي المحسن بن علي، (ت 327 – 384 هـ). المستجد من فعّال الأجواء، أم، (تحقيق محمد كرد علي)، مطبعة الترقي، دمشق، 1946.


* ابن الجوزي، أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد، (ت ۵۹۷). المنشور في أخبار الملوك والأمم، (ج ۵_ج ۱۰)، مطبعة دائرة المعارف العثمانية، حيدر أباد، الهند، ۱۳۵۷ -۱۳۵۹ه.
* الجوزية، ابن القيم، (۲۰۰۱). أخبار النساء، طبعة خاصة، ۱، دار المدى للثقافة والنشر، دمشق.
* الحموي، أبو عبد الله ياقوت الرومي، (ت ۶۲۶). معجم الأدباء المسمى إرشاد الأريب إلى معرفة الأدب، ط ۷، إم، (تحقيق إحسان عباس)، دار الغرب الإسلامي، بيروت.
* الخطيب البغدادي، أبو بكر بن علي البغدادي، (ت ۴۶۳). تاريخ بغداد أو مدينة السلام، ۱۴ام، دار الكتب العربي، بيروت.
* ابن دفناح، إبراهيم بن محمد بن أبي دور، (ت ۷۴۸). الانتصار لواستة عقد الأموي، ۲م، المكتب التجاري للطباعة والنشر، بيروت.
* المثيري، كمال الدين محمد بن موسى، (ت ۸۰۸). حياة الحيوان الكبيرة، ۲م، مطبعة حجازي، القاهرة ۱۳۶۷هـ.
* الذهبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن قابوس، (ت ۷۴۸). سير أعلام النسلاء، ط ۹، ۲۳م، (تحقيق شعيب الأرناوتو و محمد نعيم العرموسي)، مؤسسة الرسالة، بيروت، ۱۹۹۲.
* الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان، (ت ۷۴۸). العبر في خبر ممن غير، ۴م، (تحقيق أبو هاجر محمد السعيد زغلول)، دار الكتب العلمية، بيروت.
* ابن السكيت، يعقوب بن إسحاق، (ت ۶۲۵). كتاب الألفاظ، ط ۱، مطبعة لبنان، بيروت، ۱۹۹۸.
* السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن، (ت 911)، المزهر في علوم اللغة وأنواعها، نشره محمد علي صبح، 1946.

* الصوفي، صلاح الدين خليل بن أيك، (ت 764)، السواقي بالوفيات، 29م، (تحقيق أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى)، دار إحياء التراث، بيروت، 2000.

* ابن طاوس، رضي الله عن أبن القاسم علي بن موسى، (ت 664)، فرج المهموم في تاريخ علماء النجوم، المطبعة الحيدرية، النجف، 1368هـ.

* غرس النعمة، أبو الحسن محمد بن هلال الصابئ، (ت 480)، الهفوات النادرة، ط 2، (تحقيق صالح الأشتر)، دار الأعرج، بيروت، 1987.

* الغزولي، علاء الدين، (ت 815)، مطالع البدور في منزل السمرور، مطبعة الوطن، 1299هـ.

* ابن فارس، أبو الحسن أحمد بن زكريا، (ت 395)، مجمل اللغة، ط 1، 4م، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1984.

* الفسوي، أبو يوسف يعقوب بن سفيان، (ت 277)، المعرفة والتاريخ، 3م، (تحقيق خليل المنصور)، دار الكتب العلمية، بيروت، 1999.

* القرشي، أبو محمد محي الدين عبد القادر بن الوفاء، (ت 775)، الجوهر المضيئة في طبقات الحنفية، 5م، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1993.

* ابن قططبوغا، زين الدين أبو العدل قاسم الحنفي، (ت 879)، تاج الترجم في من صنف مـ الحنفية، (تحقيق إبراهيم صالح)، دار المأمون للتراث، دمشق، 1992.

* الباقعي، عبد الله بن عبد اليمني، (ت 768). مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان، مؤسسة الأدبي للمطبوعات، بيروت، 1970.

المراجع


* بروكلمان، كارل. تاريخ الأدب العربي. ط5، نقله إلى العربية عبد الحليم التجار وآخرون، دار المعارف، بيروت.

* تيمور، محمود. دراسات في القصة والمسرح. القاهرة: المطبعة النموذجية.

* جيد، أندريه، (1968). أوديب ثيسيوس من أبطال الأساطير اليونانية، ترجمة طه حسين.

(ط2). بيروت: دار العلم للضياعين.


القاهرة: جامعة الأزهر.


(ط1) المغرب، الدار البيضاء: دار توبقال للنشر.


الرسائل الجامعية

* الأطرافي، واحة مجيد عبد الله، (1981). المرأة في أدب العصر العباسي. رسالة ماجستير منشورة، جامعة بغداد، بغداد، العراق.


* ظاهر، حمزة محمد، (2003). صورة المرأة في الشعر الأندلسي في ظل بني الأحمر. رسالة ماجستير غير منشورة، الجامعة الأردنية، عمان، الأردن.

* العمري، سالم حامد، (1986). صورة المرأة عند شعراء البحرين واليمن في العصر الجاهلي. رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة اليرموك، إربد، الأردن.
* القدحات، محمد عبد الله أحمد، (2000). القاضي التنوخي وآثاره: دراسة في منهجيته

ومصدره. رسالة دكتوراة غير منشورة، الجامعة الأردنية، عمان، الأردن.

* كفاقي، منذر ذيب كفاقي، (1998). صورة المرأة في شعر السعاليك ولفصوص حتى نهاية

العصر الأموي. رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة اليرموك، إربد، الأردن.

* المحرافي، سيف محمد، (2003). نماذج إنسانية في المرحلة. رسالة ماجستير غير منشورة،

الجامعة الأردنية، عمان، الأردن.

* مسباعي، محمد، (1993). صورة المرأة في روايات إحسان عبد القدوس، رسالة ماجستير غير

منشورة، جامعة الجزائر.

* طه، طه غالب عبد الرحيم، (2003). صورة المرأة الممثل ورموزها الدينية عند شعراء

المعلقات. رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة النجاح الوطنية، نابلس، فلسطين.

* النجار، رولا حمدان، (2001). صورة المجتمع في القرن الرابع الهجري في مصنفات التنوخي:

الفرج بعد الشدة، والمستجد من فعالات الأجواد ونشوار المحاضرة وأخبار المذكرة). رسالة

ماجستير غير منشورة، الجامعة الأردنية، عمان، الأردن.

* نصير، أمل طاهر محمد، (1995). المرأة في الحياة العربية عند أعلام الشعر الأموي. رسالة

دكتوراة غير منشورة، الجامعة الأردنية، عمان، الأردن.
الدوريات


* الوسلاتي، البشير، (1997). القص في أخبار الفرح بعد الشدة للقاضي التنوخي، حوليات الجامعة التونسية، م، (41)، 91-127.

* المغربى، عبد القادر، (1923). طاقة أزهار من النشوار، مجلة المجمع العلمي العربي، دمشق، م، (4)، الأجزاء 1، 2، 3، 11.
المراجع الأجنبية


* Nietzsche, Friedrich: Thus Spake Zarathustra – A Book For All And None, Translated By Thomas Common, 1923, T. N. Foulis Ltd, Edinburgh And London.

الملحق

يتضمن هذا الملحق النص الكامل للقصص المنتقاة وعددها ثمانٍ وثمانون قصة، خمسون منها من أخبار الجاحظ وآبن قتيبة وآبن عبد ربه، وثمان وثلاثون منها من أخبار التنوخي.
قصة (1)

كانت ضباعة، من بني عامر بن قُرط بن عامر بن صعصعة، تحت عبد الله بن جُدْعان
فَأَرَسَلَ إِلَيْهَا هَشَامٌ بن المغيرة المخزومي: ما تصنعين بهذا الشيخ الكبير الذي لا
يُولِدُهُ، فَقَالَتْ لَهُمْ رَبُّهُمْ: فَأَخَافُنَّكُمْ أَنْ تَتَزَوَّجُنَّ هَشَامٌ
بن المغيرة. فقالت: لا أَتَزَوَّجُوهُ، قال: فَأَنْفَكَتْ فِعْلِكَ مَايَةً مِنَ الْإِبْلِ تَتَحَرِّينَهَا فِي الْحَزَرَةَ
وَتَنَسَّجُونَ لَهُمْ تَوْبَةً يَقْطَعُ مَا بِنِّي الأَخْشَيْبِينَ، وَالْمُتَوَافِقِينَ بِالْبَيْتِ غَرَابَةً. قَالَتْ: لا أَطْفِعُهُ. وَأَرْسَلَتْ إلى
هَشَامٍ فَأَخَافُنَّهُ سُرْعَةً فَأَرَسَلَ إِلَيْهَا: مَا أَيَّاَسَ مَا سَالْكُمْ، وَمَا بَرَكْتُكُمْ وأَنَا أَيَّسَ قَرْيَةٍ فِي الْمَالِ،
وَنَسَانٍ أَكْثَرْ نَسَاءَ رَجُلٍ مِنْ قَرْيَةِ، وَأَنْتَ أَجْمَالُ النَّسَاءِ فَلاَ تَبْنَىٰ عَلَيْهِ. قَالَتْ لَابِنِ جُدْعَانِ:
فَأَلْقَتْهَا فَأْنَفَكَتْ هُمَا مَاءً فَأْقُلْتْهَا. فَأَلْقَتْهَا بَعْضَهَا وَكَلِهَا
فُمَا بَدَا مَنْ فَلاَ أَجْلَهُ، أَخْتَمَ مَثْلَ الْفَغْعُ بَإِلٍّ ظَلَّهُ
بِالْيَوْمِ فِيَّ فَمَا يَمْلُهُ
قالت في مرثیه:

قصة (2)

أَعْرَسَ عَمَّرٌ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ بِعَائِشَةَ بْنَيَةٍ زِيَادَ بْنِ عَمَرِ بْنِ يَفْلِ، وَكَانَتْ قِيْلُهُ
عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي بَكْرٍ، فَمَا تَسَتَّرَ عَلَيْهِ كَثِيرًا أَنْ تَتَزَوَّجَ بُعْدَ أَنْ أَخَافَهُ بِمَا قَضَى مِنْ مَالِهِ سُوَى الْإِثْرِ، فَخَطَّبَ عَمَّرٌ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، وَأَقَامَهُ بَيْنَ يَدَيْهِ مِثْلًا مِّنْهَا
فَأَقَسََتْ لَا تَتَنَفَّكَ عَينِي سَخِينَةٌ
عَلِيكَ وَلَا يَنْفَكَ جَلِّيٍّ أَغْبِرَا
فَلَمَّا أَبَثَتْ بَاها عَمَّرُ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَوْلُمُ، وَدَعا المُهَاجِرِينَ وَالنَّصْارَيْنِ، فَلَمَّا
دَخَلَ عَلَىٰ بْنِ أَبِي بَكْرٍ فَقَدَرَ عَلَى الْسَلامِ قَسَدَ لَبِيْتَ حُجَّتَهُ، فَرَفَعَ السَّجَفَ وَنَظَرَ إِلَيْهَا فَقَالَ:
فَأَقَسََتْ لَا تَتَنَفَّكَ عَينِي سَخِينَةٌ
عَلِيكَ وَلَا يَنْفَكَ جَلِّيٍّ أَغْبِرَا
فخجلت فأطرقت، وساء عمر رضي الله عنه ما رأى من خجلها وتشوّرها عند تعبير
عليّ إياها نبض ما فارقت عليه زوجُها، فقال: يا أبا الحسن، رحمك الله ما أردت إلى هذا؟
قال: حاجة في نفسي قضيتها.

وقد وردت هذه القصة عند ابن قتيبة بالصيغة التالية: (1)
أبو عليّ الأمويّ قال: كانت عائكة بنت زيد بن عمرو بن نُفْيل، عند عبد الله بن أبي
بكر الصديق رضي الله عنه، وكانت قد غلبت في كثير من أمره، فقال له أبوه طلقها. فطلقتها
وأِنْشأ يقول:

لها خُلُق سهل وحسن ومنصبَ، وخلق سوي ما يعب ومنطقُ
فرمي يوم الطائف بسَئِ، فَلما مات قالت ترتيبه:
وأَلِيْتْ لا تنتفِع عيني مخينة، فلا علماء ولا ينفكُ جلدي أغيباً
أّن تزوجها الزَّعَّار، فلم رأته مظهرا، وأصابها
إذا شرعت فيه الأسئلة خاضها
ثم خطفها عمر بن الخطاب، فلمما أرد قال عبد الرحمن بن أبي بكر: يا أمير المؤمنين،
أتذنني لي أن أدخل رأسي على عائكة؟ قال نعم، يا عائكة أنتزيَ، فأدخل رأسه فقال:
وأَلِيْتْ لا تنتفِع عيني قريبة
عليك ولا ينفك جلدي أصفراء
فنشقت نشحاً عاليًا، فقال عمر: ما أردت إلى هذا!! كل النساء يفعلن هذا!! غفر الله لك.
ثم تزوجها الزَّعَّار يمد، بعد عمر وقد خلا من سنها، فكانت تخرج بالليل إلى المسجد ولها عَجِيْزَة
ضِحْعَة، فقال لها الزَّعَّار لا تخرجي؛ فقالت: لا أزال أخرج أو تنمنى، وكان يكره أن يمحيها
لقول النبي صلى الله عليه وسلم: لا تمنعوا إبائه الله مساعدة الله، فقد لها الزَّعَّار متنكرًا في
ظلمة الليل، فما مرته به قرص عجيزتها، فكانت لا تخرج بعد ذلك؛ فقال لها: ما لك لا تخرجين؟ فقالت كنت أخرج والناس ناس، وقد فسد الناس فبيتي أسوق لي.

قصة (3)

كان الحسن بن علي عليه السلام تزوج حصة ابنت عبد الرحمن، وكان المنذر بن
الزَّعَّار يهواها، فبلغ الحسن عنها شيئاً فطلقتها، فخشيتها المنذر فأبت أن تزوجها وقالت: شَرْحِنِي!
وخطبها عاصم بن عمر بن الخطاب رضي الله عنها فترُوِّجها. فرقى المنذر عنها شيئاً فطلقتها،

---

(1) ابن قتيبة، عيون الأخبار، ج3، ص400.
(2) الجاحظ، رسائل الحاكم، ج2، ص152.
فخطبة المنذر فقيل لها: تزوجته ليعلم الناس أنه كان يقضي. فتزوجته فعلم الناس أنه
كذب عليها، فقال الحسن لعاصم: لنستأذن عليها المنذر. فدخل إليها فتحدث عنها، فاستذانها;
فشارع أخاه عبد الله بن الزبير فقال: دعهما يدخلان. فدخلتا فكانت إلى عاصم أكثر نظرة منها
إلى الحسن، وكان أبسط للحديث. فقال الحسن المنذر: خذ بيد أمرأتك. فأخذ بيدها وقام الحسن
وعاصم فخرجوا. وكان الحسن بهوها وإنما طلبتها لما رأى إليه المنذر.

وقال الحسن يوماً لأبي عقيق: هل كه في المعيق؟ فخرج فعدل الحسن إلى منزل
حقصة فدخل إليها فتحدث طويلاً ثم خرج. ثم قال لأبي عقيق: هل كه في المعيق؟ قال: نعم.
نزل بمزل حقصة ودخل، فقال له مرة أخرى: هل كه في المعيق؟ فقال: يا ابن أم، ألا تقول:
هل كه في حقصة!!

وكان الحسن في ذلك العصر أفضل أهل دهره. فلو كان محادثةً النساوء والنظر إليها
حراماً وعازراً لم يفعله، ولم يأتين فيه المنذر بن الزبير، ولم يشر به عبد الله بن الزبير.
وأي الحديث وما قبله يبطل ما روى الحديث من أن النظر الأول حرام وثاني
حرام؛ لأنه لا تكون محادثةً ألا ومعها ما لا يقصده قليلاً من النظر. إذاً أن يكون عنى بالنظرة
المحرمة النظر إلى الشعر والمباسب، وما تخفيفه الجليل مما يحل للزوج والولو وبحرم على
غيرها.

قصة(4)

دعا مصعب بن الزبير الشعبي، وهو في قببة له مجللة يوشي، معه فيها أمهانه، فقال:
يا شعبي، من معى في هذه القببة؟ فقال: لا أعلم أصلح الله الأمير! فرفع السجف، فإذا هو
باعسجة لينة طلحة. الشعبي فقى أهل العراق وعلامهم، ولم يكن يستطيع أن ينظر إن كان النظر
حراماً.

كما وردت عند ابن قتيبة بالصيغة التالية: (2)

عن الشعبي قال: دخلت المسجد باكرأ، وإذا لمصعب بن الزبير والناس حوله، فلما
أردت الانصرف قال لي: أدن. فتنوع منه حتى وضعت يدي على مرفقته، فقال: إذا أنا قمت
فاتيعني، وجلس قليلاً، ثم نهض فتوجه نحو دار موسى بن طهية فتبعته، فلما أمعن في الدار
القتلت إلى وقال: أدخل. فدخلت معه ومنى نحو حجرته وتبعته، فالقتلت إلى فقال: أدخل، فدخلت
معه فإذا حجلة، فطهرت لي وسادة فجلس عليها، ورفع سجف القبة، فإذا أجمل وجه رأيته قطًّا;

(1) الجاحظ، رسائل الجاحظ، ج2، ص154.
(2) ابن قتيبة، عيون الأخبار، ج3، ص311.
قال: يا شعب٢، هل تعرف هذه؟ قلت: نعم، هذه سيدات نساء العالمين عائشة بنت طلحة؛ فقال: هذه
ليلي، ثم تملت:

وأما زلت من ليلي لذن طر شاربي
وتحمل في ليلي تقوم ضغينة

ثم قال: إذا شئت يا شعبى قف، فخرجت، فلما كان العشى رحت إلى المسجد فإذا
مصعب بمكانه; فقال لي: آدن، فدعت، فقلت: هل رأيت مثل ذلك ل[label removed] قط؟ قلت: لاّ.

أندي لم أدخلنآك؟ قلت: لا، قال: لى تحدث بما رأيت. ثم انفتح إلى عبد الله بن أبي رواة فقال:
أعطه عشرة ألاف درهم وثلاثين ثوباً، فما انصرف يومئذ أحد لما انصرفت به: بعشرة آلاف
درهم، وتبين كارة القصرة، ونظري إلى عائشة.

قصة (5) (1)

نصر الأمانى إلى سكر فقال: أخرّة أنت أم مملوكة؟ قالت: لا أدرى، إذا غضبتُ على
أم جعفر قالت: أنت مملوكة، وإذا رضيت قالت: أنت حرة. قال: فاقتبي إليها الساعة فأسألها
عن ذلك. فكتبت كتابًا ووضعته بجانب طائر من الهدى كان معها، أرسلته تعليم أم جعفر ذلك
فعلت أم جعفر ما أرد فكتب إليها: "أنت حرّة" فزوجها على عشرة ألاف درهم، ثم خلا
بها من ساختها فوقعها وحلل سبيلها، وأمر بتتبع الملل إليها.

قصة (6) خالد الحذاء وامرأة خطبياً (2)

عن خالد الحذاء قال: خطبت امرأة من بني أسد فجنت لأنظر إليها وبيتي وبيني رواق
يتسبب، فدعته بحجة مملوءة ترثياً مكللة بالحلم فأتت على آخرها وأتى بإباء مملوءة بنداً أو نبيداً
فشربته حتى كفتاه عن وجهها، ثم قالت: يا جارية ارجعي السجف، فهذي هي جالسة على جلد أسد.
وإذا شابة جميلة، فقالت: يا عبد الله، أنا أقدة من بني أسد على جلد أسد. وهذا مطيع ومصربي،
فإن أسبيت أن تتفقق فأفعال، فقلت: استخير الله وانظر. خرجت ولم أغادر، قد وردت أيضاً عند
ابن عبد ربه في العقد الفريد، ولكنه نسبها لمعبد بن خالد الجذري. (3)

قصة (7) رد علي بن الحسين على عبد الملك في جارية تزوجها (4)

تزوج علي بن الحسين أم، ولد له بعض الأنصار، فلماه عبد الملك في ذلك فكتب إليه: إن
الله قد رفع بالإسلام الحسيمة، وأتت النقيصة، وأكرم به من اللوم فلا عار على مسلم، هذا رسول
الجاحظ، رسائل الجاحظ، ج، ص 157.

(1) ابن قتيبة، عيون الأخبار، ج 3، ص 298.
(2) ابن عبد ربه، العقد النادر، ج 2، ص.
(3) ابن قتيبة، عيون الأخبار، ج 3، ص 299.
الله صلى الله عليه وسلم قد تزوج أمته وأمارة عبده. فقال عبد الملك: إن علي بن الحسين

١٩٧

وقال الأصمعي: كان أهل المدينة يكرهون أن يأخذ أمهات الأولاد حتى نشأ فيهم علي بن الحسين والقاسم بن محمد بن أبي بكر، وسلم بن عبد الله بن عمر، فقاوا أهل المدينة ففهَا ووزعَ أفرغ الناس في السراري. كما روى هذه القصة في العقد الفريد.

قصة (8) لشيخ في رجل من بني كلاب خطب امرأة


خطب خالد بن صفوان بخطب امرأة


(1) ابن عبد ربه، العقد الفريد، ج2، ص235.
(2) ابن قتيبة، عيون الأخبار، ج3، ص305.
(3) ابن قتيبة، عيون الأخبار، ج3، ص305.
قصة (10) بين لقيط زرارة وقيس بن خالد


كما وردت القصة أيضاً في العقد الفريد بالصيغة التالية:

الشبيباني قال: حدثنا بعض أصحابنا أن زرارة بن عس نظر إلى ابنه لقيط فقال: ما لي أراك مختارًا كأنك جنتتي بابنة ذي الجذّتين، أو مائة من هجائن النعمان؟ قال: والله لا يمسُ رأسي ذهنّ حتى آتيك بهما، أو ألبٍ عذراً. فانطلق حتى أتيذ ذي الجذّتين، و هو قيس بن مسعود، الشبيباني، فوجدته جالسًا في نادي قومه من شبان، فخطب إليه بينه علانية، فقال له: هلا ناجبي؟ فقال: علما أنني إن ناجبت إن حذرت، إن عاننتك لم أضحك، قال: ومن أنت؟ قال: لقيط بن زرارة. قال: لا جرم، ولتيبين فين عذب ولا محروم. فزوجه وساق عنده، وبني بها ليلته تلك. ثم خرج إلى النعاس فجاج مائتين من هجائنها، وأقبل إلى أبيه. وقد وقى نذره. فيبعث إليه قيس بن مسعود بابنته مع ولده بسطام بن ليس، فخرج لقيط بنتها في الطريق ومعه ابن عم له، وقال له قراد، فقال لقيط:

واستقبلوا من نوى الجيّران قربانا

إحدى نساء بني دُحَل بن شباني

طارأ قرده وله في نظرة جزع

فيني جارسة تَصْحَب العبير بها

كيف اهتديت ولا نجح ولا علم

وقما رجل بها بسطام بن قيس قالت: مَزِّوْنا بي على أبي أُوذت عه، فلما ودعته قال لها: با بني، كوني له آمَّة يكن لك عبيدا، وليكن أطباء طيب الماء، ثم لا أذكَّرت ولا أسرت، فإنك تدين الأعداء وتغريهم البعداء، إن زوجك فارس من فرسان مُمحصَّر، فإن كان ذلك فلا تخشع وجهًا ولا تُحلقي شعرًا، فما قد لقت لقيط تحمَّلت إلى أهلها ثم مات إلى مجلس عبد الله بن دارم، فقالت: نعم الأمهاء كنتم يا بني دارم، وأنا أوصيكم بالقرآن خيراً، فلم أر مثل لقيط. ثم لحقت بقومها.

فتروجاها ابن عم لها، فكانت لا تسلو عن ذكر لقيط فقال لها زوجها: أي يوم رأيت فيه لقيطاً

(1) ابن كثير، عيون الأخبار، ج3، ص307.
(2) ابن عبد ربه، العقد الفريد، ج2، ص68.
قصة (11) أم أبان وخطابها


قصة (12) في جمال نصر حجاج الجهني

سماع عمر بن الخطاب أم أبادة ذات ليلة تقول: الأردية

ألا سبيل إلى خمر فاشترِتاهما
إجأني تأجر بالأعرق مقتبل
نمتها أعرق صدق حين تنسبه
أخي حفاظ عن المكروب فرج

قالت لها امرأة معها: من نصر؟ قاله: رجل أود لو كان معي طول ليلة ليس معنا أحد. فدعا بها عمر فخففتها بالدرة، ودعا بنصر فحلق شعره فقال أحسن ما كان؛ فقال له: لا تسألتي

في بلدة يتمناك النساء بها، وأخرج إلى البصرة وخلفت المرأة فكتب إلى عمر تسرعته:

قل للإمام الذي تمشى بوارده
ما لي بالخمر أو نصر بن حجاج
شرب الحليب وطرف غيره ساجي
إني غنتي أبو حفص بغيرهما

حتى أقر بالجاح وإسراح
إن الهوى زمه التنقوى قيده
وناس من هلك فيها ومن ناجي
أمنية لم أطر فيها بطائرة

لا تجعل الظنَّ حقًا أو تبنة
إلى سبيل سبيل الخائف الراجي

وكان عمر قد سأل عنها فوصفته له بالعفاف فأرسل إليها: قد بلغني عنك خير فعلً.  

(1) ابن قتيبة، عيون الأخبار، ج3، ص308.
(2) ابن قتيبة، عيون الأخبار، ج3، ص313.
قصة (13)

و هذا نصر بن حجاج بن علاب البهذي، وكان من أجمل الناس، فدعا به عمر فسرّه إلى البصرة، فأتى معاش بن مسعود السلمي فدخل عليه يوماً وعندة امرأته شميلة وكان مجاعش، فأكبر بن، فكتب نصر على الأرض: أحبك، حبيّ اللّه، فكان فقده لأظلل أو أهلك. فكتبُ:

هي: وأنا والله كذلك، فكتب مجاعش على الكتابة أنه: ثم أدخل كتاباً فقرأه، فأخرج نصراً وطلّقاً.

فقال نصر بن حجاج:

ويما لي ذنبٌ غير ذنبٌ طننته
لعمري إن سيرتي أو حريتني
ألم كنت الذّنباء ليه بمنية
ولكنك النساك غرام
ظنتي ببي الطنّ الذي ليس بهد
ف.Attribute تصفية الكتب
وأباً صبّق سلفون كرام
ومنجاها مما تنست تكرمي
وحلاً لها مع عقّة وصيام
وقد خفّ مني كاهل وسلاح
وأنا أحسب هذا الشعر مصنعاً.

قصة (14)

رامة في الزبير، وعلى وصواع (2)

رأت امرأة في الزبير فقالت: من هذا الذي هو أرمٍ يلمعّ؟ ورآته عليّاً فقالت: من هذا الذي كان ديناره غريقٌ؟

قصة (15)

الحكم بين صخر وعبارة (3)

الحكم بين صخر التفقي قال: خرجت حاجاً مختفيًا، فلم كن بشيء الطريق أنتني جاريتان من بني عقيل لم أر أحسن منها وجوها، ولا أظهرًا سنة ولا أكثرًا علمًا ولداً، فقصرت بهما يومي فكسوتكمهما، ثم حرجت من قابل ومعي أهلي، وقد أصابتي عنة فصل لها

---

(1) ابن قتيبة، عيون الأخبار، ج3، ص314.
(2) ابن قتيبة، عيون الأخبار، ج3، ص315.
(3) ابن قتيبة، عيون الأخبار، ج3، ص318.
قصة (16) بين أسدٍ وأمَرأة

فيما صررت إلى ذلك الموضع فإذا أنا يد همها، فدخلت على، فسألت مسألة مثْكُرُ، قللت:
فلت الصَّدایة قالت: فیدي لک أبي وأمي! تعرفني وأنكرك! قللت: أنا الحکم بن صخر، قالت: إني رأيت
عامة أول شابًا سوقة وأراك العام يملك شيخًا، وفي ذو هذا ينكر المرء صاحبه. قلت: ما فعلت
اختي؟ قالت: تزوجها ابن عمّ لها وخرج بها إلى أبد، فذَكَرتُ ذلك حيث يقول:
إذا ما أفلحنا نحو نجح وأهله، فقلت: لو أدركتن لترجِنها. فقلت: ما يمكِن من شقيقتها في حسُنبها، وتطيرتها في جمالِها؟
- تعني نفسها - قلت: يفعتني من ذلك ما قال كثير:
فقلت: ففِكّرْ بني وبنك هو الحائن:
هل وصل عزة إلا وصل غانة
فسكت عيّا عن جوابها

عن رجل من بني آسر قال: أصلّت إلإ لي، فخرجت في طلبين، فهبطت وادياً، وإذا أنا
بفتاة أمسى نور وجهها نور بريري، قالت لي: يا فتى، ما لي أراك مدنها؟ قلت: أصلّت إلاأ
لي فأنا في طلبيها. قالت: أهلك وأنت من هم جدّه؟ قلعت: نعم ولكل مدنّه.
قالت: الذي أعطاكم أحمدين وإن شاء رده، فسنّه من طريق البغدان لا من طريق الاختبار.
فأعمبني ما رأيت من جمالها وحسن كلامها، فقالت: أليك بعل؟ قالت: قد كان، وذوي فأجاب
فأعاد إلى ما خلق منه. قلت: فما وقرك في بعل يهنّ بواقه، ولا تدّم خلافته؟ فرفعه رأسها
وتقَّست وقالت:

ماَءَ الجداول في روضات جنَّات
ذُوَرَ يكُر بِيْرِحَاتٍ وفُرَحَاتٍ
لا يُصَنَّعُ أَثْنِيَ بعد مَثْوَاتٍ
لا أَبُورَ بِبِسْعَ طُولٍ مَنْهَوْيَاتٍ
حتَى تُوَقَّف قَرْبِيَاً مَدْ سَيْنَاتٍ
عن الوفاء خلفًا بالتحيوات

كان كَعَمْشَنٍ في أصل غداً هما
فاجَتُ خيرهما من بَجَب صاحبه
وكان عاهدتي إن خانى زمَن
وكنت عاهدتٌ إن خانه زمن
فلم نزل هكذا والوصول شيمتٌ
فأقبض عيناك عمّ ليس يرذعه

(1) ابن قتيبة، عيون الأخبار، ج.3، ص321.
قصة(7) عثمان بن عفان: رضي الله عنه وزوجته بنت الفرافصة


وقد وردت القصة أيضاً في العقد الفريد بالصيغة التالية: (2)

قالت ماضراً أمرأته عبد الرحمن بن عوف لعنام بن عفان: هل لك في ابنه عم لي بكر جملة مماثلة للخلق، سيلة الخد، أصيلة الرأي، تزوجها، قال: نعم. فكرت له نائطة بنت الفرافصة الكلبيّة، فتزوجها، وهي نصارية، فتحتفي وحملت إليه من بلاد كلب، فلما دخلت عليه قال لها: بعد ما ترين من شيء؟ قالت: والله يا أمير المؤمنين إنى من نسوا أحبب أرواحنا إلى الكهول، قال: أي قد جزئت الكهول، وأنا شيخ، قالت: لاتطلع شبابك مع رسول الله في خير ما ذهبته فيه الأعمار. قال: أقوم السماوة أبلى رأى أن أنثى إلى عرْض البيت، وقامت إليه، فقال لها: انزع عي ثوبك، فنزعتها. فقال: خلي مرتّك، قالت: أنت وذاك.

قال أبو الحسن: لم تزل نائطة عند عثمان حتى قُل، فلما ذُكى إليه وقته بيدها، فجذبت أناملها، فأرسل إليها معاوية بعد ذلك يخطبها، فأرسلت إليه: ما تمرّ من إمرة جَمْدَاء. وقيل: إنها قالت: إذا قُل علي عثمان: إنى رأي أعزر الورى يبئي كما يبلن الربوب، وقد خُبثت أن يبئي حزن عثمان من قلبي، فدعت بّهر فهَّمْت فها، وقالت: والله لا تقد أحد مني معقد عثمان أبداً.

قصة(18) لخنساء بنت عمر بن في دريد بن السمة وقد خطبت


(1) ابن قتيبة، عيون الأخبار، ج3، ص335.
(2) ابن عبيد عبد الحليم، العقد الفريد، ج2، ص74.
(3) ابن قتيبة، عيون الأخبار، ج3، ص335.
قصة(9) خبر الحارث بن سليل الأسدي وزوجته(1)

خطب الحارث بن سليل الأسدي إلى عقلة بن خصيف الطائي، وكان شيخًا، فقال لأم الجارية: أريدي ابتناك على نفسها. فقالت: أي بنية؟ أي الرجال أحبب إليك: الكهف الجحاج، الواصل المنام، أم الفتى الوضاح، الذهول الطماح؟ قالت: يا أمتنا.

إن الفتاة تحبب الفتى
كحب الرعاع، أبيب الكلا.

فقالت: يا بنية، إن الشاب شديد الحجاب، كثير العتاد، قالت: يا أمتنا، أخشى من الشيخ.

أن يرثني ثيابي، ويأتي بثيابي، ويستمتع بي أرثاني. فلم تزل بها حتى غبتها على أرثها، فتزوج بها الحارث ثم رحل بها إلى قومه، فإنه لجلس ذات يوم بفنا مطلبه وهو إلى جانبه، إذ أقبل شباب من بني أمد يلتمجون، فتنتست ثم بك، فقال لها ما يكيك؟ قالت: ما لي وللشيوع الناهضين كالفرخ، فقال: تكلك نامك "نوع الحرة ولا تأكل بشبيها"، فذهبت مثلاً. أما وأليك لرب غادة شهدتها، وسبية أردنها، وحمرة شربتها، فالحقي بها، لا حاجة لي فيك.

قصة(20) بين رجل وزوجته أراد أن يغيرها

الرياشي قال: خرج رجل إلى الغزو فأصاب جارية وضينا، وكان يغزو على فسه.

ويرجع إليها، فوجد يوما فضلاً من القول فقال:

إذا بقيت عندي الحمامة والزود
وبضاء صنهاجية زانها العقد
لحاجة نفسني حين ينصرف الجند
ففني الشعر إليها فقالت:

أما أكر مني السلام وقل له
بحمد أمير المؤمنين أقرهما
إذا شتى غناني رقت مرجل
إني شاه منهم ناشي مما نفدها
فما كنت من ضعفاء حاجة أهلكم
فلما بلغها الشعر أتاه، وقال: أنت فاعلة؟ فقالت: الله أجل في عيني، وأنت أهون علي.

(1) ابن قتيبة، عيون الأخبار، ج3، ص337.
(2) ابن قتيبة، عيون الأخبار، ج3، ص338.
ورداً رحاساً بدلاً على بعضهما

قصة (21) لأبي الأسود في جارية حولا(2)

النارى أبو الأسود جاريةاً حولاً فأغار أمرته أم عوف، وكانت ابنة عمه، وكانت تشارى

في كل يوم وقول: من يشتري حولاً؟ فلما أكثرت عليه قال:

يبيعون عدي ولا عبب عنها

فإن بك في العينين سوء فانها

مهيمنة الأعلى رذاج المؤخر

١٩٤

قصة (22) بين جعفرى وجارية يهواها(3)

قال إسحاق بن إبراهيم: كان رجل من آل جعفر بن أبي طالب، يهوى جاريةاً، فطال ذلك

فقال للنبي: قد شنننا هذى عينين وعم كل أمر، فانهبابنا حتى نكاشيفها، فقد

وجدت بعض السلو. فأتيناه، فلما اتيناه قال لها الجعفرى: أنتين:

وكنت أحياكم فسولت عنكم

علىكم في دياركم السلام

فلقالت: لا، ولكن أغني: 

تحمل أهلها منها فانشوا

على آثار من ذهب الغفاء

فاستحبوا وأطرقوا ساعتها وزادوا أثناها، ثم قال: أغني:

وجعلت لكما إذا كنت طالما

وأنتمين في العينين صبا

قالت: نعم، وأغني:

فإن تقبلوا بالولدة تقبل بمثلي

 وإن تديروا أدير على حال بالباء

فتقاتنا في بيتيتين، وتواصلنا في بيتيتين، ولم يشعر بهما أحداً.

قصة (23) لبعض الشعراء في التقбил(1)

(1) ابن عبد ربه، العقد الفريد، ج 2، ص 85.
(2) ابن قتيبة، عيون الأخبار، ج 3، ص 346.
(3) ابن قتيبة، عيون الأخبار، ج 3، ص 374.
قصة (24) للمدني

ذكر المدني: أن رجلا من السلطان كان لا يزال يأخذ قواداه يلبسها ثم يأتي من يشفع فيها فيخرجها، فأمر صاحب شرطته كتب في قصته: فلأيăr قواداه تجمع بين الرجال والنساء لا يتكلم فيها إلا زان، فكان إذا كتب فيها قال: أخرجوا قصتيها، فذكرت قام الشفع مستحيياً.

قصة (25) عمر بن الخطاب وشبل يهودي كان عند امرأة أخيه

عن الحسن أن شابين كانا متأنئين على عبد عمر بن الخطاب رضي الله عنه، فأغرز أحدهما، فأوصى أخاه بالله، فانطلق في ليلة ذات ريخ وظلمة إلى أهل أخيه يتعهد، فإذا سراح في البيت يزهر، وإذا يهودي في البيت مع أهلها وهو يقول:

أ偻تُ غَرَّةَ الإِسْلَامُ مِنِي
أمَّنُ عَلَى تَرَابِيْهَا وَيُضَحِي
فَنَاَّمْ يَهْضُونَ إِلَى فَنَاَّم
فرجع الشاب إلى أهلها، فاشتمل السيف حتى دخل على أهل أخيه فقتله ثم جره وألقاه في الطريق، فأصبح اليهود وصاحبهما قتيل لا يدرون من قتله، فأتى عمر بن الخطاب فدخلوا عليه وذكروا ذلك له، فنادى عمر في الناس: الصلاة جامعة، فاجتمع الناس فصعد المنبر.
فحمد الله وأنتم عليه، ثم قال: أنشد الله رجلاً علم من هذا القتيل علمًا إلا آخرن يحيده. فقام
الشاب فأنشد الشعر وأخبره خبره؛ فقال عمر: لا يقتطع الله ذلك، وهدروا دمه.

قصة (26) بين عبد الله بن عكرمة وأمّة عبد الرحمن بن الحارث (1)

قال عبد الله بن عكرمة: دخلت على عبد الرحمن بن الحارث بن هشام المخزومي
أعده، فقلت: كيف تجذبك؟ فقال: أحسنت بالموت، وما موني باشذ علي من تنمع أم همام،
أخاف أن تتزوّج - يعني أمته - ففلت فهلته نه وتلأت ألا تتزوّج بعده، فغضبي وجه نور، ثم قال:
أنا الموت أن ينزل ما شاء شيء. ثم مات. فتزوجت بعمر بن عبد العزيز، فقلت:
فإِنْ لَيْقُتَ حُبُّ مَهْلَكَ إِلَّا بِهِنَّ بُيُوتُهَا وَلَفْي
فلبعها، فكتبت إلي: قد بلغني بيتك الذي تمثلت به، وما مثلى ومثل أختك إلا كما قال
الشاعر:

وَهَلَّ كَنَتْ إِلَّاَّ الْيَدَانَ دَائِتِينَ ۖ تَرَحَّبَتْ ۖ عَنْهُ ثُقَّلَ بِعَدْرِهِ فَتَرَبَّعَ فَذَغَ عَلَیْهِ مِنْ قِدْ وَازْتَ الأَرْضَ شَخْصِهِ ۖ فَوَيْرَنَّ مِنْ قِدْ وَازْتَ الأَرْضَ فَاتْرَبَّعَ فِي نَزْلٍ مُّثِبِّنَ يَسِيرُ وَأَحْتَسَبَ حَسَبَهَا، وَإِذَا هُوَ قَدْ عَجِبَتْ عَنْهَا، وَقَدْ بَقَى عَلَيْهَا
أربعة أيام، فدخلت على عمر فأخبرته بذلك، فغضب النكاح وغسل عن المدينة.

قصة (27) صخر بن الشريد وزوجته وأمّه (2)

كان صخر بن الشريد أحد الحسناء خرج في غزوة فقاتل فيها قتالاً شديداً، فأصابه
جرح عريض، فمرض فطال به مرضه وعاد قومه، فقال عائذ من غزوة يومًا لأمرته سلمي:
كيف أصبح صخر اليوم؟ قالت: لا حيًا في رجحه ولا أمنِيًا فينُسِي. فمسح صخر كلما فشَّ علية،
وقال لها أنّه القائلة: هذا وكذاك؟ قالت: نعم غير معتبرة إليه. ثم قال عائذ آخر لآمها: كيف أصبح
صخر اليوم؟ قالت: أصبح بحمد الله صالحاً ولا يزال بحمد الله تبخير ما رآيت سواده بيننا. فقال
صخر:

لمَّا سَلَّمَ خَيْرًا مَضْجِعًا وَمَكَانِي
وعلى يدّ وَمَسْنُ یَغْتَر بِالحِدْثِانِ

(1) ابن قتيبة، عيون الأخبار، ج3، ص402.
(2) ابن قتيبة، عيون الأخبار، ج3، ص403.
فلا عاش إلا في أذي وذهان
وقد حيل بين الغير والشروان
وأسمعت من كانت له أذنان
فلما أفاق عبد إلى سلمى فعلقها بغمود الفستاط حتى فاضت نفسها، ثم نكس من طعامه.

قصة(28) أردشير وابنها ملك السواد(1)
قرأت في سير العمج أن أردشير سار إلى الخضر، وكان ملك السواد متصدقا فيها، وكان من أعظم ملوك الطوائف، فحاصرته فيها زماناً لا يُذكر إلى سببلة، حتى رأيت ابنته ملك السواد يوماً، فرأت أردشير فبعثت فنعت وأخذت نشابة وكبت عليها: أن أنت شرطت لي أن تزوجني ذلك على موضوع نُنحت منه هذه المدينة بأمر حليما وأخذت مؤونة. ثم رمت بالنشابة نحو أردشير؛ فكتب الجواب في نشابة: إنك الوفاء بما سألت. ثم ألقاها إليها؛ فكتبت إليه تثنى عليه الموضوع؛ فأرسل إليها أردشير فاستجيب ودخ وجوهرة، وأهل المدينة غارون، فقتلا ملكها وأكثر مقاتلتها وترجحها؛ فبينما هي ذات في صر على فراشه أنكرت مكانا حتى سهرت لذلك عاماً ليلتها، فظروا فيها والرس في ورم وهو ورم، وقيل أردشير: ما أخذ بحلك في الحبى والإكرام مبلغ أبيك، ولكن كان جزاءك عندك على جهود إحسانه مع لطف قرايته وعلم حقه جهد إساءتك، ما أنا بل ملته ملك. ثم أمر بأن تعود قرونها بدنٍ فرض شديد المران جمُوح ثم يجرى؛ ففعل ذلك حتى تساخطت عضواً.

قصة(29) بين أخوين وزوجة أحدهما(2)
قال الغني: سمعت أبي يُنحت عن ناس من أهل الشام: أن أخوين كان każdدهما زوجه.
وكان يُجيب ويحلف الآخر في أهل، فهويته امرأة غريبة، فأرادته على نفسها فلمتزع فلما قد أخوه سألها عن حالها، فقالت: ما حال امرأة تراوأ في كل حين! فقال: أخي وابن أبي! وإنى لا أفقسها! ولكن الله على ألا أكملها أبداً، ثم حجّ وجح أخوه والمرأة، فلما كانوا بوادي الدوّم هلك الأخ ودفنه وقضوًا حُجمهم ورجعوا؛ فمرُوا بذلك الوادي ليلة، فسمعوا هائلاً يقول:

(1) ابن قتيبة، عيون الأخبار، ج3، ص404.
(2) ابن قتيبة، عيون الأخبار، ج3، ص404.
قصة (30) قرشي ومرأته


قصة (31) بين محمد بن قيس ويزيد بن عبد الملك في عاشقين

قال محمد بن قيس الأسدي: وجيحي عامل المدينة إلى يزيد بن عبد الملك وهو خليفة فخرجت، فلم تري المدينة بلبلتين أو ثلث وإذًا أنا بامرأة تائه على مارقة الطريق، وإذا رجل رأسه في ججرها كلهما نصف رأسه أسود، فلمسه فرحت ولم يرده الشاب؛ ثم تأملتي فقالت: يا قتلي، هل لك في أجر لا مرزنة فيه؟ قلت: سبحان الله! وما أحبب الأجر إلى وإن زرت في! فقالت: هذا ابني وكان إلهاً لاينة عم له تربياً جميعاً، ثم حسبت منه، فكان يأتي الموضع والخباء، ثم خطبه إلى أبيها فأتى عليه أن يزوجها، فعند نرى عيبًا أن يزوج المرأة من رجل كان بها مخزماً، وقد خطبهما ابن عم لها وقد زوجت من ثلاث، فهو على ما ترى لا يأكل ولا يشرب ولا يعقل، فلم نزلت إليه فعظمته، فنزلت إليه فعظمته، فقيل على وقال:

آلا ما للحبيبَة لا تعود،
ابخل بالنبيبة أم صدود

(1) ابن قتيبة، عيون الأخبار، ج3، ص 405.
(2) ابن قتيبة، عيون الأخبار، ج3، ص 412.
قصة(32) لعبد الملك بن عمر في أخوين من بني كنّة(1)

فما لك لم تُرِي فيمن يعود
فقدت حبيبي فيليت وجدأ
وحوالي من بني عمي عدد
إليك وأني تَنْبِهُتِي الوعيذ

قال: ثم سكن عند آخر كمته، فقالت العجوز: فاضست والله، نفسهُ ثلاثاً! فدخلني أمر لابنها، فاعلمي الإله، فاختفت وختفت موتاه لكلاً، فلم رأته العجوز ما بني قال: هوُن عليك! مات

بالنها، واستراح بما كان فيه، وقدم على ربي الكريم، فهل لك في استكمال الأجل؟ هذة أبواتي ملك

غير بعيدة، تأتيهم فتنعاه إليهم وتسألهم حضورهم، فركبت فأتت أبواتي منها على قدر ميل، فتعينه

إليهم وقد حفظت الشعر، فجعل الرجل يسترجع، فبينما أنا آدور إذا أمراً قد خرجت من خيالها

تجرُّ رداءها ناخرة شعرها، فقالت: إنها النااعي، بفك الكثكّ، بفك الحجر! من تَنَعَّي؟ فلان بن

فلان، فقالت: بالذي أرسل مهَّداً واصطفاها، هل مات؟ قلت: نعم. قالت: فماذا الذي قال قبل

موته؟ فأشتقتها الشعر، فوَّادا، ما تتبنّهت أن قالت:

عذاني أن أزورك يا حبيبي
أشاعوا ما سمعت من الدواهي
وأنا إذ تَنَعَّت اليوم جداً،
فلانا طابت في الدنيا فوقاً
ولا لهم ولا آخرى العبيد

ثم مضت معه ومع القوى تُولَّل حتى أنتهاهِ إليها، فغسلت وكفتاها وصلى عليها، فأكتب

على قبره وخرجت لطبيتي حتى أتيت زيد بن عبد الملك، وأوضعت إليها الكتاب، فسألتي عن

أمور الناس، قال: هل رأيت في طريقك شاب؟ قلت: نعم، رأيت وَهُوَ عجبًا، وحدثته الحديث;

فاستوى جالساً، ثم قال: الله أنَّت يا محمد بن قيس! أمس السعِّة قبل أن تعرَّف جواب ما قدمت

له، حتى تمرِ بأهل الغف وربي عمه، وتمر بهم إلى عامل المدينة، وتأمره أن يَنْبِهُتِي في شرف

العطا، وإن كان أصابها ما أصابه، فافعل ربي عمها ففعلت ببني عمه، ثم ارجع إلى أمي حتى

نَحْرَني بالخبر، وتأخذ جواب ما قدمته له، فمررت بضموع القبر، فرأيت إلى جانب قبر أخر،
فسألت عنه فقيل: قبر المرأة، أكتب على قبره، ولم يذق طعاماً ولا شراباً، ولم تُرْفَع عنه إلى

ثلاثة أيام إلا ميتة، فجمعته بني عمه وبني عمها، وأُنْبِهُتِي في شرف العطا جميعاً.
عن عبد الملك بن غمّر قال: كان أخوًا من بني كنّة من ثقيف، أحدهما ذو أهل، والآخر غريبًا، وكان ذو الأهل إذا غاب خلقه العزب في أهله؛ فغاب غيبة له، ففاجأ العزب يومًا فطعته عليه امرأة، وأخذ ما ذكر، وعلى وجهها بذراعيها، فوقع في قلبه، وجعل يذوب حتى صار كأنه خبط، فقدم أخوه فقال: يا أخي، ما لذك؟ قال: لا أدري. واستجابة أن يذكر ما به، فانطلق أخوه إلى الحارث بن كله طبيب العرب، فوصفه له; فقال: أحمله إلى. فلما نظر إليه قال: ألم العبانة فصيحتان، وألم الجسم فذبعت، ولا أظن أخاك إلا عاشقًا. قال: ترى أخى بالموت وترغم أنه عاشق؟ قال: هو ما أقول لك، فاسته الشراب؛ فسقاها الخمر، فقال: الشعر ولم يكن الشعر من شأنه، فقال:

الآن إلى البيا
غزل ما رأيت اليوم
وفي منطقه غزنة
فتاخفف رأيك
فقل أخوه: وأنما وُلادًا كما قال، ولكن لا أدرك من عن سقاف شربة أخرى، فقال:

أيهم أطلقوا أو أشعروا
وذلك كثيرون من آل
هي ما كنتي وتر
قال: يا أخي هي طلاق ثلاثَاً، فإن شئت فترجوه. قال: ولي طلاقة، إن تزوجتها.

غيره: فلما أفاق ذهب على وجه حياءً ولم يرجع، فهو في ثقيف.

قصة(33) خبر عباس والجارية التي هويها(1)

عن أبي مسكين قال: خرج ناس من بني حقيبة ينطلقون إلى جبل لهم، فنصرو قاتمي منهم يقال له عباس بجارية فوبهها، وقال لأصحابه: والله لا أنصرف حتى أرسل إليهم، فطلبوا إليه أن يكفّ وأن ينصرفهم بأبي، وأقبل يرسل الجارية حتى وقع في نفسها، فأقبل في ليلةٍ إضحانة متكبكة قسوته، وهي بين أخواتها نائمة، فأذن فيها؛ فقالت: إنصرف وإلا أظلمت أخوتي فقطلك! فقال: والله اللَّهُ أسوأ مما أنا فيه، ولكن الله علي إن أعطيتني يدك حتى أضععها على فؤاد أن أنصرف. فأنفكت منه يدها، فوضعها على فؤاده ثم أنصرف، فلم يكان من القابلة أثناها وهي في مثل حالها، فقالت له مثل مقالتها، ورد عليها وقال: إن أعطيتني من شفتيك أرسَفهما انصرفت ثم لا أعود إليه. فأنفكت منه شفتيها فرسَفهما ثم أنصرف، ووقع في قلبها منه مثلً.

(1) ابن قتيبة، عيون الأخبار، ج3، ص416.
النار؛ وندّر به الحي، فقالوا: ما لهذا الفأس في هذا الجبل! أنضموا بنا إليه حتى تُخرجَه منه.
فأرسلت إليه: إن القوم باتوكلت الليلة فأحذرُ، فلما أمسى قعد على مَرْقِبٍ ومعه قسه وأسيمه، وأصاب الحي من آخر النهار مطرًا وندى ف형 على عينه; فلما كان في آخر الليل وذهب السحاب بطلع القمر، خرجت وهي تزبد وقد أصابها ظل، فنَتَرَشَت نّشورها وأعجبتها نفسها ومعها جارية من الحي، فقالت: هل لك في عباسي؟ فخرجت تمشي، ونظر إليها وهو على المرقب، فظن أنها ممن يطلب، فرمى بسهم فما أخطأ قلب الجارية فلقه! وصاحبت الأخرى، فأنحرد من الجبل وإذا هو بالحارة في دمها؛ فقال:

نّعب الغراب بما كرّه فاصبر وإلا فانتصر
ثم وجا في أوداه بِمُشافِقِه، وجاء الحي فوَجهما مقتولين ففديهوما!

قصة (34) خبر الفأس وسلامة الحميدة


ونهض وعاد إلى طريقته التي كان عليها فيه قبل:

لقد فقنتُ رياً وسلامة الفأس
ولم تترك للفأس عاقلاً ولا نفنا
ومن شعره فيها:

أهاليك أن أقول بذلْت نفسي
حياة ملك حتى شف جسمي
قصة (35)


(1) ابن عبد ربه، العقد الفريد، ج2، ص70.
و ذكرت أن هندي بنت عتيبة بن ربيعة قالت لأبيها: يا أبي، إنك زوجتي من هذا الرجل.
ولم يَؤمَّرني في نسبي، فعُرض لي ما عرض، فلا زوجتي من أحد حتى تعرض على أمره،
و في خصاله... حُسنين سهيل بن عمرو وأبو سفيان بن حرب، فدخل عليها أبوها وهو
يقول:

راضٍ لك يا هندٌ الحبيب ومفقُوع
وما منهما إلا يُعاش بفضله
وما منهما إلا كريمًا مَرَّ
فدو ذلك فاختاري ما تُخادع

قالت: يا أبي، والله ما أصنع بهذا شيناً، ولكن فُصُّر لي أمرهما وبيني في خصالهما,
حتى أختار لنفسي أثَّارهما مواقفةً لي. فبدا يذكَّر سهيل بن عمرو، فقال: أما أقدامها في سٍبة
من العشيرة وثروة من العيش، إن تابعته تابعك، وإن ملئت عنه خط الَّذي، تحكمين عليه، في أهله
وماله. وأما الآخر فمسَّ عليه منظور إليه... في الحسب والكسب، والرأي الأربى، مرده
رؤوته، وعزهَ عزهته، شديد الغيرة، كثير الطَّيْر، لا يدُع على ضعفتة، ولا يرفع عشاء عن
أمه. فقالت: يا أبي، الأول سيّد مضياع للحيرة، فما عفت أن تظلم بعد إبانها، وتصنع تحت
جناحه، إذا تابعتها بأنتِها فاشترت، وناهبها أنتِها فانقلت، فسانتها عند ذلك حالها، وقبح عند ذلك
دلالها، فإن جاءت بولد أَهْمَت، وإن أنجبت فعن خطأ ما أنجبت، فاطر ذكر هذا عنّي ولا تَسْمِه
لي. وأما الآخر فيفعل الفتاة الخريدة، أميرة المفيدة، وإيّا لَّتني أريد له عشيرة تغثير، ولا
تُصِيبه بذَّع فضيصر، وإني لأخلاق مثل هذا لمواقة، فزوُّجنيه. فزوُّجها من أبي سفيان. فولدت
له معاوية، وقبله يزيد، فقال في ذلك سهيل بن عمرو:

تأتي وقاتلت وصف أهوج مانق
نبتّ هذا بَنَّ الله سعيّة
أجَر لها ذي قبل حين الخلافة
ما هَوَّجي يا هند إِلا سجيّة
ولا طَمَّت بالبطّاء في كل شارق
و لو شنت خادعتي الفتى عن قُوْصِه
واتِّبعتها الدّم ضد الخلافة
وكن قُرُّتُ أكرمت نفسي تكرُّماً
وايّا إذا ما حرة ساء خلقها
صبِرت عليها صرّ أخر غاشق
إِن هي حفت خللها تكُرّها
ول أقل بترك من حبيب مفاَرق
أين يدعوكت في رأس حاقت
فإن سامحوني قلت أمرٍ إليكم
لم لم تَقَفْي فاعمل عن غير واسق
قيل على سفيان، فقال: والله لو أعلم شيئًا يرضي أبي زيد سوى طلاق هذٍ لفعلته
فبلغ أبي سفيان، فقال: كباً أبو سفيان... رآيت سهيلًا قد تعثروا شأوته
وفرط في العليلاء كل عَنْشان

وأله سهيل في تنقّص أبي سفيان. فقال أبو سفيان:
قصة(36)


أريد عَنْهَا . فاستقبل فقال: يا أبا أمية، حاجتك؟ قلت: زينب بنى أخيك، قال: ما بها رغبة عنك فالكحضنها. فلما صارت في حيالي ندمت، وقالت: أي شيء صنعت بناء بني تميم؟ وذكرت أَلَّك قلبي، ثم قلت: لا، ولكن أصمه في، فإن رأيت ما أحب وإلا كان ذلك، فلو أتيتي يا شعبي وقد أقبل نساوهما يهدينهما حتى دخلت عليها، فقلت: إن من السنة إذا دخلت المرأة على زوجها أن يقوم فياضلاً ركعتين، فيسال الله أن خيره ويغوه به من شرها، فصلى للسُّتِّ. ومن خلفي تصلّي بصلاته، فلم قد قضيت صالتي أنتى جواحبها، فأخذن ثيابي وألبسني ملحة قد صبعت في عكر العصر، فلم خل يثبت دنوت منها، فمددت يدي إلى ناصبتها فقالت: على رسلك أبا أمية كما أنتم، ثم قالت: الحمد لله، أحمد و أسعينه، وأصلي

(1) ابن عبد ربه، العقد الفريد، ج2، ص75.
على محمد والآله، إلى امرأة غريبة لا علم لي بأخلؤها. فليس لي ما تُحب فينيه، وما تكره
فأردد عنده. وقالت: إنه قد كان لك في قولك منكح. وفي قومي مثل ذلك، ولكنني إذا قضى الله
أمراً كان، وقد ملكت فاصنع ما أمرك الله به: {إِسْتَفْرَأْتُ عَلَى أَمْرِي أَنْ أَكُلَّمُهُ} أقول قولي
هذا وأستغفر الله لي وليك. قال: فأخرجني ولي ولي ولي رسول الله صلى الله عليه وسلم. وبعد، فإنك قد قلت كلاماً إنى تبني
عليه يكن ذلك حظك، وإن تدعى يكن حجة عليك، أحبذا وكأكركذا، ونحن جميع فلا نفِرقي،
وما رأيت من حسة فانشِبها وما رأيت من سنة فاستِرها، وقالت شيرناً: لفِقَت، كيف حُبنتك
لزيارة الأهل؟ قلت: ما أحبي أن يُنذني أصهاري، قال: فمن تحب من جيرانك أن يدخل دارك
آذنله، ومن تذكره أمنعه؟ قلت: بنو فلان قُوم صالبون وبو فلان قوم سوء، قال: فيت يا
شعبي بأنعم ليك، ومكتب من حوالاً لا أرى إلا ما أحبي. فلما كان رأس الحول جَنَّتٌ من مجلس
القضاء، فإذا بعجوس تأمر وتهنى في الدار. فقلت: من هذه قالت: فلا تائدها خانتك، فرائي عنى ما
كنت أجد، فلما جلست أقبلت العجوز، قللت: السلام عليك أبا أمية. قلت: وعليك السلام، فقلت أنت؟ قالت: أنا فلانت خانتك، قلت: فرتك الله، قالت: كيف رأيت زوجتك؟ قلت: خير زوجة،
قلت لي: أبا أمية، إن المرأة لا تكون أسوأ حالاً منها في حالتين، إذا ولدت غلاماً أو حظيت
عند زوجها، فإن ربك ريب فlinik بالسروط، فوالله ما حاز الرجل في بطتهم شروأً من المرأة
المدللة، قلت: أما والله لقد أذهب فأحسن الأدب، ورضيت فأحسن الزيادة، قالت: تُحب
أن يزورك أختانك؟ قلت: منى شاوارما. قال: فكانت تأتيني في رأس كل حوالى توصيني تلك
الوصية، فمكتبت معي عشرين سنة لم أعلم عليها في شيء إلا مرة واحدة، ونكت لها ظالماً،
أخذ المؤذن في الإقامة بعدما صليت ركعتي الفج، ونكت إمام الحي، فإذا بعثرتت تدب، أخذت
الإيام فأخذت عليها، ثم قلت: يا زينب، لا تحركي الإيام حتى أتي، فلو شدنتي يا شعبي، وقد
صلبت ورجعت إذا أنا بالقرب قد ضربتها. فدعوت بالقنطرة والملح، فجعلت
أملها إصبعها وقرأ عليها بالحمد والعذرتين.
وكان لي جار من كندة يقُرّر امرأتي ويضربها، قلت في ذلك:
رأيت رجلاً يضربون نساءهم
فما أخطر من ضرب من ليس منهم
فزينب شمس النساء كوكب
قصة(37)

(1) ابن عبد ربه، العقد الفريد، ج2، ص77.
قال أبو عبيدة: نكح الفرزدق أمةً له زنجية، فولدت له بنين، فسماهما مكية، وكان يخطب بها، ويكول: أنا أبو مكية. فكتبت النوار يومًا إلى الفرزدق تشكك مكية، فكتب إليها:
كنتم زعمتم أنها ظلمتكم
فإن أبها واثن لستينها
و إن لها أعمام صدق و إخوة
و قالت النوار: إنان لا تشاء.
وقال الفرزدق في مهته الزنجية:
يا ركب خود من بنات الزنج
يردات طيبًا بعد طول الهزج
أمس من مثل القده الخلنج
(قصة 38)

قلت: يا ابن أخي، كف عن هذا، قال: لنظر ما أقول لك، قلت: فإن أشرف أَنَّم بالبصرة.
هنا بنت صفيرة وأشرف بكر بالبصرة عوادة بنت زرارة بنت أوقي الحرشي، قاضي البصرة.
قال: اختبأها علي، قلت: يا هذا إن أباها قاضي البصرة، قال: انطلق بنا إليه، فانطلقتنا إلى المسجد، فقتّدَّم مجلسًا إلى القاضي، قال له: من أنت يا بن أخي؟ قال: عبد المجيد بن سهل بن عبد الرحمن بن عوف، خال رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال: متىً، ما حاجتكم؟ قال:
قلت: ارجع بنا و لا تخطبها، قال: أذهب بنا إليها، فدخلنا دار زرارة، فإذا دار فيها مقاصير.

المصدر نفسه، ج2 ص78
فاستأتنا على أمها فلقبنا بِمَثل كلام الشيخ، ثم قالت: ها هي تلك في تلك الحُجرة. قلت له: لا تأتِي! قال: أَلَسْتِ بْكِراً؟ قلت: نقُ، قال: أدخلْ بنًا إليها، فاستأتنا، فأَدْرَجْتُ لنَا، فوجدناها جالسةً وعلى يامِسةً قُوقَى قصيرة مَعْصَر، تlte سراويلَ يرى من بياض جسدها، ومرتُ قد جمعته على فخذيها، ومُصحَّف على كرسي بين يديها، فأَشْرَجْت الفصيح ثم نّكِته، فسليمنا، فردت، ثم رحبت بنا، ثم قالت: من أنت؟ قال: أنا عبد المجيد بن سهيل بن عبد الرحمن بن عبد الزهرى، خال رسول الله صلى الله عليه وسلم وَمِدَّ بها صوته، قالت: يا هذا، إنما تُحدد هذا الصوت للسادسَيْن. قال موسى: فدخل بعض في بعض. قالت: ما حاجتك؟ قالت: جئتُ خاطبةً، قالت: ومن ذكرت؟ قال: ذكرت، قالت: مرحبًا بك يا أخا أهل الحجاز، ما الذي بيدك؟ قال: نَا سُهُمْنَا بِخَبَّارِ أعطانَاهُم رَسُول الله صلى الله عليه وسلم، وَمِدَّ بها صوته، وعين به مصر، وعين بالبيامة، ومال بالبيمن قالت: يا هذا كل هذا عنا غانب، ولكن ما الذي يحصل بأيدينا منك؟ فأَفْنِكْ تريد أن تجعلني كِشَائِع عَكْرُوم؟ قالت: عَكْرُوم! فَلا تَقْلَ! فأنا نشأ بالسّواد ثم انتقل إلى البصرة، وقد تقدَّمي إلى اللَّيْبَين، فقال للوزُّوجة: اشتري لنا شاة نَحْبلها وتَصْنِيعَ نِظا عَلَى نِفْتِها وِكَساها، ففُلَتْ. وكانت عندنَا اثنتين وَمِنْ لِبَا نِهَا شَا رَا وَكُما سَا، ففُلَتْ. كانت عندنَا اثنتين، فاسترحتم ففُلَتْ. فَجَاءَنا، ففُلَتْ، فقال النيس: أخذنا على النِّزْوَة دُرهمًا. ففُصِّرَتْ إلى سِيدتَها فَأَعْلِمتَها، قالت: إننا رَأَيْنَا مَن يرْهُب وعِطْعُي، وَأَنَّا مَن يرْحم وياَخَّذ قَلْدُ ذَرْهُ، وَلَكِنّا أَخَا أَهْلَ الْمِدْنِيَّة. أرْدَت أن تجعلني كِشَائِع عَكْرُوم. فَلما خَرَجْنَا قلْتُ له: ما كان أَعْطَاكَ عن هَذَا! قال: ما كنت أُطَن أَن أَمْرَة تَجْتَرَى على مثل هَذَا الكَلَام .

قصة (39) (1)

و كان عمر بن حجر ملك كندة، وهو جد أمراء القيس، نزل أن يترُوج أبنته عوف من مُهْلِم الشيباني الذي يقتل فيه: لا تعَزى عوف، لِإِفْرَاط عزّه. وهي أم إيس، وكانت ذائِت جمالًا وكمالًا، فوجِهَتِ إليها امرأة يقلل لها عبْسُان، ذات عقل وبَيِان، وأدب لنَظُر إليها وَتَطَنَحَ ما يلْبَغُها عنها. فدخلت على أمها أمامَة بنت الحارث، فأعلمتها ما بَقيَتْ. فانطلقت إلى أبنتها: أي بنية، هذه خالتك، أتِ إليكَ لنَظُر إلى بعض شاكين، فلا تَسْتَرِي عنها شيئاً أَرَدتَ النظرَ إليهَنِ، وجَلَّ وحَلْقٍ، وناطِقينَ فيَّما استنطْقَتْ فيه. فدخلت عبْسُانَ على عليها فظحت إلى ما لم تَرْ عُنَاها مثله قط، بهجة وحسننا وجمالها. وإذا هي أكمل الناس عفًا وَأَقْصِحَمُ لُسْانًا. فخرِجت من عنها وهي تقول: "ترك الْخَدْعَةِ مَن كَشْفَ الْفَنْعَانَ، فَخَفْتَ مَثَلاً. ثم أَقْبَلَتَ إلى الحارث، فقال لها: مَا ورَاعْتَ يا عبْسُان؟ فأرسلت مثلاً. قالت: "صَرِّحْ المَخْضَعَ عن الزِّبْدَةُ، فَخَفْتَ مَثَلاً. قال: أخبرني. قالت:

(1) ابن عبد ربه، العقد الفريد، ج2، ص88.
أخبرك صدقًا وحقًا، رأيت جهينة كالمرأة الصغيرة، يزنيها شعر حائك كأنها نبات الخيول المضورة، إن أرسلته خليته السلاسل، وإن شئته فئت عافية كرم جلال الوائل، ومع ذلك حاجبان كانهما خطأ بغي، أو سوءًا بحمض، قد تقوله على مثل عين المسرة التي لم يزعمها قائر ولم يدغمها قسوة، بينما أنف كهد السيف المصفول، لم يخنس به قصر، ولم يمتنع به طول حقيقته وحنان كالجيوش، في بياض محض كالجمان، شق فيها فم كالخان، لذن المتنبي، فيه ثيابا غرو، ذوات أشر، وأسان تُعد كالنذر، وريقته تُريك منه ريح الخمر، أمر نشر الروض بالسحر، يقلب فيه لسان ذو فصاحة وبيان، ينقلبه عقل وأفار وجواب حاضر، بلينقي دونه شفتان حمروان كالورد، يحلبان ريقا كالشهد، وتحت ذاك غرق كابيريق الفضارة، تُرك في صدر تمثال ذُمية، بيتصل به عضدان مماثلان لحماً مكتنزان شحماً، وذراعان ليس فيما عظم يُحس، ولا عرق يحس، تُركت فيما كفان رقيق قسبهما لين عصبهما، تُعدى إن شئت منهما الأدء، وترك القوسوف في حفر المفاصل، وقد تريع في صدرها حفانا كأنهما رمانات، من تحت ذلك بطن طويل كعبتي الغباق الشديدة، كم غتكنا كالقرطاطين المدرية، تحت تلك المكن بحرت كعذبتان العاج المجدول، خلف ظهر كالجدول يرتبي إلى خصر لم رحة الله إلا خزلها، تحته كف يعدها إذا نهضت، وينهضها إذا تبعد، كان يدعض رمل، فيه سقوط طول، يحمله فخان لفوان كأنهما نضيذين الموار، وتحملهما سائران خفاجتان كالبردري وربما يُعتبر أسود، كأنه حلق الزرد، ويجعل ذلك قمان كحد السنان تبارك الله في صغرهما كيف تُطيقان حمل ما فوقهما، فأما سوى ذلك فتركت أن أصفه، غير أنه أحسن ما وصفه ووصف بنظم أو نثر، قال: فأرسل إلى أبيها بخطبه.

قصة(40)

و قال عمى للرشيد، في بعض حدثه: بلغني يا أمير المؤمنين أن رجلاً من العرب طلق في يوم خمس نسوة، قال: إنما يجوز ملك الرجل على أربع نسوة، كيف تطلق خمساً؟ كان الرجل أربع نسوة فدخل عليها بما فوجده من متلاحمات متلازمات، وكان شنطرياً، فقال: إلى متي هذا التنارع؟ ما إختال هذا الأمر إلا من قبل، يقول ذلك لأمرأة منها، إذ أهبه ذا طالق، فقائلي له صاحبتهما: عجلت عليها الطلاق، ولو أبديتها بغير ذاك لكتبت حقاً، فقال لها: وأتت أيضاً طالق، فقالت له الثالثة: فيحبك الله، فوالله لقد كنتا لكي محسنتين، وعليك موضعتين، فقال: وأتت أيتها المعددة أيديهما طالق أيضاً، فقالت له الرابعة، وكانت هليلية فيها أثناء شديدة ضاق صدرك عن أن تؤثث نساءك ألا بالطلاق، فقال لها: وأتت طالق أيضاً، وكان ذلك يسمع جارة

(1) ابن عبد ربه، العقد الفريد، ج2، ص95.
له، فأشرفت عليه وسعت صمدته، فقالت: والله ما شهدته العرب على كونه بالضعف إلا لما بلغ منك ووجه فيكم، وأبيت طلاق نسائتك في ساعة واحدة. قال: وأنت أيضاً أيتها المؤمنة المكلفة طاقك أن أجاز زوجك، فأجابه من داخل بيته: هيه، قد أجزت، قد أجزت.

قصة(41)

و دخل المغيرة بن شعبة على زوجته فارعة الثقنية، وهي تتخلى، حين انفتت من صلاتها الغداة، فقال لها: إن كنت تتخليين من طعام اليوم إنك لنجمعة، وإن كنت تتخليين من طعام البارحة إنك لشعبة، و كنت فينت. فقالت: والله ما معتني إلا كنا ولا أنسنا إذ ين، وما هو شيء مما ذكرت، ولكننا استنinin فتخلىت للساوق. فخرج المغيرة نادأنا على ما كان منه. فلقيه يوسف بن أبي عقيل، فقال له: إن نزلت الآن عن سيدة نساء ثقيف، فتزوجها فإنها ستنجب

فتوجهوا. فولدت له الحجاج.

قصة(42)

و طلّق الأُوليد بن يزيد مراته سعدياً. فلم تزوجها شهد ذلك عليه وندم على ما كان منه. فدخل عليه أهله، فقال له: أبلغ سعديا عن رسلة، ولكن مني خمسة آلاف درهم. فقال:

عجلها. فأمر له بها. فلما قيضها قال: هات رسالته، فانشدها:

أسلوا ما لا إله لنا سبيل
ول لا حتى القيادة من ثلاث
بتو اليمين أو فراق

وقال: هاتي رسالتكم، فقالت: أشهد:

أبكي على سعدى وأنت تركتها
فقد ذهبت سعدى مما نسمن
فلما بلغه أنشده الشعر سقط في يده، وأخذته كملة ثم سرى عنه، فقال: أفنا واحدة من ثلاث: إما أن نقتلك، وما أن نطرحك من هذا القصر، وإما أن نقيم إلى هذه السباح. فتحيَّر

---

(1) ابن عبد الروّة، العقد الفريد، ج2، ص96.
(2) ابن عبد الروّة، العقد الفريد، ج2، ص99.
قصة (43) وفود سودة عمارة على معاوية.

عمر الشعبي قال:
و أتت سودة بنت عمارة بن الأشرال هذهبية على معاوية بن أبي سفيان، فاستأذنت عليه، فأذن لها فلم تدخل عليه سلمت، فقال لها: كيف أنتم يا بنيت الأشر؟ قالت: بخير يا أمير المؤمنين، قال لها: أنت القائمة لأخيك:

و أتى في يوم الطاعان مثل قيس الأقران
و أنصر عليه والحسين ورَهْطَه و
إن الإمام أبو النبي محصب علم الهدى ومنارة الإيمان
فقد الحياة وبأيض صارم وسنن
قالت: يا أمير المؤمنين، متى الرأس وتبينما الذين، فدع عند تذكّرك ما قد نسي؛ قال:
هيهات، ليس مثل مكان أخيك ينسى؟ قالت: سدفت و الله يا أمير المؤمنين، ما كان أخى خفيًّ
المقام، ذيل المكان، ولكن كما قالت الخبراء:
كانت علم في رأسه نار.
وبابًاأسأل أمير المؤمنين إخفائي بما استخففيه، قال: قد فعلت، فولى حاجتك، قالت: يا
 أمير المؤمنين، أتى للناس سيد، وأمورهم مقدم، والله سائلك عما افترض عليك من حقًا، لا
 تزال تقض عليًا من يتشبه بزك، وييست سلطانك، فحجدنا حصاد البتيل، وينسو دينام
 البقر، وينسومنا الخمسة، ويسننا الجليلة، هذا ابن آرطاة قد بدل، وقل رجلاني، وأخ مالي،
ولا الطاعة لكان فنا عر ومنعة، فإني عثرت عنا فشتكناك، وامي لا فكرناك؛ فقال معاوية:
يا أيًا نهددين بقومك؛ والله لقد هممت أن أرذك إليه على قبض أشرس قيسٌ قد حكمه فيك؟ فسكنت ثم
قالت:
صلى الله على روح تَضَمْتَه
فَأَصْحَبَ فيه العتالُ ذولفاً
قد حالف الحق لا يبيعه ثمنًا
فسرّ بالحق والإيمان مقرّئًا
قال: ومن ذلك؟ قالت: على بن أبي طالب رحمه الله تعالى؛ قالت: لما أرى عليك منها أنّ؟ قال:
بلى، أتى توما في رجل ولاه صدقاتنا، فكان بينا وبينه ما بين الغث و السمن، فوجدته قائماً
يُصْلِي، فافتفل من الصلاة، ثم قال: برقة وتعطف: أليك حاجة؟ فأخبرته خبر الرجل، فكبى ثم رفع.

(1) ابن عبد ربه، العقد الفريد، ص 335.
لا يمكنني قراءة النص العربي بشكل طبيعي، لأنني مساعد نصوي وليست قارئًا عرفيًا.
 فوق المنابر من أميّة خاطبة
فلا شيء مُدُني فطأوَلْت
في كل يوم للزُّمان خطيبهم
ثم سكتوا. قالت: يا معاوية، كلاً كلاً أعني بصري وقصّر حُميّي، أنا والله قائلة ما قالوا، وما خفٍّ على علك ما أكثر، فضحك وقال: ليس يُمنعنا ذلك من برك، اذكري حاجتك. قالت:
الآن فلا .

قصة (45) وفود الزرقءة على معاوية

عبيد الله بن عمرو الغساني عن الشعبيّ قال: حدثي جمعة من بني أميّة ممن كان يُسمُر
مع معاوية قالوا:

بينما معاوية ذات ليلة مع عمرو وسعيد وعبيد والويلد، إذ ذكروا الزرقءة بنت عدي

بن غالب بن قيس البهمائيّة، وكانت شهيدةً بقومه صفين، فقال: أيكم يحفظ كلماتها؟
قال بعضهم: نحن نحفظها يا أمير المؤمنين؛ قال فأخبروا علي في أمرها؛ فقال بعضهم: تُشير
عليك بقلّبتها; قال: بين الرأي أشرتم به على ليحسن، مثل أن تحدث عنه أن قائلة أبداً بعدما
ظفر بها! فكتب إلى عامله بالكوفة أن يُؤدِّها إليه مع ثقة من ذوى معارمها، وعدد من فرسان
قومها، وأن يُمِدّ لها وطاءًا يناله بستر خصيف، ويُوسّع لها في النفق، فأرسل إليها
 فأقرأها الكتاب؛ فقالت: إن كان أمير المؤمنين جعل الخيار إلى فاني لا أثيو، وإن كان جُمَّ
فاطاعة أوّلًا. فحملها وأحسن جهازها على ما أمر به، فلم تدخل على معاوية، قال: مرحبًا
 وأهلاً، قدمت خيرًا مقدّم قدمها وافد، كيف حاكي؟ قالت: يخبر يا أمير المؤمنين. آدم الله لك
النعمة؛ قال: كيف كنت في مسرك؟ قالت: ربيّة بُيت أو طفلا مهما; قال: بذلك أمرناه،
أتدين فيم بعثت إليك؟ قالت: أي لي بعُلم ما لم أعليم؛ قال: أصل الركابيّة الجمل الأحمـ
والوقفة بين الصقّين يوم صقّين تخصیص على القتال. وتوقّف الحرب، فما حملك على ذلك؟
قالت: يا أمير المؤمنين، مات الرأس، ونُبّر الذنب، ولم يعد ما ذهب، والذكر ذو غير، ومن تَنْعِر
أبصر، والأمر يُحدث بعد الأمر؛ قال: لها معاوية: صدق! أنا ما مدّيّان، أعطّي كلماته، يوم صقّين وقالت: لا
والله لا أحفظه ولقد أنسيبناه؛ قال: لكّيّ أعطوه، الله أباك حين تولين: أيها الناس، ارجعوا
وأرجعوا، إنكم قد أصبحتم في قتلة غشتهكم جلابيب الظلم، وجارت بكم عن قصد المحبّة، فيمالها
فتنة عمياء، صمتاً بكماء، لا تسمى لنافقها، ولا تساق لقاذها. إن المصباح لا يضيء في

(1) ابن عبد ربه، العقد الفريد، ص 337.
الشمس، ولا تَتَّبِع الكواكب مع الفَرَق، ولا يقطع الحديد إلا الحديد. ألا من استرشدنا أُرَشْدُنا، ومن سأَلْنا أُحْرَقْنا، أيها الناس، إن الحق كان يُطلِب ضالَّته فأصابها، فصبرًا يا معترض المهاجرين والأنصار على الغُصَص، فكَانِ قد اندمَل شَعْب الشِّتَات، وبتُمَّت كلمة العدل، وذُمِّع الحق بإطالتِه، فلا يِجَلِهِنَّ أحد فيقول: كيف العدل وأنتِ، لِيَقْسِمِ الله أَمْرًا كَانَ مفْعُوَلاً. ألا وإن خصائص النساء الحناء وخصائص الرجال النساء، ولهذا اليوم ما بعده.

وَالصبر خير في الأمور عواقباً

أيها، في الحرب قدماً غير ناكِسين ولا مَشَاشَكَسِين.


قصة(46) وفُوِدَ أم سِنَان بِنَت خَيْثَةُ على معاوية رَحْمَة الله

سعيد بن أبي خذافة قال:

حبس مروان بن الحكم وهو والي المدينة غلساً من بني أبي في جنابة جنها، فأتته جدة الغلام، أم أبيه وهي أم سنان خيثة بن حريرة المذحجي، فكلمتاه في الغلام، فأعلظم شروان، فخرجت إلى معاوية فدخلت عليه فاستقبَت، فعرفها؛ فقال لها: مرحبًا بابن خيثة، ما أَمدك أَرضًا؟ وقد عدِيناكِ تَشْتَمِينا وتحضينب عليا عذرونًا، فقأعت: إن لبني عهد من خلاقتا طاهرة وأحلاما، وأفراح، لا يَجِلَون بعد علم ولا يَسْقَون بعد حَرِم، ولا يَتَقَون بعد عفو، وإن أولى الناس باتباع ما سن أبا له، فإن قاَطَعت، فأنذا فكيف قولك:

والليل يُصدر بالهموم ويُورِدُ

غَرْبَ الرِّفاوَى فمَكَلْتِي لا تَرَقُد

إِن الْمَحْدُوَّانَ لَآ أَحْمَد يَقْصِدَ

يا آل مَذْ حَ لا مَقام فَنُشْرُوا

وَسْط السَّما وانَّ الكَواكب أُسَلَد

هذَا عَسْلِي كَلاهُمُان تَخْفَة

خَيرُ الخَلَاق وابنَ عمّ مِحْمَد

إِن يَهِدِكُم بَيْنَ مَحْرَم وَيَتَنْسَوا

ما زال مَدَد شَهِيد الحَروب مُطْفَرٌ

والنصَرُ فِوقَ لُوائِه ما يَقْتَدِ

(1) ابن عبد ربه، العقد الفريد، ص 339.
قالت: كان ذلك يا أمير المؤمنين، وأرجو أن تكون لنا خلفاً بعده. فقال رجل من:

جلساته: كيف يا أمير المؤمنين، وهي القائلة:

بالحق تعرف هادياً مهياماً
فآخذت يليك علالاً ركباً ما دعت
فوق الغصون حماة امريراً
أوصي إليك فكانها وقعاً
هيهات نأمل بعده إنسياً
فاليوم لا خلف يؤمل بعده

قالت: يا أمير المؤمنين، لسان نطق، وقال صنق. ولتن تحقيق فيك ما طننا فحظك

الأوفر؛ والله ما ورثك سائر في قلوب المسلمين إلا هؤلاء، فأجازك مقالتهم، وأباد مزلتهم، فانه إن أقطع ذلك زدنا من الله قرباً، ومن المؤمنين حباً; قال: إنك لتقولين ذلك؟ قالت: سبحان

الله! والله ما مثلك مثح باطل، ولا اعتذر إليه بكذب، وإنك تعلم ذلك من رأينا، وضمير قلوبنا

كان والله علي أنحب إلينا منك، أنت أحبب إلينا من غيرك، قال: من؟ قالت: من مروان بن

الحكم وسعود بن العاصي، قال: دوست تحقق ذلك عليك؟ قالت: بسعة علمك وكريم عفك، قال:

فإنهما يطمعان في ذلك، قال: هما والله من الرأى على ما كانت عليه عثمان بن عفان رحمه

الله، قال: والله لقد قاريت، فما حاجتك؟ قالت: يا أمير المؤمنين، أن مروان بني بالمدينة تنكر

من لا يريد منها البراء لا يحكم بعد، لا يقضي بينه، ينبع عراث المسلمين، يكشف

عورات المؤمنين، حسن بن أبي نعيم، فأوتيته فقل، كتبت وكتبت، فأعطتcu، فقلت: يعترف

أمر من الصاب، ثم رجعت إلى نفس باللائمة، وقتت، لم لا أصرف ذلك إلى من هو أولى بالعق

ومه، فأثنيك يا أمير المؤمنين لتكون في أمري ناظراً، وعليه مدعيا، قال: صدقته، لا أسأل عن

ذني، ولا عن القيام بحجته، أكتبوها لها بإطلاقه، قالت: يا أمير المؤمنين، وأنني لي بالرجعة، وقد

نفد زادي، وكلمت راحلتي. فأمر لها براحة موطأة وخمسة آلاف درهم.

قصة(47) وفود عكرشة بنت الأطرش على معاوية رحمه الله تعالى(1)

أبو بكر البديلي عن عكرمة قال:

دخلت عكرشة بنت الأطرش بن رواحة على معاوية متوكية على عكر ليا، فلمت عليه

بالخلافة، ثم جلست قال لها معاوية: الآن يا عكرشة صرت عندك أمير المؤمنين؟ قالت: نعم،

إذ لا عليّ حيّ؛ قال: أرسل المتقدم حمائل السمف بصيفيّ. وأنت واقفة بين الصفين تقولين: أيها

الناس، عليهم أنفسكم لا يضربكم من ضلل إذ تهديتم، إن الجنة لا يرحل عنها من قطنتها، ولا

يُهَّر من سكنها، ولا يموت من دخلها، فابنها بارداً لا يُذْوَّم نعيمها، ولا يتصرب همومها،

(1) ابن عبد ربه، العقد الفريد، ص 341
وكُونوا قُومًا مستتروبين في دينهم، مستطهرين بالصبر على طلب حقهم؛ إن عماية ذلت إكم بعجم العرب عُلف القلوب، لا يقفون الإيمان ولا يذروون ما الحكمة، دعاهم بالدلاء فأجابوه، واستدعوا إلى الباطل فلَنَأ أنفَقُ عُرى الإسلام، ويديفّ نور الحق، هذه بذر الصغرى، والعقيدة الأخرى؛ يا عُصر المهاجرين والأنصار، امتصوا على بصيرتهم، وأصبحوا على عريمتكم، فكانت بكم غداً، وقد لقيتم أهل الشام كالأحمر الناهفة تُصفق صفع البق ونُرُوِّث روث العنان.

فكأنى أراك على عصاك هذه وقد أكثَل عسيكرًا، وبيقولون: هذه عُكرشة بنت الأطرش بن رواحة، فإن كنت لثقبتين أهل الشام لولا قدر الله، وكان أمر الله قدراً مقدوراً، فما حملك على ذلك؟ قالت: يا أمير المؤمنين، قال الله تعالى: {أيَلَيْهَا الْذِّينَ آمَنُوا لا تَسْتَلَوْنَ عَنْ أَنْفُسِهِمْ} إن تُبْنَى لْكُمْ نَفَسٌ {وَإِنَّ الْلِّيْبِبُ إِذَا كَرَهُ أَمَراً لَا يَحْبُبُ إِلَيْهِ} {قَالُ}: إن كنّا صداقنا تَؤْخِذ مِنْ أَغْنِيَانَا فَرَّتْهُ عَلَى قُفْرَاتَا، وإن كنا قد قَدَّنا ذلك، فما يجري لنا كبير، ولا يُبْعِث لنا قُفر، فإن كان ذلك عن رؤىك، فكلت من انتبه عن الغفلة، راجع التوبة، وإن كان عن غير رؤىك، فما تملك من استعداد الخَرَبة، ولا استعمل الظلمة. قال معاوية: يا هذا، إنه ينونوا من أمور رعنتنا أمرًا تنبث، وتبحر خفيف، قالت: يا سمع الله، والله ما فرض الله لنا حقًا فيما ضربه على غيرنا وهو عالم الغريب، قال معاوية: هيهات ياهل العراق، يُهَبَّم على بن أبي طالب فإن تطاوا. ثم أمر برد صدقاتهم فيهم وإنفاسها.

 قصة(48) درامية الحججانية مع معاوية رحمه الله تعالى

سلّم بن أبي سهل التميمي عن أبيه قال:
حج معاوية، فسأل عن أمرأة من بني كتابية كانت تُنَزل بالحجج، يقال لها درامية الحججانية، وكانت سوداء كثرة للحم، فأخبرنها سلامتها، فبعث إليها فحيى بها فقال: ما حالي ببنية حام؟ قالت: لست لحاجة إن بنتتي، أنا أمرأة من بني كتابية; قال: صدقت، أتريدين لم بعثت إلى إك؟ قالت: لا يعلم الغيب إلا الله، قال: بعثت إلى الإك لأسألك عظام أحبب علية وأبغضتني، ووالبتي وعادتي؟ قالت: أتغافلني يا أمير المؤمنين؟ قال: لا أغفلك، قالت: أم أذ أبنتي، فإني أحببت علبة على عدها في الرُكْعَة، وقصشيه بالصويرة، وأبغضتني على قلتي من هو أولى منك بالأمر، وطلبني ما ليس لك بحق؛ ووالبتي علية على ما عقد له رسول الله صلى الله عليه وسلم من الولاء، وحُبّه المساكين، وإعطاه لأهل الدين؛ وعادتي على سفك الدماء، ورجوك في القضاء، وحكمك باللهيرة؛ قال: فلتأتني بطنك، وعظام ثيابك، وربجب عوجزتك، قالت: يا هذا،
قصة (49) وفود أم الخير بن الحريش على معاوية (1)

غَيْبِ اللهِ بِعِمروُ العَصَائِيِّ عَنْ الشَعَبِيِّ قَالُ:

كتَبَ معاوية إلى الْأَلْبِي بِالجُمُكَةِ أنْ يُحْلِّي إِلَيْهِ أَمَّ الْخَيْرُ بِنْ الحَرِيْشَ بِنْ صُرَاقِةِ الْبَارِقِي

برَجُلَهَا، وَأَعْمَلَهُ أَنْ يُمْعِجَهُ بِقُولِهَا فيَنْخُرُ الْخَيْرَ خَيْرًا وَيَبْشَرُ شَرًا، فَلما وَرَدَ عَلَيْهِ كَتَبَ إِلَيْهَا

فَأَقْرَأَهَا كَتَابَهُ؛ فَقَالَتْ: أَمَّا أَنَا فِي غَيْرِ زَانِةٍ عِنْ طَائِعَةٍ، وَلا مُتَسَلِّيَةٍ بِكَبْكَبِ، وَلَكَ وَكَانَ لَكَ أَحْبَابُ أَمْرِ المؤْمِنِينَ لَأَمُورٌ تُحْلَقُ فِي صَنَدْرِي، فَلما شَيْبَهَا أَرَادَ مِقَارَبَتِها، قَالَ لَهَا: يَا أَمَّ الْخَيْرِ، إِنَّ أَمْرِ المؤْمِنِينَ كَتَبَ إِلَيْهِ أَنْ يُمْعِجَهُ بِالخَيْرِ خَيْرًا وَيَبْشَرُ شَرًا، فَمَا تَعْمَّلُونَ؟ قَالَ: يَا هَذَا لا يُعْمَنَّكُ بِرَكَ بِي أَنْ أُسْرِكَ بِبَاطِلٍ، وَلَا تَوَسِّعَ مَعْرُفَتِي بِكَ أنْ يَقُولُ فِيْلُ غَيْرِ الْحَقِّ، فَسَارَتُ خَيْرُ مَسْرِ مَثْلًا حَتَّى قُدِّمَتْ عَلَى مَعَاوِيَةَ، فَأَنْذَلَهَا بِعَلَمٍ، ثُمَّ أَخْلَقَهَا عَلَى الْيَوَمِ الْرَابِعِ، وَعَبَّدَهَا جَلِّسَاهَا؛

فَقَالَتْ: الْسَلَامُ عَلَيْكُمْ يا أَمْرِ المؤْمِنِينَ وَرَحْمَةَ اللّهِ وَبِرَكَتِهِ، فَقَالَ لَهَا: يَا لَكُمْ الْسَلَامُ، يَا أَمْرٌ الْخَيْرِ، بِحَقِّ مَا ذَوَّبَتْهُ هذَا الَّذِي؟ فَقَالَتْ: يَا أَمْرِ المؤْمِنِينَ، مَا هُنَّ بَيْنِي السَلَاطَةِ مَنْحَسِبًةٌ لَّا يُحْبَيْ عَلَمَهُ، وَلَكَنْ أَأْلَجَ كِتَابٍ، قَالَ: تَقُلُّ، فَقَلَتْ: كَفِيفٌ حَالَكَ يا خَالِشْ؟ وَكَفِيفٌ كَتَبَ فِي مَسْرِكٍ؟ قَالَ: لَمْ أَرُزِّ يَا أَمْرِ المؤْمِنِينَ فِي خَيْرٍ وَعَافِيَةٍ حَتَّى صَرُّتَ إِلَى، فَأَنَا فِي مَجْلسٍ أَنِّي، عَنْ مِلَكٍ رِقِيقٍ.

(1) ابن عبد ربه، العقد الفريد، ص 343.
قال Metadata: يوجد نبّي يظهر بمثابة يُعتقد أنه من ذُحّت المقال وما تُرْدِي عاقبة: قال: ليس هذا أربننا، وأخبرنا كيف كان كلاهما إذ قُتل عمّار بن ياسر؟ قال: لم أكن رؤيتهم قبل، ولا رؤيتهم بعد، وإنما كانت كلماتاً منْ قَبْلِ عند الصدمة، فإن أحببت أن أحدث لك مقالاً غير ذلك فقبل، قال: لا أشتراك ذلك قلنت معاوية إلى جلسائه، قال: أشكرك، قال: كنا بها وعليها يُرِدُّ ريدياً كتب أنفسه، وهي على جمل أركم، وقد أحيت عليها، وعيبها سُوط متشر صادقة، وهي كالفَّال بهدر في شققتها، قول: يا أبا الناس، اتبعوا وركب، إن رَزَّلَةِ الساعة شيءٌ عظم، إن الله أوضح لكم الحق، وآبائي التليل، وبين السنبل، ورفع العلم، ولم يَدعَم في عمياء مبهمة، ولا سوداء مظلمة، فأتين ترددون مرحكون الله، أفراء عن أمير المؤمنين، أم فَرْأَا من الزحف، أم رغبة عن الإسلام، أم ارتداداً عن الحق: أما سمعت الله جل ثناؤه يقول: وَلَيْثُبُوا كِتَابًا نَّبِيٌّ يَتَعْمَسُهُ، ثم رفع رأسها إلى السماء، وهي تقول: اليمله قد ضعفت الصبر، وضغط النزيف، وانمضت الرغبة، ونبدت يا رب أَزْمَةُ القلوب، فاجتمع اليمله بها على النقى، وألمت القلوب على الهدي، وارتذال الحق إلى أهله، هُلَّؤا، رحِمَانُ الله إلى الإمام العادل، والرضي النقي؛ والصدق الكبير، إنها أُحن بدرية واعتقاد جاهلية، وضَغْفانَ أَحْدَيْهِا. وَثُبْتُ بها وثابَ حين العقل، لِتُشَّيَّرِ ثَأْرَاتُ بَيْنَ يَتَعْمَس، ثم قالت: قلنا أَنَّهم كفَّارًا إنهم لا أيمان لهم لعلهم ينتهون، صبرًا يا معشر المهاجرين والأنصار، قلنا على بصيرة من ركبت وثابات من دينكم، فكأنى يحكم الله، وقد قلتم أَهْلُ الشام، كحمر مستفزة، فرّت من فسُوء، لا تدري أن يمسك بنا من جتاح الأرض، باعوا الأخرى بالدنانير، واتسراوروا الضلالات بالهدى، وباعوا اليمله بالعِمَّى وعما قبل ليصَبْحُ ناَمِين، حين تحلَّ بِهِم التدامة، فطبلون إقالة ولات حين مناص، إنه من ضلّ وَلَّاهُنَّ على الحق وقع في الباطل، لأذ أَنَّ أولياء الله زُكَّارُنا، أَحْيَا أن تُبَطِّرُ الحقَّوق، وتَطْلُ الحدود، وَيِظَهَّرُ الطَّالِمُونُ، وَتَقُوْىَ كُلَّمَةُ الشيطان، فإنْ أَيْن ترددون رحِمك الله؟ عن ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم وصَبِره وأبي سيِبْطِيَهُ؟ خَلْق من طينه، وتُقَرَّع من نعْهُه، وحَصِّه يَسْرَه، وجعله بَابُ دَيْنِهِ، وابن يُبْعْضه الدَوَافِعُ، وها هو ذا مُغْلِّبُ اليَهَامَ، ومَكْسَرُ الأَصْنَام، صَلِّ وَاللَّهُ مَنْ شَكَّرْنَهُ، وأطاع اللَّيْلَة كارهُن، قلَّم يَزَلُّ في ذلك حتى قَتَلْ ميَنَارِي بدر، أَفْتَتِي أَهْلَ أَحْدَ، وَهُزُمُ الأَحزَابَ، وَقَتَلَ اللَّهُ بَيْنَ آخِرِين، فَرَقَ بِهِ جَمِيعُ هُؤُلَاءِ، فِيَلَآٌ من وقائع زَرَعتُ في قلوب نفَّاقًا، ورَمَدًا وشَفَاقًا، وزادت المؤمنين أَيْمَانًا، قد اجتهدت في القول، وبالغت في النصيحة، والله التوفيق، وسلم عليكم ورحمة الله.

الفصول، ما تقولون في عمان بن عفان رحمه الله؟ قالت: وما غضبت أن أقول في عمان، استغفِرَتِه الصادق، وهم به راضعون، وقلتُ لهم: انكُم لم تكنوا إلا أصحاب الذين تثبتُن عليهم؟ قالت: لكن الله يَهْدِي شهداؤه، ما أردت بعثائنا نفاساً، ولكن كان سباياً إلى الخمس، وله لرقع الدِرجة عدتاً. وقال: ما تقولون في طَلَحَة بن عَبِيد الله؟ قالت: ما أقول في طَلَحَة وعلم الله حسباً وحواري، وقد شهد له رسول الله صلى الله عليه وسلم وحواري، وقد كتب أباناً إلى كل مَكْرَمَة في الإسلام، وأن أแชมป بَشَدَّ اللَه يا مَعَاوِيَة فان قريشًا تحزمت أنك أحلماً - أن تُسْنَى بفضل حَلَك، وأن تُعَفَّيني من هذه المسائل وتسألني عما شئت من غيرها؛ قال: نعم ونعمه عين، قد أعفيتك منها، ثم أمر لها بِجَائِزة رفيعة ورُدْها مَكْرَمَة.

قصة (50) وفود أروى بن عبد المطلب على معاوية رحمه الله

العباس بن مَكْرَم قال: حدثني عبد الله بن سليمان المدني وأبو يُكَر الهذلي: أن أُروى بن عبد المطلب دخلت على معاوية، وهي عجيزاً كبيرة، فلما رأى مَعَاوِيَة قال: مرحبًا بك وأهلاً يا عمة، فكيف كنت بعدنا؟ فقالت: يا ابن أخي، لقد كفرت بما تعرفه، وأسألت لأبن عمي الصحبة، وتساميت يُرْفَعَ اسْمك، وأخذت غير حَقَّك، من غير بلاء كان منك، ولا من أبائك، ولا سابقة في الإسلام، بعد أن كفرتم برسول الله صلى الله عليه وسلم، فانحر الله أنك أخذتم ﷺ وأضَرَّ منكم الحسدون، وردَّ الحق إلى أهله، ولو كره المشروكون، وكانت كُلُّها هو الغلابية، ونبياً صلى الله عليه وسلم هو المنصور، قَوْلُتَ علِينا من بعد، تَحْتَجَّون بِفَرِيقِكم من رسول الله صلى الله عليه وسلم، ونحن أقرب إليه منكم وأولى بهذا الأمر، فكَانَ فيكم بمنزلة بني إسرائيل، في أَلْ فْزَعُون، وكان على بن أبي طالب رحمه الله بعد نَتِينا صلى الله عليه وسلم بمنزلة هارون من موسى، فغاباًفنا الجنة وغابتكم النار، فقال لها عمرو بن العاص: كفى أيتها العجوز الضَّلالَة، أُفْسَرْي من قَوْلِك مع ذهب عقلك، إذ لا تجوز شهاذتك وحَدُك! فقالت له: يا بنات يا بنات النابِعَة، تَتَكَرِّمون وأكمّلتم، كأنتمي أَشْهِر امرأة تَغْنَى بمكة وأَخْذَهَا لأجرة أتاك حمصة نفر من قريش، فسَلَّتُ أمك عليهم، فقالت: كله أمانيات، فأنا آشيهم به فأهوقي به، فغُلِبْتُ شبة العباس بِن وَأْتِل، فلْجَتْت به. فقال مروان: كفى أيتها العجوز، واقتضى لما جئت له، فقالت: يا بنات يا بن الزرقاء تتكَّمل، ثم تقت معاوية، فقالت: والله ما جرَّا على هؤلاء غيرك، فإن أمك القائلة في قتل حمزة: (1) ابن عبد ربه، العقد الفريد، ص 346.
الحرب بعد الحرب ذات سُعر
ما كان لي عن عُيْنة من صَبْر
وشكراً وَحشياً على دَهرى
حتى قرَّم أَعظمى في قُبْرٍ، فأجابته بنت عمى، وهي تقول:
خُزِرت في بَذَرٍ وبعد بَذَرٍ
يا بَنَة جَبَارٍ عظيم الكِفر
فقال معاوية: عفا الله عما سلف، يا عَمّه، هات حاتكتك؛ قالت: مالي إليك حاجة;
وخرجت عنه.

قصة (51) أبو الحسن الموصلي كاتب تغلب والسيدة جميلة ابنة ناصر الدولة

حثني أبو محمد يحيى بن محمد بن فهد، قال: رأيت أبا الحسن علي بن عمرو الموصلي
يكتب إلى أبي تغلب بن ناصر الدولة، وكتب في موضوع من الكتاب "أمر حميد".
فقال له: هذا موضوع يصلح أن يكون فيه "أمر جميل". فأنا جميدة، فهي لفظة مستكرحة.
فقال: صدقت، ولكني كتبته، وأنا بالعامة، رفعت إلى أبي تغلب، فيها "أمر جميل". فوصلت
إليه، وهو عند أخته جميلة، وهي عالية عليه، محتوي عليه أمر، لا يطلع شيئاً دونها، ولا يفصل
رأياً إلا عن مشورتها، وكانت الرغبة مما احتاج إلى مطالعتها بما فيها. فأذكرها عليه فأنكرت
علي قولي "جميلة". لأنه اسمها، إنكاراً شديداً، احتجت معه إلى الاعتدال مما كتبته، فما كتبته
بعدها إلى الآن، جميلة في شيء من مكاتباتي إلى أحد، وصار تركها لي طبعاً.

قصة (52) من قَدَم أَمر اللَّه علَى أمر المخلوقين كفاه الله شرهم

حثني أبو الحسن علي بن القاضي أبي طالب محمد بن القاضي أبي جعفر ابن البهلوول،
قال:
طلبت السيدة أم المقتدر، من جدي، كتاب وقف لضيعة كانت أبتاعتها، وكان الكتاب في
ديوان القضاء، فأرادت أخذته لنخرجه، وتبطل الوقت، ولم يعلم جدي بذلك.
فحمله إلى الدار، وقال للقهرمانة: قد أحضرت الكتاب كما رسمت فأيش تريد؟
فقالوا: نريد أن يكون عدنا.
فأمر بالامر، فقال لأم موسى القهرمانة: تقولين للسيدة أعزة الله، هذا والله ما لا طريق إليه
أبداً، أنا خازن المسلمين على ديوان الحكم، فإنا مكتمنون من خزنه كما يجب، وإلا فاصروفوني

(1) اللتوخى، النسوبي. النشوار، ج1، ص193.
(2) اللتوخى، النسوبي. النشوار، ج1، ص242.
وتسلّمو الروان دفعة، فاعلموا به ما شئتم، وخشوا منه ما أردتم، ودعوا ما أردتم، أما أن يفعل شيء منه على يدي، فإن الله لا كان هذا ولي عرضتُه على السيف.
وأشرف والكتاب معه، ووجه إلى طياره، وهو لا يشك في الصرف، فصعد إلى ابن الفرات، فحدثه بالحديث، وهو وزير.
فقال: ألا دافعت عن الجهاب، وعرقتي حتى كنت أتلاقي ذلك، الآن أنت مصروف، ولا حيلة لي مع السيدة في أمرك.
قال: وأنت القهرمانة الرسالة إلى السيدة، فشكته إلى المقدم، فلما كان في يوم الموكب، خاطبه المقتدر شفاً في ذلك، فكشف له الصورة، وقال مثل ذلك القول في الاستعفاء.
فقال له المقتدر: مثلك يا أحمد يقدّد الفضاء، أمي على ما أنت عليه، بارك الله فيك، ولا تخف أن تلم ذلك عرضك عندنا.
قال: فلما عادته السيدة، بلغنا أنه قال لها: الأحكام ما لا طريق إلى اللعب به، وابن البهلول مامون علينا، محبٌّ لدورتانا، وهو شيخ دين، مستجاب الدعوة، ولب كان هذا شيء يجوز، ما منكع إليه.
فسألت السيدة كتابها ابن عبد الحميد عن ذلك، وشرحت له الأمر. فلما سمع ما قاله جدّي، بكي بكاء شديداً، وكان شيخاً صالحاً من شيوخ الكتاب. وقال: الآن علمت أن دولة السيدة وأمير المؤمنين تبقى، وتثبت أركانها، إذ كان فيها مثل هذا الشيخ الصالح الذي يقيم الحق على السيدة، ولا يخف في الله لومة لائم. فأي شيء يساوي شراوكم لوقف؟ وإن أخذتم كتابه فخرتموه، فأمره شائع ذائع، والله فوق كل شيء، وبه عالم.
فقالت السيدة: وكل هذا لا يجوز؟
فقال لها: لا، هذه حيلة من أرباب الوقف على مال الله، وإعلنها أن الشراء لا يصح بتخريج كتاب الوقف، وهذا لا يحل.
فارتغعت المال، وفسخت الشراء، وعادت تشكر جدّي، وانقلب ذلك له أثراً جميلًا عندهم.
فقال لنا جدّي بعد ذلك: من قدّم أمر الله تعالى على أمر المخلوقين كفاه الله شركهم.
قصة (53) أنموذج من إسراف السيدة أم المقتدر

حدثني أبو الحسن البرسي، العامل بالبصرة، أن بعض بني إسحاق الشيرازي المعروف بالخريقي، ممن كان يعامل السيدة أم المقتدر، أسامة هو، وتأسست له أحاديثه: إنها طلبت منه في يوم يقرب من نوروز المعتضد، ألف شقة زهرية خفافاً جداً.

قال: فيعثت في جمعها، والرسول تكذب بالاستعمال، والقيامة يستبطوني، حتى تكتملت، وصرت بها إلى الدار.

فخرجت القهرمانة فقالت: اجلس في الحجرة التي وسعك، واستدع الخياترين، وتدمن أن يقطعوا ذلك أزاراً على قدر حب القطن، ويعوضونها من الخرق، ويخيطونها، لبعل بدل حب القطن ويشرب دهن البنسان، وغيره من الأداح الطبية الفاخرة، وتوقف في المجامير البرام على رؤوس الحيطان ليلة النيروز بدلاً من حب القطن والنفط والمجامير الطين.

فعلت ذلك، ومضت تلك الثياب الكثيرة الأشمان في هذا.

قال: وقال لي: كنت أشتري ثياباً فرقياً، يسمونها ثياباً النبال.

وذلك أنها كانت صفافاً، تقطع على مقدار النعال الحمذوة، وتوزى بالمسك والعنب المذاب، وتمد، ويجعل بين كل طبقتين من الثياب، من ذلك الطيب ما له قرام، ونحن نفعل ببطاقات كثيرة كذا، ونلطف بعضها على بعض، ثم تصغح حولاهها بشيء من العنبر، وثلز حتى تصير كلها قطعة واحدة، وتجعل الطيقة الأولحة ببضاء مصفولة، وتخرز حولاهها بالأبرس، ونجعل لها شركاً، من أبريسم كلها، كل شرك المضروبة من الحجد، وتبس.

قال: وكانت نعال السيدة من هذا المخاط، لا تلبس النعال إلا عشرة أيام، أو حواليها، حتى تخلق، وتهذبت، وتهب جمالة دنانير في ثمنها، وتربمي.

فياخذها الخزات، أو غيرهم، فيستخرجون من ذلك العنبر والمسك فيأخذونه، وهو يساوي جملة دنانير.

قصة (54) عاشق تسبب في قتل حبيبته وزوجها

ومن الأخبار المفردات، والاتفاكات التي سمعناها، وشاهدنا بعضها، ما أخبرني به أبو القاسم الجهني، قال:

__________________________
(1) التنوخي، التشوار، ج1، ص329.
(2) التنوخي، التشوار، ج1، ص338.
كان في جواري بيبي، امرأة جميلة مستورة، ولها ابن عم، بهاء، كان ربي معه.
فعد بها أبوها عنه، إلى رجل غريب، زوجها بها، فكان ابن العم، يلزم بها، طمعاً فيها، وأحس
الزوج بذلك، فكان يتحرز، وكان خبيثاً.
فخرج يوماً في بعض شأنه، وأرادت المرأة أن تتذكر، فزعت ثيابها، وجلست عند البئر
تغسل، وتراكمت خواتيم ذهبي، كانت في يدها، عند ثيابها في الدار، وكانت لطيفة، وفيها عقعق
مخلفي في الدار، فأخذ الخواتيم، وخرج، وهي في منقاره، إلى الباب، على عادة العفاظ، في أخذ
كلما يجدونه وخيله.
وفقاً فخروجه، احتياز ابن عمها، ورأى الخواتيم، فسغّر خلف العقعق، وأخذها منه،
و ليس لها، فقد بالباب، ليراه زوج المرأة، افتقن أنه كان عندها، فيطلقها، فتمكن هو من تزوجها.
فجاء الزوج، فقام ابن العم مسلمًا عليه، واعتد أن يرى الخواتيم في يده، وانصرف،
فعرفها الزوج، ودخل، فرأى أمرته تغسل، فلم يشك أن غسل جلد، وأن ابن العم، قد وصلها.
فقال لاجتراء كانت معهم: إذ كنا في حاجة كنا، فضعت فيها، وغلق الباب، وأضعع
المرأة، ولم يسمها عن شيء، وقتها.
وعادت الاجتراء، فرأت منها مقلعة، فرعت، وخرجت، وصحبت، فبدر الجيران به،
و أهلها، فقضوا عليه، حمل إلى السلطان، فقتل بها، فأخبر ابن العم الحديث، وكان ذلك سبب
توحيه، ولزم العبادة، وترك الدنيا إلى أن مات.

قصة (55) الخليفة القاهر يعذب أم المقتدر ويضطرها لبيع أملاكهاُ(1)

حدثي أبو الحسين بن عباس، قال: حدثي عم أبي محمد، قال: أطفو في أبو الحسين بن أبي عمر
القاضي، وأين حاسب الجوهرية، إلى القاهرة، وكان قد طلب منه شاهدين، ليشهد علي أُم المقتدر،
بتوكيلها، في بيع أملاكها.

قال: فصلنا إلى دار الخلافة، واستؤذن لنا، فدخلنا إلى القاهر، وهو جالس في صحن
كبير، عند باب محدود عليه ستارة دياج، وسبنتة، على كرسي حديد، وفي يده حرية يقلبها،
وخدمه قيام على رأسه.
فسلمنا عليه، ووقفنا.

ودفع إلينا أحد الخدم كتابًا أوله: أقرت شغل، مولاه أمير المؤمنين المتعضد صلوات الله
عليه، أم جعفر المقتدر رحمة الله عليه.
فوقفنا عليه، فإذا هو وكالة ببيع أملاكها، في سائر النواحي.
قال: ورئ الباب.
فاستأذنا الخليفة في خطابها، فقال: أفعل.
فقالاً: أنت عافاك الله ها هنا، حتى نقرأ عليك؟
فقالت: نعم.
فهمت أنك عليكم كتب الشهادة، فأوماً بعضنا إلى بعض، كيف نعمل في رؤيتها؟ وإلا لم يمكن إقامة الشهادة، وهننا الخليفة.
فقال: ما لكم تتأمرون؟
فقالاً: يا أمير المؤمنين، هذه شهادة، نحتاج أن نقيمها عند قاضي من قضاة أمير المؤمنين؟
فقالت: نعم.
قلنا: إنها لا تصح لنا دون أن نرى المرأة بأعيننا، ونعرفها بعينها واسمها، وما تنسب إليها.
فقال: أفعلوا.
قال: فسمعت من وراء الستار، بكاءً، ونعمها، ورفعت الستار.
فقالت لها: أنت شغب، مولاة أمير المؤمنين المعتمد. بالله صلوات الله عليه، أمر جعفر المقتدر رحمة الله عليه.
قال: فبكت ساعة، ثم قالت: نعم.
فقررناها على ما في الكتاب، وأسأل الستار، فتقدمنا عن الشهادة.
فقال القهر بضجر: فأي شيء بقي؟
فقالنا: يعرفنا أمير المؤمنين إنها هي.
قال: نعم، هذه شغب، مولاة أبي المعتمد، أمير المؤمنين، وأم أخى جعفر المقتدر.
يا الله، ونحيب.
فأوقعنا خطوتنا في الكتاب، وانصرفنا.
قال: ولما رأيتها، وجدتها لولا عجوزاً، دقيقة الوجه والمحاسن، سمراء اللون إلى البياض والصرفة، عليها أثر ضر شديد، وثياب غير فاخرة.
فما أتاحتنا يأتيهنا ذلك اليوم، فكرنا في نقل الزمان، وتصرف الحدثان.
وجمنا، فقومنا الشهادة، عند أبي الحسن القاضي.
قصة (56) الخليفة القاهر يغيب أم المقتدر زوجة أبيه، ويصلبها منكسة

وهذه شغب أم المقتدر بالأس، تنغمس ما لم ينتموء أحد، ولعبت من أموال الدنيا بما استفاض خبره.

فلمما قتل المقتدر قبض عليها القاهر، فعدّتها صنوف العذاب حتى قبل إنه علقها بثديها، يطلبها بالأموال. وحتى علقها منكسة، فالت، فكان بولها يجري على وجهها.

فقالت له: يا هذا، لو كانت معنا أموال، ما جرى في أمرنا من الخلل، ما يؤدي إلى جلوسك، حتى تعاقدني بهذه العقوبة، وأنا أملك في كتاب الله عز وجل، وأنا خلصتك من أبي في الدفعة الأولى، حتى أجلست هذا المجلس.

قصة (57) امرأة تدعى أن زوجها كان يعشق السراويلات

حتثنى أبو علي الحسن بن محمد الأندلسي الكاتب، قال: مات عندنا بالأنبار، فلان، وأسمها، وكان عظيم النعمة، وافر المرموقة، كثير الثواب، وكان لكثرتها، يحصل كل من منها في عدة صناديق، وكانت دراسية الدبيبة مفردة، والدرسية الدنابي مفردة، وكذلك القمص، والسراويلات، والجباب، والطبالس، والديام، أو، إذاع الرسالت الجامعية.

قال: وكان له بعوم ورثوته، ولم يعد قد تزوجها.

فلمما مات، أخرجت جميع ألاته، وقماشه، وثيابه، إلا البستر، من الدار، فخبتاه.

وذهب عليها صناديق السراويلات، فلم تخرجها، وها بنو العم، فغتموا على الخزائن.

فلمما انقضت المصيبة، فتحوها، فوجدوها أخلي من كؤد أم موسى، فخاصموها إلى قاضي البلد، فلم تنقطع الخصومة.

فدخلوا الحضرة، وتظلاموا منها فأشخصوا، وحملت إلى القاضي أبي جعفر بن البهول، ووقع إليه بالنظر فيما بينهم على طريق المظلم.

فحضروا عليه، وخذ بناتهم عن دعواهم، وهي منكرة جميعها.

فقالوا له: أبيه القاضي، فلان أنت أعرف الناس مروحته وثبابه، وما كنت تشاهد له، وكله كان في يدها له.

وساعة مات ختمنا خزائنها، وهي كانت في الدار، ولما فتحناها لم نجد له فيها إلا عدة صناديق فيها سراويلات، وقطعاً يسرية من ثيابه.

فألين مضي هذا؟ ومن أخذه؟ وما السبب في عظم السراويلات وقفة الثياب؟

---

(1) التنوخي، النشوار، ج2، ص76.
(2) التنوخي، النشوار، ج2، ص167.
قال: فأقبلت الجارية محتمة، كأنها قد أعبدت الجواب، فقالت: أعرّا الله القاضي، أما سمعت ما حكاه الجاحظ من أن رجلاً كان يحقق الهوازين، فجمع منها مائتي هاون، هذا كان يحقق السراويلات.
قال: فضحك القاضي أبو جعفر، وانقض المجلس عن غير شيء، فما انتصفوا منها بعد ذلك.

قصة رقم (58) عائدة الجهنية تنظم الشعر الحسن

أنشدتي عائدة بنت محمد الجهنية لنفسها، وهذه امرأة فاضلة، كاتبة، كانت زوجة عم الوزير ابن شيرزاد، خليفته على كتابة بحكم وسيكتكين في الديوان الذي كان لأبي جعفر، وجاءه ابن زريق، فخفى، ثم دخل بحيلة على ما أخبرنا.
قال، فأنشدته هذه الأبيات، فلما ولي الوزارة، نفعه، واستخدمه.
فالما قضى على الحسن بن علي المحمود، وحسين ابنه في دار أبي (رضي الله عنه)، وكان هذا المرأة بها، وهي إن ذلك جرحاً، فكانت تنشدنا الأشعار، وتشندا نفسها كل شيء جيد.
فاخبرتني أنها قالت تهجو أنا جعفر محمد بن القاسم الكرخ، لما ولي الوزارة، وتعيبه بقصر قامته.

شاروني الكرخى لما دنا ال
نيروز والسنين لضافكة
من خبر ما كلف له مالكه
مشتوري ضائعة هالك
أهدي له نفسك حتى إذا

أنشدتي ذلك في سنة أثنتين وأربعين وتثمانية.

الدوباركه: كلمة أعمية، وهي اسم للعب على قدر الصبيان يخلونها أهل بغداد في سطوحهم ليالي النيروز المعتضدي، ويلعبون بها، ويخرجونها في زي حسن، من فاخر الثياب واللحي، ويبدلونها كما يفعل بالعرائس، وتحقيق بين يديها الطبلة والمزمار، وتشن الثيران.
فجهت هذه المرأة بما تحقق عندن أنها صادقة فيه، لأنه يلقي بكلام النساء.
وقد كانت تنشدني لنفسها أفعال من هذا الكلام، وكتبت ذلك عنها، وهو ثابت في مواضع من كتبى، وما تعلق بحفظي لها غير هذه الأبيات.

(1)تنوعي، النشوار، ج2، ص222.
قصة (59) اللص والعجوز الجلدة أم الصيرفي

حدثي أبو جعفر محمد بن الفضل بن حمید الصميري، مولودي، قال: كان في بلدنا عجوز صالحة، كثيرة الصيام والقيام، وكان لها ابن صيرفي منهماك على الشرب واللعب. وكان يتشاغل بقدائه أكثر نهاره، ثم يعود عشياً إلى منزله، فيخبئ كيسه عند والدته، ويمضي في موضع يشرب فيها.

فعين بعض اللصوص على كيسه ليأخذوه، وتبعه في بعض العشايا، ودخل وراءه إلى الدار، وهو لا يعلم، فاختفي فيها، وسلم هو كيسه إلى أمه وخرج، وقبلت وحدها في الدار، وكان لها في دارها، بيت مؤزر بالساج إلى أكثر حيطانه، عليه باب جديد، تجعل قماشها وكلما تملكه فيه، والكيس، فنحت الكيس فيه تلك الليلة خلف الباب، وجلست فأقطرت بين يديه.

فقال اللص: هذه الساعة نفطر، وتكمل، وتنام، وانزل فأفتح الباب، وأخذ الكيس والقماش.

قال: فلما أقطرت، قاست إلى الصلاة، فظن اللص أنها تصنع الاعتقامة وتنام.

فانتظرها، فيدت الصلاة، وتطالب عليه الأمر، ومضى نصف الليل.

وتجبر اللص مما نزل به، وخفى أن يدركه الصباح، ولا ينظر بشيء. فطاف في الدار، فوجد إزارا جداً، وطلب جمر، فظفر به، ووقع في يده شيء. كان له دخنة طيبة، فلبس الإزار، وأشعل ذلك البنخور، وأقفل ينزل على الدرجة، ويسى بصوت غليظ وتعدم أن يجعله جهراً، لنقطع العجوز.

وأالت معتزلية جلدة، فقطاعت لحركته، وانه لص، فلم تره أنها فطنت.

وقال: من هذا؟ بارتعاد وفعظ شديد.

فقال لها: أنا رسول الله رب العالمين، أرسلني إلى ابنك هذا الفاسق، لأعظه، وأعمعله بما يمنعه من أركوب المحاصي.

 فأظهرت أنها قد ضغعت، وغشي عليها من الجزء، وأقفلت تقول: يا نوريس، سأكتب، يا الله، إلا رفقتها، فإنه وحيد.

فقال اللص: ما أرسلت لقتله.

فقالت: فما تريد؟ وما أرسلت؟

قال: لأخذ كيسه، أولم لقبه بذلك، فإذا تاب رددته إليه.

فقالت: شألك يا جبريل، وما أمرت.

فقال: تتحي من باب البيت.

(1) النموذجي، النشwar، ج2، ص339.
ففتحت، وفتح هو الباب، ودخل ليأخذ الكيس والقماش، وانتغل في تكويره.
فمشت العجوز قليلاً قليلاً، وجدت الباب بحمية، فردته، وجعلت الحلقة في الرزة، وجاءت بقل، ققلته.

نظر اللص إلى الموت بعينه، ورام حيلة في داخل البيت، من نقب أو منفذ، فلم يجدها.
قال لها: افتحي الباب لأخرج، فقد اتعثر ابنك.
قالت: يا جبريل أخاف أن أفتح الباب فتذهب عيني من ملاحظتي لنورك.
قال: إنني أطفأ نوري حتى لا تذهب عينك.
قالت: يا جبريل، إنك رسول رب العالمين، لا تجوز أن تخرج من السقف أو تخرق الحائط بريئة من جناحك، وتخرج، فلا تكفيني أنا التغريب ببصري.
فأحبس اللص بأنها جلدة، فأخذ يرفق بها، ويبارك بها، ويبدل التوبة.
قالت له: دع ذا عنك، لا سبيل إلى الخروج إلا بالنهاير، قامت تصلي، وهو يدعي، ويسألها، وهي لا تجيبه، حتى طالت الشمس، وجدت ابنها، فعرف خبرها، وحدثت بالحديث، فمضى وأحضر صاحب الشرطة، وفتح الباب، وقبض على اللص.

قصة (60) الصوفية المتولك، وجمال فانوزج حار
حدثتي محمد بن هلال بن عبد الله، قال: حدثنا الفاضلي أحمد بن سيار، قال: حدثني رجل من الصوفية، قال:

فانتسب شخصاً من الصوفية، أنا وجماعة في سفر، فحدثي حديث التوكل، والأركاء، وضعف النفس فيما، وقوتها.
قال ذلك الشيخ: عليّ، وعليّ، لا ذنت ما تكون، أو ببعت إلى بجامة فالوزج حار، ولا آكل إلا بعد أن يحلف عليّ.
قال: وكنا نمشي في الصحراء.
قالت له الجماعة: الآخر جاهل.
ومستمبا، وانتهينا إلى قرية، ومستمبا عليه يومان، وليثان، لم يطعم فهن شئًا.
ففدرقة الجماعة، غيري، فإنه طرح نفسه في مسجد القرية، تستسلمًا للموت ضعفاً.
فأقدم عليه.
فلما كان في ليلة اليوم الرابع، وقد انصرف الليل، وكاد أن يتلف الشيخ، فإذا بباب المسجد قد فتح، وإذا جارية سوداء، ومعها طبق مغطي.

(1) النتوخوي، النشوار، ج3، ص76.
فلمما رأتنا، قالت: أنتم غرباء، أو من أهل القرية؟
فقلنا: غرباء.
فكشفت الطبق، فإذا بجامع فالوذج، يفور لحرارته.
فقالت: كلوا، قالت له: كل، فقال: لا أفعل.
فقالت له: والله لا تأكل، لأبر قسمه، فقال: لا أفعل.
قال: فشالت الجارية يدها، فصفعته صفعة عظيمة، وقالت: والله، لن تأكل لأسفعك.
هكذا، إلى أن تأكل.
قال: فقال: كل معي.
فأكلنا، حتى نظفنا الجام، وجاءت الجارية نمضي.
فقلنا لها: مكانك، أخبرينا بخبرك، وخبر هذا الجام.
قالت، إذا، أن جارية رجل هو رئيس هذه القرية، وهو رجل آخر، حيدر، فطلب منا من ساعته، فالوذج، فقدنا نصلحه، وهو شئان وبرد، فإذا أن تخرج الحوائج من البيت، وتتشعل النار، ويعقد للفالوذج، تأخر عنه.
فطلبه، قلنا: نعم، وطلبه ثانيا، ولم نكن فرغنا منه، وطلبه ثالثا، فجرد وحلف بالطلاق، لا يأكله، ولا أحد من داره، ولا أحد من أهل القرية، ولا يأكله إلا رجل غريب.
فجعلنا في الجام، وخرجنا نطلب في المسجد رجلا غريبا، فلم نجد، إلى أن انتهينا إلى هذا المسجد، فوجدناكما، ولو لم يأكله هذا الشيخ، لقتلته ضرباً، إلى أن يأكل، لن أطلق سنى من زوجها.
قال: فقال الشيخ: كيف ترى، إذا أراد أن يرزق؟(1)

قصة (61) أبو المغيرة الشاعر يروي خبرًا مفقفاً(2)

حدثنا أبو المغيرة، محمد بن يعقوب بن يوسف، الشاعر، البغدادي، الأصلي، قال: حدثني
أبو موسى عيسى بن عبد الله البغدادي، قال: حدثني صديق لي، قال:
كنت قائداً للرملة وحدي، فانتهى إليها، وقد مات الناس، ليلاً، فعادت إلى المقبرة،
ودخلت بعض القبور التي على القبر، وطرحت ذرة كانت معي، فاتكأت عليها، وعلقت سيفي
أريد النوم، لأخذ إلى البلد نهاراً، فاستوحشت من الموضوع، وأرتقت.

(1) وقد وردت أيضاً في الفرج، ج3، ص36.
(2) التبوخي، النشأة، ج3، ص236.
فما طال آرقي، أحسست بحركة، فقلت: لصوص يجتازون، فإن قصدت لهم، لم آمث،
ولعلهم أن يكونوا جماعة، فلا أطيقهم، فانخطرات مكاني، ولم أتحرك، وأخرجت رأسي من بعض
أبواب القبة، على التحوف شديد، فرأيت دابة كالدب، بمشي، فأخفت نفسى، فإنه يد قصد قبّة
حيالي، قريبة مني، فما زال ينتقل طولًا، ويدور حولها، ويتقلت، ساعة، ثم دخلها.
فانتسب، وأنكرت فعله، وطالت نفسى إلى علم ما هو عليه.
فدخل القبة، وخرج غير متثبت، ثم دخل وخرج، بسرعة، دفعات، ثم دخل، وعيني
عليه، فضرب بيدى إلى قبر في القبة لحفر.
فقلت: نباه، لا شك فيه.
وتأملته حفر بيدى، فعلمت أن فيها آلة حديد يحرف بها.
فتركته إلى أن تطمأن، وأطل، وحفر شباً كثيرًا، ثم أخذت سيفي ودرقي، ومشيت على
أطراف آناملي، حتى دخلت القبة، أحس بي، وقام إلى بقامة إنسان، وأومأ إلى ليطلموني بكفة،
فضربت يده بالسيف، فأنتشبها، وطارت.
فصاح: أوه، قلنتي، لعنك الله.
وعدا من بين يدي، وعدت وراءها، وكانت ليلة مظلمة، حتى دخل البلد، وأنا وراءه،
ومن بلغ الحق، إلا أنه بات ينعي بصري عليه، إلى أن احتار في طى مثيرًا، وأنا في خلال ذلك
أعلم الطريق، لنئاً أصل، حتى إذا جاء إلى باب دار، فدفعه، ودخل، وغلقه، وأنا أتبع.
فعلمت الباب، ورجعت أفقو الأثر، والعلمات التي علمتها في طريقي، حتى انتهيت إلى
القّبة التي كان فيها النبى، فطلبت الكف، ووجدتها، وأخرجتها إلى القمر، فيذهب، انتزعت
الكف المقطوع من الآلة الحديد، فإنه كف كالكافث، وقد أدخل أصابعه في الأصابع، وإذا هو
كلف فيها نش حناء، وخاتمان ذهب.
فهين علمت أنها امرأة، اغتتمتها، وتأملت الكف، إذا أحسن كف في الدنيا، نعومة،
وترودية، وسمّا، وملحة، فمسحت الدم منها، وتمت في القبة التي كنت فيها.
ودخلت البلد، من غد، أطلب العلامات، حتى انتهيت إلى الباب.
فسألت: لمن الدار؟
فقالوا: لفاضي البلد.
واجتماع عليها خلق، وخرج منها رجل شيخ، وصل إلى الغداة بالناس، وجلس في
المحراب.
فذكرت عجبي من الأمر، وقلت لبعض الحاضرين: لم يعرف هذا الفاضي؟
فقال: فلان.
فأطلت الحديث في معانا، حتى عرفت أنّه ابنة عائشة، وزوجة، فلم أشك، أنّ النبائة
ابنته.
فتقدمت إليه، وقالت له: بيني وبين القاضي- أعزه الله- حديث، لا يصح إلا على حلوة.
فقام إلى داخل المسجد، وخلا بي، وقال: قل.
فأخبرت إليه الكفّ، وقالت: أعرف هذه؟
فتأملها طويلًا، وقال: أ بما الكفّ فلا، وما الخواتيم، فخواتيم ابنة لي، عائشة، فما الخبر؟
فقضست عليه الحديث بأسره.
فقال: قم معي، وأدخلني داره، وغلق الباب، واستدعى طبقاً، وطعاماً، واستدعى امرأته.
فقال له الخادم: تقول لك: كيف اخرج ومعك رجل غريب؟
فقال: لا بد من خروجه تأكل معنا، فهنا من لا أحسنه.
فابت عليه، فحرف بالطالب إلى ابنتك، فخرجت باكية، فجلس معا.
فقال لها: أخرجي ابنتك.
فقالت: يا هذا، قد جنتني، فما الذي حل بك؟ فقد فضحتي، وأنا امرأة كبيرة، فكيف تهتك
صبية عائشة؟
فحرف بالطالب إلى ابنتها، فخرجت.
فقال: كلي معنا.
فرأيت صبيّة كالدينار المنقوش، ما مَقلت مقلت مِثلها، ولا أحسن منها، إلا أنّ لونها
أصغر جداً، وهي مريضة، فعلمت أنّ الذي لحق يدها، قد فعل بها ذلك.
فألقت تأكل بيمينها، وشمالها مخبوءة.
فقال: اخرجي اليسرى.
فقالت: قد اخرج فيها خراج عظيم، وهى مشدودة.
فحرف لاتخزنا.
فقالت امرأته: يا رجل، استر على نفسك، وعلى ابنتك، فو الله- وحلفت بأيمان كثيرة-
ما أطلعت لهذه الصبيّة على سوء فعل، إلا البارحة، فإنها جامثة، بعد نصف الليل، فأيقظتني،
وقالت: يا أمي، الحقيني، ولا تلفت.
فقالت لها ما لاك؟
فقالت: قد قطعت يدي، وهذَا إنزفت الدم، والساعة أموت، فعالجني، وأخرجت يدها
مقطومة.
فطلت، فقالت: لا تفضحي ونسك بالصباح، عند أبي، ولجيران، وعالجني.
فقالت: لا أدري بما أعادتك.
قالت: خذي زينتي، فاغليه، وأكوني به يدي.
ففعلت ذلك، وكويتها، وشذحتها، وقلت: الآن حدثني ما دهان، فامتعت.
قلت: والله، لن تحدثني، لأكشوف أمري إلى أبيك.
قالت: إنه وقع في نفسي منذ ستين، أن أنشب القبر، فتقدمت إلى هذه الجارية، فاشترت
لي جلد ماعز غير ملحوق الشعر، واستعملت لي كفتين من حديد، وكنت إذا نمت، أفتح الباب،
ومرها أن تنبم في الدهليز، ولا تغلق الباب، والبس الجلد، والكفتين الحديد، وامشي على أربع، فلا
يشكن من لعنه يراني من سطح أو غيره، أي كتب.
ثم اخرج إلى المقبرة، وقد عرفت من النهر، خير من مموت من الجلة، وآين قد دفن
فأقصد قبره، فأنشبه، ومخذب الكف، فأخذه في الجلد، وماشي مشتي، وأعوذ بالله، وسأل من القبر،
فأخذ، وأغلقه، ووافق تلك الآلة، واعدها إلى الجارية، مع ما قد أخذته، فتخينة في بيت لا
تعلمون به، وقد اجتمع ثمانية كفن، أو ما يقاربها، لا أري ما أصنع بها، إلا أنى كنت أجد لذلك
الخروج، والفعل، لذة لا سبب لها، أكثر من أن يصابي بهذه المحلة.
فلم كان الليلة، تسريع علي رجل، حسن بي، وكان كأنه جالس، أو حارس لذلك القبر،
فحيين بدأت أنشبه، جاءني، فقمت لأضرب وجهه بفي جديد، فأخضعها بها عني، وأعد، وأنجو،
فداخلي بالسيف، فضريني، فنالني الضربة بممالي، فأبان كفتي.
فقلت ليا: أظهرى أنه قد خرجت على كفك خراج، وتعالى، فإن الذي بك من صفار،
يصدق قولك، حتى إذا مضت أيام، قلت لأبيك، لا بد أن تقطع يدك، وإلا خبث جميع بدنك،
فقلت، فيذن لنا في قطعها، فنوه أننا قطعناهام جديد، وينتشر أمرك.
عملنا على هذا، بعد أن استبتها، فتايت، وحلفت بالله، لا عادت. وكتبت على بيع هذه
الجارية، وأرعي فيما بعد مبيت هذه الصبية، وأربتها جانبي، ففضحتني أنت، وفضحت نفسك.
قال للها القاضي: ما تقولين؟
قلت: صدقت أمي، ووالدنا، لعدت أبداً، وتبادت.
قال للها القاضي: هذا صاحبك الذي قطع يدك، فكادت أن تثلف جزعاً.
ثم قال: يا فتي، من أي نت؟
قلت: رجل من أهل العراق.
قال: فغم وردت؟
قلت: أطلب الرزق.
قال: قد جاءك حالاً، هنيئاً، نحن قوم مباضر، والله علينا ستر، فلا تهينك، والله، ما
علمت هذا من حال ابنتي، فهل لك أن تتزوجها، وأغليك بمالي عن الناس، ونكون معنا، وفي
دارنا؟
قلت: نعم رفع الطعام، وخرجنا إلى المسجد والناس مجتمعون، ينتظرون. فخطب، وزوجني، وقام رجع، فأدخلاني إلى الدار.
ووقع حب الصبية في نفسه، حتى كدت أموت عشاقاً لها، وافترعتها، ونقمت معي شهرًا، وهي نافرة عنى، وأنا أنسها، وأتكي حسرة على يدها، وأعتذر إليها، وهي تظهر قبول عبد، وأن الذي بها غم على يدها.
إلى أن نمت ليلة، وانبعثت في نومي، على رصي، فأحسبت نقل على صدري شديد، فانتهت جزعاً، فإذا بها باركة على صدري، وركبتها على يدي، مستوطقة، وفي يدها موسى، وقد أهوى للتبجي. فاضطررت ورمت الخراص فتعرَّ، وخشي أن تبابري، فسكنت.
قلت لها: كلماك، واعملي ما شئت، ما الذي يدمعك إلى هذا؟
قلت: أظن أنك قطعت يدي، وتهنكتي، وتروجت بي، ونجز سالماً؟ والله لا كان هذا.
قلت: الذبح قد فاك، ولكني تمكنن من جراحات توقعيناها بي، لا تأمنين أن أُسكت فاذبحك، أو أهرب واكتف هذا عليك، ثم أرسلك إلى السلطان، فيكشف جناينك الأولى، والثانية، ويبترأ منك أهلك، وتفتنين.
قلت: أفعل ما شئت، فلا يد من ذبحك، وقد استوحش كل منا من صاحبه.
فظرت، وإذا الخلاص منها يبعد عليّ، ولا أمن أن تجرح موضعًا من بدني، فيكون فيه نلقي، فقلت: الحيلة أعمال فيها.
فقلت: أو غير هذا.
فقال: فقل.
قلت: أطلقت الساعة، وتفرجين عنى، وأخرج من البلد، فلا تريني، ولا أراك أبداً، ولا ينكشف لك حديث في بلدك، ولا فضيحة، وتتزوجين من شئت، فقد شاع عند الناس، أنّ يدك قطعت لخرج خثبها، وتربحين الستر.
قالت: تفلح أنك لا تقيم في البلد، ولا تفضحي فيه أبداً؟
قلت: فخلفت بالألباب الغطاسة.
فقالت: فاستع، خوفًا من أقطع عليها، حتى رمت الموسي بحيث لا أدرى، وعادت، فأخذت تظهر بان الذي فعلته، مزاج، وتلاعيين.
قلت: إنك عني، فقد حرمت عليّ، ولا تحل لي ملستك، وفي غ، أخرج عنك.
قلت: الآن علمت صدقك، وواحة، لو لم تفعل، لما نجوت من يدي.
وقامت، ففجأتي بصرة، وقالت: هذه ماتة دينار، خذها نفسًا، واكتب رقة بطلاقي، ولا تفضحي، واخرج.
فخررت في سحرة ذلك اليوم، بعد أن كتبت إلى أبيها، أنني قد طلقتها، وأني خرجت حياء مني.
ولم ألق بهم إلى الآن.

قصة (62) لا جزاك الله من طارق خيراً(1)

حدثنا أبو الحسن محمد بن أحمد بن أم المكتاب البغدادي، المعروف والده بابي الليث الهمذاني، قال: حدثني محمد بن بديع العقيلبي، أحد قوادهم ووجوههم في الحيّ، وكان ورد إلى معرّة الدولة، فأتاكم وأحسن إليه، قال:
رأيت رجلاً من بني عقيل، وفي ظهوره كله شرط كشرطات الحجام، إلا أنها أكبر، فسألته عن ذلك.

فقال: إنني كنت هويت لبنة عمٍّ لي، فقالوا: لا نزوجك إلا أن تجعل في الصداقة الشبكة، فرس سابقة كانت لبعض بني بكر بن كلاب، فتزوجتها على ذلك.
خرجت في أن أحتال في سلب الفرس من صاحبهما، لاتمكن من الدخول بابنة عمي. فأتثبت الحي الذي فيه الفرس، في صورة حدار، وما زالت أدخلها، ومرّة أحياء البلاد الذي هي فيه كتاب سائل، إلى أن عرفت مبيت الفرس من الخبراء.
واحتلت حتى دخلت البيت من خلفه، وحصلت خلف النضد، تحت عين كانوا نفروشة ليعزل.
فلما جاء الليل، واتي صاحب الخبراء، وقد زاولته له المرأة عشاء، وجلس بأكلا، وقد استحكمت الظلمة، ولا مصباح لهم، وكنت ساجبة، فأخرجت يدي، وهويت إلى القصعة، وأكلت معهم.

فأحس الرجل بيدي، فأنكرها، فقبض عليها، فقبضت على يد المرأة، فقالت له المرأة، ما لك ودي؟ فظن أن منه قابض على يد إمراتيه، فخلل يدي، فخليت يد المرأة.
وأخذنا، فأنكرت المرأة بيدي، فقبضت عليها، فقبضت يد الرجل، فقال لها: ما لك؟ فخلت عن يدي، فخليت عن يده.
وانتقمت الطعام، واستلقي الرجل نائماً، فلما استنام، وأنا مراصدهم، والفرس مقيّدة في جانب البيت، فأتتني، والمفتاح تحت رأس المرأة.
ووفي عبد له أسود، فبذ حساسة، فانتهبت المرأة، فقمت إليه، وتركت المفتاح في مكانه، وخرجت من الخبراء إلى ظاهر البيت، ورمتها بعيني، فإذا هو قد علاها.

(1) (التنوخي، النشوار، ج3، ص261)
فلمحا حَسَلَ فيها شأنهما، دِبَّتْ، وأخذت المفتاح، وفتحت القفل، وكان معى لجام شعر،
فأوجرت اله فرس، وركبتها، وخلقت عليها من الخيام. قفمت المرأة من تحت العيد، ودخلت الخيام، وصاحبت.
فذر الحي، وأحستا بي، وركبو في طلبي، وأنا أكرّق الفرس، وخلقي خلق منهم.
فأصبحت، وليس ورائي إلا فارس واحد يرحم، فلحنى وقد طلعت الشمس، واخذ بطقتي، فلا تصل إلينا طعانته، ولا فرسي تنبغى إلى حيث لا يمسني من الرمح شيء، حتى وافيتنا إلى نهر عظيم فسحت بالنهر فاشح الفارس بالفرس، التي تحته فقصرت ولم تلب فلما رأيته عاجزاً عن العبور وقفت لأراح الفرس وأستريح فصاح بي فقوّلت عليه بوجهي فقال يا هذا أنا صاحب الفرس الذي تحته وهذا أبحثها فإلا ملكتها فلا تخدع عنها فإنها تساوي عشر دينات، وعشر دينات وعشر دينات وما طلبت عليها شيئاً قد إلا لحقته ولا طلبني عليها أحد إلا فاته، وإنما سميّت الشبكة، لأنها لم ترد قبل شياً إلا أدركتها، فكانت كالشيكة في صيد، فقلت له:
أذ نصحتي فوّالله لأنصحنك كان من صورتي البارحة كيت ركبت، وقصصت عليه قصة أمرته والعبد وحَوْنَت في الفرس فاطرق ثم رفع رأسه وقال: ما الله إلا جزاء الله من طرق خيراً، طلقت زوجتتي وأخذت قعدتي وقتلت عدي.(1)

قصة (63) تاجر بغدادي آلّى على نفسه أن يغسل يده أربعين مرة إذا أكل
ديكبريكيه (2)

أخبرنا أبو بكر محمد بن عبد الباقٍ البرّاز عن أبي القاسم عليّ بن المحسن النحوسي، على أبيه، قال: حديثي أبو الفرج أحمد بن عثمان بن أبيه، القفيّ المعروف بابن النروسي، قال:
كانت جالساً بحضرة أبي، وأنا حديث، وعندها جماعة، حديثي حديث وصول النعم إلى الناس بالآلوان الطريفة، وكان ممّن حضر، صديق لأبي، فسعته يبحثه أبي، قال: حضرت عند صديق لي من التجار، كان يحزن بمنامه أن يشترى ألف دينار، في دعوة، وكان حسن المروة.
فقدم مانته، وعليها ديكبريكة، فلم يأكل منها، فامتنعنا.
فقال: كلوه، فأتيه أتّذٍ بأكّل هذا اللون.
فقلنا: نساعده على تركه.

(1) وقد وردت أيضاً في الفرج، ج، ص 378.
(2) النحوسي، النشوار، ج، ص 177.
فقال: بل أساعدكم على الأكل، واحتمل الأذى، فأكل، فلما أراد غسل يده أطلًا، ففدت عليه،
أنه قد غسلها أربعين مرة.
فقال: يا هذا، وسوست؟
فقال: هذه الأذية التي فرقت منها.
فقال: وما سببها؟ فامتنع من ذكر السبب.
فألحت عليه، فقال: مات أبي، وسئي عشرون سنة، وخلف لي نعمة صغيرة، ورأس
مال، ومنتعاً في دكانيه، وكان خلقانًا في الكرخ.
فقال لي لما حضرته الوفاة: يا بني إنه لا وارث لي غيرك، ولا دين عليك، ولا مظلمة،
فإذا أنا مت، فأحسن جهاري، وصديق عني بكذا وكذا، وأخرج عني حجة بكذا وكذا، وبارك الله
لك في الباقية، ولكن احفظ وصتي.
فقال: قل.
فقال: لا تصرف في ملك، فتحتاج إلى ما في أدي الفاس ولا تجد، وعلم أن القليل مع الإصلاح
كثير، والكثير مع الفساد قليل، فقلت السوق، وكمن أول من يدخلها، وأخر من يخرج منها، وإن
استطعت أن تدخلها سحراً ليل، فأقبل، فذكرتني بذلك فنادى، تكشفت تلك الأيام.
ومات، وأتغذت وصتي، وعملت بما أمر به، وكانت أدخل السوق سحراً، وأخرج منها
عشاء، فلا أعد أن يجيئني من يطلب كفنا، فلا يجد أحداً قد فتح غيري، فأحكم عليه، ومن بيع
سيئاً، والسوق لم تقم، وأبيع به، وأشياء من الفوائد.
ومضى على لزومي السوق سنة وكسرين، فصار لي بذلك جاء عند أهلها، وعرفوا
استقامتي، فأكرموني.
فبينا أنا جالس يوماً، ولم يكمل السوق، إذا بامرأة راكية حماراً مصرية، وعلى كفته
منديل دقيق، وحجام، وهي بزي الفهرمانة.
فبلغت آخر السوق ثم رجعت، فنزلت عندي، فقملت إليها، وأكرمتها وقلت: ما تأمرين؟
وتأميتها فإذا بامرأة لم أر قبلها، ولا بعدها، إلى الآن، أحسن منها، في كل شيء.
فقالت: أوري كذا ثوباً، طلبتها. فسمعت نغمة، ورأيت شكلاً جميل، وعشقتهما في الحال،
أشد العشق.
فقالت: أصبري حتى بخرج الناس، فأخذ لك ذلك، فليس عندي إلا القليل مما يصلح لك.
فأخرجت الذي عنتي، وجعلت تحادشي، والسفاكين في فؤادي من عشقيا. وكشفت عن
أمام، رأيتها كالطاع، ووجه كدارة القمر.
فقصت لنها يزيد علي الأمر، فأخذت لها من السوق ما أرادت، وكان شنه مع ما لي نحو
خمساتة دينار، فأخرجته، وركبت، ولم تعطني شيئاً.
وذهب عني، لما تداخلت من حبها، أن أعتها من أخذ المتاع إلا بأداء المال، أو أن

أستدل على منزلها، ومن دار من هي؟
فحين غابت عنى، وقع لي أنها محتالة، وأن ذلك سبب فقري، فتحيرت في أمري،
وقامت قيامتي، وكنت خيري لنلاً اقتشم بما للناس علي.
وعلمت على بيع ما في يدي من المتاع، وإضافته إلى ما عندي من الدراهم، ودفع أموال
الناس إليهم، ولزوم البيت، والاقتصاد على غلة العقار الذي ورثه عن أبي، ووطنيت نفسى على
المحتنة، وأخذت أشعر في ذلك سنة أسبوع.
وإذا هي قَدَّّرَت عني، فحين رأيتها، أنسيت جميع ما جرى علي، وقامت إليها.
فقالت: يا فتي، تأخرنا عنك، نشعل عرض لنا، وما شككنا في أنك لم تشلِّنا أحتنا
عليك.
فقالت: قد رفع الله قدرك عن هذا.
فقالت: هات اللحظة والطيار، فأحضرته،
فأخذت دنانير علقها، فوق ثني المال بأسه، وأخرجت ذكرية بأشياء أخرى.
فأخففت إلى التجار أم والهم، وطلبت منهم ما أرادوا وحصائل فلما في الوسط راحا جيداً.
وأحضر التجار الشيَّاب، فاقتت رشته في نفسي، ثم بعتها عليها يريح عظيم.
و أنا في خلال ذلك أنظر إليها نظر تألف من حبها، وهي تنظر إلي، نظر من قد فطن
لذلك، ولم تذكره، فهمت بخطابها، ولم أقدم.
فاحتمت المتاع، وكان ثمنه ألف دينار، أخذته، وركبت، ولم أسألها عن موضوعها.
فلمَّا غابت عنى، قلت: هذا الآن، هو الحيلة المحكمة، أعطتني خمسة آلاف درهم،
واخذت ألف دينار، وليس إلا بيع عقاري الآن، والحصول على الفطر المدعى، ثم سمحت نفسى
بريويتها مع الفطر.
وتطلبت غيبتها نحو شهر، وألم عيال التجار في المطالبة، فعرضت عقاري على البيع،
ولازمني بعض التجار، فوزنَّت جميع ما أملكه، ورقاً وعيناً.
فإن كذلك، إذ نزلت عندي، فسأل عنى جميع ما كنت فيه بريويتها، فاستدعت الطيار.
واللحظة، فوزنت المال، ورمت إلى ذكرية يزيد ما فيها على ألفي دينار بكثير.
فتشكلت بإحضار التجار، ودفع أموالهم، وأخذ المتاع منهم، وطال الحديث بيننا، فقالت:
يا فتي، لك زوجة؟
فقالت: لا، والله، ما عرفت امرأة قط.
وأطمعني ذلك فيها، وقالت: هذا وقت خطبها والإمساك عنها عجز، ولعْلا لا تعود.
وأدرت كلامها فيبته، وقامت كاتبة أخذت التجار على جميع المتاع، وأخذت يد الخادم، وأخرجت له دنانير، وسأله أن يأخذها، وفضّى لي حاجة.

فقال: أفعل، وأبلغ محبتك، ولا أخذ شيئاً.

فقصصت عليه قصتي، وسألته توسط الأمر بيني وبينها.

فضحكت، وقال: إنها لك أعيش منك لها، ووالله ما بها حاجة إلى أكثر هذا الذي تشربه، وإنما تجنيك محبة لك، وتطرقًا إلى مطارحتك، فخاطبك بطرف، ودعني، فإني أفرح لك من الأمر.

فجستني بذلك عليها، فخاطبتها، وكشفت لها عشقى، ومحتوى، وبكيت.

فضحكت، وتبنت ذلك أحسن تقبل، وقالت: الخادم يجنك برساليتي.

وشهدت، ولم تأخذ شيئاً من المتاع، فرددته على الناس، وقد حصل لي مما أشترته أولاً.

ثانياً، ألف دراهم ربحاً.

فقال: ولم يحملني اليوم تلك الليلة، شوقاً إليها، وخوفاً من انقطاع السبب.

فلم كان بعد أمي جاعلي الخادم، فذكرته، وسألته عن خبرها.

فقال: هي والدة عليلة من شوقها إليك.

فقالت: أشترك لي أمرها.

فقالت: هي مملوكة السيدة أم المقدیر، وهي من أخص جواريها بها، وشهدت رؤية الناس، والدخول والخروج، فتدثبعت حتى جعلتها قهرمانة، وقد وان حديث السيدة بحديثك، وبكت بين يديها، وسألتها أن تتوجه منك.

فقالت السيدة: لا أفعل، أو أرى هذا الرجل، فإن كان يستاهل، وألا لم أدهع ورأيك.

ويعتقد إلى إدخالك الدار بحيلة، فإن عممت، وصلت بها إلى تزويجها، وإن اكشفت ضرب عنف قلبه.

فوق أنفنتتي إليك في هذه الرسالة، وهي تقول لك: إن صبرت على هذا، وإلا فلا طريق

لك والله إلى، ولا لي إليك بعدها.

فحملني ما في نفسي أن قلت: أصبر.

فقال: إذا كان الليل، فاعتر إلى المخرج، فادخل إلى المسجد، وبت فيه، ففعلت.

فلم كان السحر، إذا أنا بطيار قد قدم، ومحمد قد رقوا صناديق شرع، فحطوها في المسجد، والصرفا.

وخرجت الجارية، فصعدت إلى المسجد، ومعها الخادم الذي أعرفه، فجلست، وفرقت

باقي الخدم في حواش.

واستدعتني، قفلتني، وعاقتني طويلاً، ولم أكن نلتق تلك من نفسي قيلة.
ثم أجلستي في بعض الصندوق، وأقبلته.
وطعت الشمس، وجاء الخدم بثياب وحواجز، من المواضع التي كانت ألقنتهم إليها،
فجعلت ذلك بحضرتهم في باقي الصندوق، ونقلتاه وحملته إلى الطيار، وانتحروا.
فلم حصلت فيه، ندمت، وقلت: قلت فيشيء، وأقلت ألوما تارة، وأشجعها
أخرى، وأتذر النذر على خلاصي، وأوطن نفسي مرة على القتل.
إلى أن بلغنا الدار، وحمل الخدم الصندوق، وحمل صندوقي، الخدام الذي يعرف
الحديث، وبادرت بصدوقي أمام الصندوق وهي معه، والخدم يحملون الباقى، ويلفونها.
فلكل ما جازت ببطقة من الخدم والبولابين قالوا: نريد تفتيش الصندوق، فتصبح عليهم،
وتقول: متي جرى الرسم معي بهذا؟ فيمسكون، وروحي في السياق.
إلى أن أنتمت إلى خادم خاطئه، هي بالاستاذ، فعلمت أنه أapeut الخدم.
فقال: لا بد من تفتيش الصندوق الذي معك، فخطبته بينما وذل فلم يرده، وعلمت أنها
ما ذلت له ولها حيلة، وأغمي علي،
وانزل الصندوق للتفتيش، فذهب على أمري وبلت فرعًا فجرى البول في كل الصندوق.
فصاحبت يا أسند من أهلك علني مناعا بخمسة آف دينار في الصندوق، وثياً مصغبًا،
وأما ورد قد انتقلت على النباح، والساعة تختبر ألوانها، وهو ملاكي مع السيدة.
فقال لها: خذى صندوقك إلى لعن الله، آنت وهو، ومري.
فصاحبت بالخادم: احملوه، وأدخلت الدار، فرجعت إلى روجي، فبينا نحن نمشي إذ قالت:
ويلاه، الخليفة، واع.
فجاجني أعظم من الأول، وسمعت كلام خدم وجواري، وهو يقول من بينهم: وملك يا
فلانتي أيش في صندوقك؟ أرينى هو؟
فقالت: ثياب لستي بامولاي، والساعة أفتحه بين يديها، وتراه.
وقالت للخدم: أسرعوا ويلكم، فأسرعوا.
وادخلتني إلى حجرة، وفتحت مني، وقلت: اصنع تلك الدرجة، إلى الغرف، واسلم
فيها، وفتحت بالعجلة، صندوقاً آخر، فنقلت بعض ما كان فيه إلى الصندوق الذي كنت فيه،
وقفلت الجميع.
وجاء المقتدر وقال لها: افتحي، ففتحته، فلم يرض منه شيئاً، وخرج.
فصعدت إلي، وجعلت ترشفني، وتقلبني، فشعشت، ونسبت ما جري.
وتركتني، وقفلت باب الحجرة يومها، ثم جاءتني ليلة، فأطميتني، وستقيت، وانصرفت.
فلم كان من غم، جاءتني قالت: السيدة، الساعة تجيء، فانظر كيف تخطبها.
ثم عادت بعد ساعة مع السيدة، فقالت: انزل، فنزلت.
فإذا بالسيدة جالسة على كرسي، وليس معها إلا وصيفتان، وصاحبي فقبلت الأرض،
وقمت بين يديها،
فقالت: اجلس.
قالت: أنَّا عبد السيدة وخادمها، وليس من محلي أن أسجد بحضرتها.
فأتلتني، وقالت: ما اخترت يا فلانة إلا حسن الوجه والأدب، ونهضت.
فجاجعتي صاحبيتي بعد ساعة، وقالت: أبشر، فقد أذنت لي والله في تزويجك، وما بقي.
الآن عقبة إلا الخروج.
فقالت: يسلم الله.
فلمَّا كان من الغد، حملتني في الصندوق، فخرجت كما دخلت، بعد مخاطرة أخرى،
ورفع نالي.
ونزلت في المسجد، ورجعت إلى منزلي، فتصدقنت، وحمدت الله على السلام.
فلمَّا كان بعد أيام، جاءني الخادم، ومعه سمنة في ثلاثة آلاف دinar عينًا.
وقال: أمرتني سماح هذا البك من مالها، وقالت: تعزَّرش به ثيابًا، ومركوبًا، وخدمًا،
وتصلح به ظاهرها، وتتعال يوم الموكب إلى باب العامة، وقف حتى تطلب، فقد وافقت الخليفة
في أن تزوجك بحضرتها.
فأجبت على رقعة كانت معه، وأخذت المال، وشتمت ما قالوا بسيس منه، وبقي الأكثر
عني.
وركبت إلى باب العامة في يوم الموكب بزي حسن، وجاء الناس فدخلوا إلى الخليفة.
توجهت إلى أن استدعت، فدخلت، فإذا أنا بالمقتدر جالس، والقواد، والقضاء،
والهاشمون، فهبت المجلس، وعلمت كيف أسأ، وافق، ففعلت.
فتقدم المقتدر إلى بعض القضاى الحاضرين، فخطب لي وزوجي، وخرجت من
حضرتها.
فلمَّا صرت في بعض الدهاليز، قربًا من الباب، غビル بي إلى دار عظيمة مفروشة،
بأنواع الفرش الفاخرة، وفيها من الآلات، والخدم، والأمتعة، والتماثل، كل شيء لم أر مثله قط.
فابلقت فيها، وتركت وداني، وانصرف من أدخلني.
فجلس يومي، لا أرى من أعرفه، ولم أبرح من موضعي إلا إلى الصلاة، وخدم
يدخلون ويخروجون، وطعام عظيم ينقل، وهو يقولون: الليلة تزف فلانة اسم صاحبتي-إلى
زوجها البزاز، فلا أصدق، فرحاً.
فلمَّا جاء الليل، أثر في الجوع، وأغلقت الأبواب، وبنست من الجارية، فقمت أطف
الدار، فوقفت على المطبخ، ووجدت الطباخين جلوساً فاستطمعلتهم، فلم يعرفوني، وقدرني
بعض الوكلاء، فقدموا إلى هذا اللون من الطبيعة مع رغيفين، فأكلتهما، وغسلت يديي بأشنان كأن
في الطبيعة، وقامت أنها قد نفتت، وعندُ إلى مكان.
فلما جن الليل، إذا طبول، وزمزم، وأصوات عظيمة، وإذا بالأبواب قد فتحت،
صاحبتي قد أهديت إلى، وجاءها بها، فيلوها علي، وأنا أقدر أن ذلك في النوم، فرحأ.
وتزكت معي في المجلس، وتفرّق الناس.
فلما خلو، تقدمت إليها فقبلتها، وقتلتني، فضمت لحيتي، فرستني، فرمت في عن
المنصة، وقالت: أنكرت أن تقلخ، يا عمّي يا سلفة، وقامت لتنجر،
فقلت، وتعلقت بها، وقيّبت الأرض، ورجلتها، وقلت: عرقي ذنبي، واعملي بعد ما
شئت.
فقالت: وياك، أكلت فلم تفضل يذك.
فقصست عليها قصصي، فلما بلغت إلى آخرها، قلت: على وعلي، وحلفت بطلالها،
وتلقت كل امرأة أتروعها، وصدقة مالها، وجميع ما أملكه، والمج مصياً على قدمي، والكر
باش، وكل ما يلتحي به المسلمون، لا أعلم به دنيري، إلا غلبت يدي أربعين مرة.
فأتينقت، وتبست، وصاحبت: يا جاوي، فجالق عشرة جاوي ووصانف.
وقالت: هاتوا شيئاً نأكل.
قدّمت ألوان طريفة، وطعام من أطعمة الخلافاء، فأكلنا، وغسلنا أدنينا.
ومضى الوصانف، ثم قمنا إلى الفرح، فدخلت بها، وبتّ بليلة من ليالي الخلافاء، ولم
نفرّق اسبوعاً.
وكان يوم الأسبوع، وليمة هائلة، اجتمع فيها الجوائري.
فال مرة كان من غاد، قالت: إنّ دار الخلافة لا تحتمل المقام فيها أكثر من هذا، فلولا أنّ
estozن، فلنّ بعد جهد، لما ثمّ لنا هذا، لأنه شيء لم يفعل قلي هذا مع جارية غيري، لمحتة
سيديتي لي.
وجميع ما تراه، فهو هبة من السيدة لي، وقد أعطتني خمسين ألف دينار، من عين
وروق، وجوهر ودنانير، وذخائر لي خارج القصر كثيرة من كل لون، وجميعها لك.
فأخرج إلى منزل، ومعد ماذا، واشتر داراً سريبا، واسسه الصحن، فيها بستان كثير
الشجر، فاخر الموقع، وتحول إليها، وعرقي، لأنّ هذا كله إلىك، فإذا حصل عندك، جنته.
وسلّمت إلى عشرة آلاف دينار عينًا، فحملها الخادم معي.
فانتفت الدار، وكتبت إليها بالخير، فحملت إلى تلك النعمه بأسرها، فجميع ما أنا فيه
منها.
فأقامت عندي كذا وكذا سنة، أعيش معها عيش الخلافاء، ولم أدع مع ذلك التجارة.
فازد مالي، وعُظمت منزلته، وآثرت حالي، وولدت لي هؤلاء الفتىّ، وأوماً إلى أولاده،

ثم ماتت رحمها الله.

وبي عليّ من موضع الديكيركة حاضراً، ما شاهدته(1)

 قصة (64) لماذا سمي زوج الحرّة(2)

حتى المفاوض، قال: أخبرنا الخطب، قال: أخبرنا عليّ بن المحسن القاضي، قال: حدثي

أبي، قال: حدثي الأمير أبو الفضل جعفر بن المكتفي بالله، قال:

كانت بنت بدر مولى المعتضد، زوجة أمير المؤمنين الفاضل بالله، فقابلت عنده سنين،

وكان لها مكرماً، وعليها مفاضلاً، وافضلاً العظيم، فتتألفت حالها، وانتفض ذلك إلى عظيم نعمتها

الموروثة.

قيلت القبيثة، فأفلتت من النكبة، وسلم لها جميع أموالها، وذخائرها، حتى لم يذهب لها

شيء، وخرجت من الدار.

وكان يدخل إلى مطبخها، حمل على رأسه، يعرف بمحمد بن جعفر، وكان حركاً،

ففِنّق على القبيثة، فينجده، فينفره، إلى أن صار وقلب المطبخ، وبلغها خبره، ورأته، فرست

إليه الوكالة في غير المطبخ.

وتروق أمره، حتى صار ينظر في ضياعها، وعقارها، وغلب عليها، حتى صارت تكلمه

من وراء ستر، وخلف باب.

وزاد اختصاصه بها، حتى علق بقلابها، فاستدعه إلى تزويجها، فلم يشعر على ذلك،

فجِّسته، وذُلت مالاً، حتى ثمّ لها ذلك.

وقد كانت حالتها تألّقت بها، وأعطته، لما أرادت ذلك منه، أموالاً جعلها نفسه نعمة

ظاهرة، إنّا يمنعها أولئك مما لفقره، وأنّه ليس بكفء، ثمّ هادت القضاة بهدى جليلة حتى

زوجها منه، واعترضها الأولياء، فغابتهم بالحكم والدراهم، فتمّ لها ذلك وله.

فأقام معها سنين، ثمّ ماتت، فحصل له من مالاً، نحو ثلاثمائة ألف دينار، فهو يتقلب إلى

الآن فيها.

قال أبي: قد رأيت أنا هذا الرجل، وهو شيخ عاقل، شاهد، مقبل، توصل بالمال إلى أن

قبله أبو السائب القاضي، حتى أقرّ في يديه وقف الحرّة، ووصيّتاه، لأنّها أوصت إليه في مالها

ووقفها، وهو إلا الآن، لا يعرف إلا بزوج الحرّة.

(1) وقد وردت أيضاً في الفرج، ج 4، ص 358، مع استبدال الديكيركة بالزيرباجة.
(2) النموذجي، النشوار، ج 5، ص 10.
فترة (65) أشعار الدمع ما كنت أكتب(1)
أخبرنا أبو القاسم علي بن المحسن بن علي التدخي، فيما أجاز لنا، قال: أخبرنا أبو عمر محمد بن العباس بن حيوة الخزاز، قراءة عليه، قال: أخبرنا محمد بن خلف، إجازة، قال:
حذتنا قاسم بن الحسن، قال: حذتنا العمري، قال: أخبرنا الهيثم بن عدي:
إن مرة بن مصعب القيسي كان له أخ يقال له فهو، وكنا ننزلان الحيرة وان فهَّا
ارتحل بأهله وولده، فنزل بأرض السراة، وأقام مرة، بالحيرة، وكانت عنده مرة، امرأة من بكر
ون ولد، فثبت معه زمانا لم يزرع منها ولدا، حتى يس من ذلك، ثم أن في منامه، ذات ليلة،
فقبل له: إنك إن باشرت زوجتك، في ليلك هذه، رأيت سروراً غَطيقة، فانتبه، فباشرها، فحملت،
فلما زيل مسرونًا إلى أن تُمد أيامها، وفُدلت غلاماة، فسمى ياساً، لأنه كان أيها، فنشأ الغلام
مصداً حسناً.
فلما ترعرع، ضمه أبوه إليه، وأشركه في أمره، وكان إذا سافر أخرجه معه، نقلاً صبره
عنه.
فقال له أبوه يوماً: يا بني، قد كبرت سنياً، وكنت أرجوك لمثل هذا اليوم، ولي إلى عك
حاجة، فاحدب أن تشخص فيها.
فقال له ياساً: نعم يا أبي، ونعم عين وكرامة، فإذا شنت، أخبرني بحاجتك فأعلمه
الحاجة، فخرج متوجاً حتى أنى عمه، فعظم سروره، وسأل عن سبب قدمه، وما الحاجة،
فاخبره بها، ووعده بقضائها، فأقام عند عمه أيضاً ينتظر فيها قضاء الحاجة.
وكان لعمه بنت يقال لها صفوة، ذات جمال وعقل، فبينا هو ذات يوم جالس بفناء دارهم,
إذا بدت له صفوة، زائرة بعض أخواتها، وهي تهادي بين جوار لها، فنظر لها ياسا نظرة،
أورثت قلبها حسرة، وظل نهاره ساهاً، وبات وقد اعتكرت عليه الأحزان، ينتظر الصباح، يرجو
أن يكون فيه النجاح.
فلمما بدأ له الصباح، خرج في طلبه ينتظر رجوعه، فلم يلبث أن بدأ له، فلما نظرت
إليه تتكبرت، ثم مضت فأسرعت، فمرضى خفتها، يأمل منها نظرة، فلم يصل إليها، وقاتته،
فانصرف إلى منزله، وقد تضاعف عليه الحزن، واشتزا الوجد.

(1) التدخي، النشوء، ج5، ص090
فلبث أيامًا، وهو على حاله، إلى أن أعقبه ذلك مرضًا أصعب، وانحل جسمه، وظل صريعاً على الفراش.

فلما طال به سقمه، وتحوّف على نفسه، بث إلى عمه لينظر إليه، وبوصبيه بما يريد، فلما رآه عمه، ونظر إلى ما بيه، سبقته العيرة إشفاقاً، عليه.

فقال له إباس: كفّ، جعلت فذاك يا عمّ، فقد أقرحت قلبي، ففكّ عن بعض بكمه، فشكا إليه إباس ما بيد من العلة، فقال له: عزّ وآله، علي يا ابن أخى، ولي أدع حيلة في طلب الشفاء، ذلك.

فانصرف إلى منزله، وأرسل إلى مولأته له، كانت ذات عقل، فأوصاها به، وبالتعاهد له، والقيام عليه.

فَلما دخلت المولأة عليه، فتأملته، حملت أَنّ الذي عمه، فقد عقب ذكر صفة، لنتستيقن ما عنه، فلما سمع ذكرها زفر فتى، فقالت المرأة: والله، ما زفر إلا من هوى داخله، ولا أظنه إلا عاشقاً.

فافتقت عليه كاملة زهرة له، فقال له: حتى حتى تبني حسناً، فوالله ما أظن الذي بك إلا هو.

فقال لها إباس: يا أمه، لقد ظننت بني طن سوء، فكنى عن مازك.

فقالت: إنك، والله، لن تبيده إلى أحد هو أكثره من قلبي، فلم تزل تعطيه المواثيق، وتقسم عليه، إلى أن قالت له: بحى صفة.

فقال لها: لقد أقسمت عليَّ بعضكم لو سألتني به روجي لدفعته إليك، ثم قال: والله يا أمّ، ما عظم داني، إلا بالاسم الذي أقسمت عليّ بحجه، فأشاء الله، في كتبنا، وطلب وجه الحيلة فيه.

فقالت: أما إذا أطلعتي عليه، فسأبلغ فيه رضاك، إن شاء الله.

فسر بذلك، وأرسل معها بالسلام إلى صفة، فلما دخلت عليها، ابتدأتها صفة بمسألة عن الذي بلغها من مرضه، وشدّة حاله، فاستبشرت المولأة بذلك.

ثم قالت: يا صفة، ما حالة من بيبه الليل ساهراً محزوناً يرعي النجوم، ويتمنى الموت؟

فقالت صفة: ما أظن هذا على ما ذكرت بيق، وما أسرع منه الفراق.

ثم أقبلت على المولأة، فقالت: إن أريد أن أسأل عن شيء، فبحقك علىك لما أوضحته.

فقالت: وحقك، إن عرفته فلا أكتفي شيئاً.

قالت: هل أرسلك إباس إلى أحد من أهل وده في حائطة؟

فقالت المولأة: والله لأصدقاك، والله، ما جل داوه، وعظم بلاوه إلا بك، وما أرسلني بالسلام، إلا إليك، فأجيبيه إن شئت، أو دعي.

فقالت لا شفاء الله، والله لولا ما وجب من حقك لأسأت إلى إليك، وزجرتها.
فخرجت من عندها كتبة، فأطمعها، فاذدا على ما كان به من مرضه، وأنشأ فقلاً:

«كشفت الشهوة حتى إذا شبّ واستوت قوام أشاع الدموع ما كنت أكتسب خلع عذاري فيه والخلع أسلم فلي وح نفسك كيف صبري على الشهوة قال: ثم إن وجهنا دخل عليه لعرف خبره، فقال له يا عم، إننا خبرك بشيء لم أخبرك به حتى برح الخلفاء ولم ألق له مهماً، فأخبره الخبر، فزوّجه إياها، فأفاق، وبرء عن علته.

قصة (66) إمرأة من أهل النار(1)»

أيانا محمد بن عبد الباقي البزاز، قال: أبانا أبو القاسم علي بن المحسن التوخي، عن أبيه، قال: حثتني أبو إسحاق إبراهيم بن علي بن سعيد النصبي، قال: حثتني أبو الحسن بن نجيب، قال: حثتني رجل مستور، كان لي صديقاً، وكان ينزل بقرب مقابر الخيزران في بغداد. قال:

رأيت ليلة في منامي، كنا قد أطلعت من داري إلى المقبرة، على رسمي في ذلك من البيئة، فإذا أنا بالمقبرة مفتتحة، وألها يخرجون منها شعماً، غيراً، حفاة، عرآة، فيجتمعون في موضع منها، حتى لم يبق قبر إلا خرج من كان فيه، ثم ضجوا بالبكياء، والدعاء، والابتهال إلى الله تعالى في أن يصرف عليهم دفن المرأة التي تذبن عدهم في عداها، وما يجري عليها، فنحن نسأل الله صرف دفنه عنًا.

قال: فانتهيت، فعجبت من هذا عجباً شديداً، وطال الليل بي، فلما أصحت، سألت الحفارين، هل حفرونا قبرًا لإمرأة؟ فدّلني بعضهم على قبة عظيمة، لقوم من التجار ميسير، قد ماتت زوجة أهدهم، ويريد دفنهما في القبر، وقد حفر لها.

قال: فقصصت الرواية على الحفارين، فطمعوا القبر في الحال، وراعيت أمر المرأة، فجاء رسل القوم، يسألون عن القبر، فقال الحفارون: إن الموضع، ليس يتأتي فيه قبر، لأن أقد وقينا على حماية تحت الأرض، لا يثبت فيها ميت.

(1) التوخي، النشوء، ج5، ص122.
فسألها جماعة من أصحاب القبابة، أن يحضروا على فتى، فأجابهم عليه، وكان الخبر قد انتشر بين الحفّارين واشتهروا، فمضوا إلى مقره أخرى، فحضروا للمرأة.
وقد استدلالت على الموضوع الذي تخرج منه الجنازة، فلدت، فضعت، وسمعت الجنازة، وكان الجميع يعيشون هالةً، والرجل جليلًا، ورأيت خلف الجنازة قتي ملتهاً حسن وجه، ذكر أنه ابن المرأة، وهو يعزى وأبوه، وهم وقعدان بالمصيبه.
فلما دفنت المرأة تقدمت إليهما، فقالت: إن رأيت مناماً في أمر هذه المتوفاة، فإن أحببتما قصصتني عليه.

فقال الشيخ الذي هو زوج المتوفاة: أما أنا فما أحب ذلك.
فأقبل الفتى، فقال: إن رأيت أن نفعل.
فلقت: تخلع معي، فقام.
فلقت: إن الرواية عظيمة، فاحتلمني.
قال: قل.
فقصدت عليه الرواية، واقتـ: بيج لك أن تنظر في هذا الأمر الذي أوّج من الله لهذه المرأة، ما ذكرته لك، فتجنبت مثله، وإن جاز أن تعرفي لأختك مثله، ففعل.
قال والله يا أخي ما أعترف من حال أبي ما يوجب هذا، أكثر من أن أحيّ بيني تشرب النبيذ، وتسعم الغناء، وترمي بالنساء، وما يوجب هذا، هذا الأمر العظيم، ولكن في دارنا عجوز لها نحو تسعين سنة، هي دانتها، وامتازتها، فإن نشطت، صرت معي، فسألناها، فقلعتها تخبرنا بما يوجب هذا، فتحتبت.
فقطتها معه، فقصدت الدار التي كانت للمتوفاة، فأخلىني إلى غرفة فيها، وإذا بعجوز فانية، فخاطتها بما خرج، وقصدت أنا عليها الرواية.
فلقت: أسأل الله أن يغفر لها، كانت مسورة على نفسها جداً.
فلقال لها الفتى: يا أبي، باكثر من الشراب، والسماع، والنساء؟
فلقالت نعم يا أبي، وولا أن أسمعك لأخيرتك بما أعلم، فإن هذا الذي رأه هذا الرجل، قليل من كثير مما أخفى عليها من العذاب.
فلقال الفتى: أحب أن تخبرني، ورفقت أنا بالعجوز، فقلت: أخبرنا، نتجئنا ونتعظ به.
فلقالت: إن أخبرتم بجميع ما أعترف به، ومن نفس معي، طال، ويكب، وقالت: أما أنا، فقد علم الله أنا ثانية منذ سنين، وقد كنت أرجو لها الموتية، فما فعلت، ولكن أخبركم بثلاثة أحوال من أفعالها، وهي عندي أعظم ذنوبها.
فلقتنا: قولٍ.
فقالت للقني: كانت من أشد الناس زنًا، وما كان يمضى يوما، إلا وتدخل إلى دار أبيك، يغير علمه، الرجل والرجلين، فيطأءها، ويخرجون، ويكون دخولهم، بألوان كثيرة من الحيل، وأبوك في سرقة.

فما نشأتت، وبلغت مبلغ الرجال، خرجت في نهاية الملاحة، فكرت أراها تنظر إليك نظر شهوة، فأعجب من ذلك.

إلى أن قالت لي يوما، يا أمي، قد غلب على قلبي، عشق أبي هذا، ولا بد لي أن يطالبني.

فقالت لها: يا بنتي اتقى الله، ولك في الرجال غيره مسْنَع؟

فقالت: لا بد من ذلك فقالت: كيف يكون هذا؟ أو كيف يتبنيك وهو صبي وتقظيمين ولا تصلين إلى بغيتك فدعيا هذا الله عز وجل فقالت: لا بد أن تسامعيني.

فقالت: أعمل إذا؟

فقالت: تمضين إلى فإن المعلم، وكان معلمو في جوارنا، أديباً، ورسمه أن يكتب لها رقعةً إلى عشاقها، ويجب عنها، فتيرة، وتعلمه في كل وقت.

فقالت: قولي له، كتب إليه رقعة، ذكر فيها عشاقاً، وشعر، ووجداً، ويسأله الاجتماع، أو صمري الرقة، كاننا من فلانة، وذكروا صبية من الجيران، مليحة.

قالت المجوز: ففعت ذلك، وأخذت الرقة وجدت بها، فضمت ذكر الصبية، التهاب قلبي ناراً، وأجبت عن الرقة تسألها الاجتماع عندها، وتذكروا أن لا موضوع لك.

فلم تضيع الجواب إلى والدك.

فقالت: اكتبي إليه عن الصبية، أن لا موضوع لها، وإن سبيل هذا أن يكون عنده، فإن قال لك: ليس لي موضوع، فأعدى له الغرفة الفيلانية، وافرشيها، وإجعلي فيها الطبخ والفاكهة، وقولي له: إنها صبيَّة، وهو ذو تسقي، ولكن عشاق قد غلب، وهي تجنبك إلى هاهنا ليل، ولا يكن بين أيديكما ضوء، حتى لا تستحي هي، ولا تقطع والدك بالحدي، ولا أبوك، إذا رأوا في الغرفة ضوء سراح، فإذا أجابت إلى هذا فأعلميني.

قالت: فعلت ذلك، وأجبت أن إلى هذا، وتقرر الوعد ليلة بعينها، وأعلمنها، فلبست ثياباً، وتباركت، وطبعت، وعطرت، وصعدت إلى الغرفة، وجدت أن، وعندك أن الصبية هناك، وفقط عليها، وجامعة إلى الغد، فلما كان وقت السحر، جبت أنا، وأيقتها وأأنثتها، وأبت نائم، وكان صعودها إليك، بعد أن نام أبوك.

فما كان بعد أن، قالت لي: يا أمي، قد والله، حبلت من ابني، كيف الحيلة؟

فقالت: لا أدرى.

فقالت: أنا أدرى، ثم كانت تجتمع معك على سبيل الحيلة التي عرفت، إلى أن قاربت

الولادة.
قالت لأبيك: إنهاء عليلة، وقد خافت على نفسها التلف، وإنها تريد أن تمضي إلى بيت
أمها فتعمل هناك.
فأذن لها، ومضت، وقالت لأمها: إنهاء عليلة، فأدخلت، وآتنا معها، في حجرة من دارها،
jنبا بالبابة، فلما ودت، قلت ولدها، وأخرجته، ففتقه، إلى بيتة وستر، وأقامت أمساء، وعادت
إلى منزلها.
قالت لي بعد أيام: أريد ابني.
قالت: وبحاكم ما كفاك ما مضى؟
قالت: لا يد، فجتنك على تلك الحيلة بعينها.
قالت لي، من غد: قد والله حبلته، وهذا والله، سبب موني، وفشيحتي، وأقامت تجمع
معك، على سبيل الحيلة، إلى أن قاربت الولاده، فمضت إلى أمها، وعملت كما عملت، فولدت
بنتاً مليحة، فلم تطب نفسك بقتلها، وأخذتها منها ليلً، فأخرجتها إلى قوم ضعفاء، لهم مولود،
فجعلتهما إليهم، وأعطتهم من مال أبيك درهم كثيرة، ووافقتم على أرضاعها، والقيام بها، وأن
أعطيهم في كل شهر شيئًا بعينه، وكانتن تنفقا البينما في كل شهر، وتعطيهم ضعفها، حتى تدال
الصبية، وتوفد إلى البيت الباهرة، فشوفت في دار ونوة، وهي تراها في كل يوم إذا اشتكأها.
و الخطب أبوك عليك من النساء، فترجت بزوجتي القليانة، فانقطع ما بينك وبينها، وهي
من أشد الناس عشقًا لك، وعذرة عليك من إمرأتك، ولا حيلة لها فيك.
حتى بلغت الصيبة تسع سنين، فأظهرت أنها مملوكة، قد اشترتها ونقلتها إلى دارها،
لنتراها كل وقت، لتشد جحبتها لها، والصيبة لا تعلم أنها ابنها، وسنتها باسم المماليك.
وشنت الصبية، من أحسن الناس وجة، فعلمتها الغناء بالعود، فرعت فيه، وبلغت مبلغ
النساء.
قالت لي يومًا: يا أمي، هو ذا ترين شغفي بابتي هذه، وأنه لا يعلم أنها بنتي غيرك،
ولام أقدر على إظهار أمراً، وقد بلغت حداً، إن لم أعقلها يدي، ولتنمس الرجال، أو تتنمس البيع، إذ تتوقف أنها مملوكة، وإن منعتها، تتغص عشرا وعيشيا، وإن
بعتها، وفارقتها، تلقفت نفسك عليها، وقد كفرت في أن أصلها بابتي.
قالت: يا هذا، أن قي الله، يكشف ما مضي.
قالت: لا بد من ذلك.
قالت: وكيف يتم هذا الأمر.
قالت: أمضى، وأكتب ترقة، تذكر فينها، عشقاً وغراماً، وأمضى بها إلى زوجة ابني.
وقولي لها إنها من فلان الجندي جارنا - وذكرت غلاماً حين بقل عداره، في نهاية الحسن، قد
كانت تعشقه، ويعشقها وارفقهما بها، واحتالي حتى تأخذي جوابها إليه.
فعلت فلحتي من زوجتي، امتهان، وطرد، واستخفاف، فترددها إليها، وما زلت بها
حتى درّ مئتها، فقرات الرقعة، وأجابت عنها بخطىً.
وجنفت بالجواب إلى أمك، أخذته، ومضت به إلى أبيك، فشعشت عليها، وألقت بينها وبين
أبيها وأبيك وبين أمها شرّاً كثناً فيه شهوراً، إلى أن انتهى الأمر.
إلى أن طالبكي أبوك يطلب زوجتي، أو الانتقال عنه، وأن يجرك طول عمره، وبدل
لك وزن الصداق من ماله، فأعطت أبوك، وطفلت المرأة، ووزن أبوك الصدق.
ولحقك غمّ شديد، وبكاء، وامتعاع عن الطعام، فجاجكت أمك، وقالت لك: لم تغتم على هذا
الحبيبة؟ أنا أحب لك جاريتي المغنية، وهي أحسن منها، وهي بكر وصالحة، وذلك ثيب فاجرة،
ودلجوها عليك كما يفعل الحرائر، وأجهزها من مالي ومال أبيك، بأحسن من الجهاز الذي نقل
إليك.
لما سمعت ذلك، زالت غمك، وأجبتها، فوافقتك على ذلك، وأصلحت الجهاز، وصاحب
الحلي، وجلحتها عليك، فأرتدتها أولاً، وهي الآن بعيدة بينك.
فهذا باب واحد ممّا أعرفه من أمك.
وباب آخر، وبدأت تحدث: فقال: حسبي، حسبي، أقعي؛ لا تقولي شيئاً، لعن الله تلك
المرأة، ولا رحمها، وللمك معها، وقام يستغفر الله، ويبكي ويقول: حرب والله بيتي، واحتتج
إلى مفارقة أمٍّ أولادي.
وأخذ بيدي وقعت، وفي قلبي حسرة، كيف لم أسمع باقي ما أرادت العجز أن تحدثنا
به.

قصة (67) شقيقات عشيقان(1)

أتبنا محمد بن عبد الباقي البيضاز، قال: أتفلنا أبو القاسم علي بن المحسن التنوخي، عن
أبيه، قال: حذتني إبراهيم بن علي التصبيبي، قال: حذتني أبو بكير النحوي، قال: حذتني أبو علي
بن فتح، قال: حذتني أبي، قال:
كنت سنة من السنين جالساً في دربي، إذ دخل شاب حسنوجه والهيئة، وعليه أثر
نعمه، فسأل عن دار فاغرة في الدرب بكتيرها، وكان أكثر الدرب لي.
فقت معه إلى دار فيه كبرى حصة فاغرة، فأرته أياها، فاستحسنها، ووزن لي أجرتها
لشهر، وأخذ المفتاح.

(1) التنوخي، النشوار، ج5، ص129.
فلمما كان من غدٍ جاء ومعه غلام، ففتحا الباب وكس الخلام الدار، ورش وجلس هو ومضى الخلام، وعاد بعد العصر، ومعه عدة حماليين وامرأة، فدخلوا الدار، وأغلق الباب، فما سمعنا لهم حركة.

وخرج الخلام قبل العشاء، وبقى الرجل والأمّة في الدار، فما فتح الخلام أيلة.

ثم خرج إلى في اليوم الرابع، فقلت: ويكيدّ، ما لك؟ فأمرَّا إلى أنه مستر من دين عليه، وسألني أن أذهب له رجلاً، يبتاع له كل يوم ما يريده، دفعة واحدة، ففعلت.

فكان يخرج في كل أسبوع، فيزن درهم كثيرة، فيعطيها للعلم الذي نصبته له، ليشتري له بها ما يفيه لطول تلك الأيام، من الخبز، واللحوم، والفاكهة، والنبض، والألبقال، ويصب الماء في الحباب الكثيرة، التي قد أعدها تلك الأيام، ولا يفتح الباب، أو ينسقي ذلك الزاد.

فكان على هذا سنة، لا يجيء إليه أحد، ولا يخرج من عنه أحد، ولا أراه أنا، ولا غيري.

إلى أن جاء لييزة في وقت المغرب، فدق بابه، فخرجت، فقلت ما لكون في داريا قابلة لأم أولاد، فحشتها إليه، فأقامت عند لييزة، فلما كان في الغد جاءتني، فذكرت أن أمّتها ولدت في الليل بنتاً، وأنها أصلحت أمورها، وأن النساء في حالة التلف، وعادت إليها.

فما كان في وقت الظهيرة، ماتت الجارية، ففاجأت القابلة، فأخيرتتنا.

قال قال: الله الذي تجنيسي أمّة، أو يطم أحد، أو يجيء أحد من الجيران فيعنين، أو يصير لي جمع.

ففعلت ذلك، ووجدهته من البكاء والشهيق على أمر عظيم.

فأتصرفت له الجنازة بين العشانين، وقد كنت أنها جفت من حفر قيّاً، في مقبرة قريبة منا، فانصرف الحفاظون لما أمسوا، وقد كان واقفون على صرفهم، وقال: لا أريد أن يراحني أحد، وأنا وانت تحمي الجنازة، إن تنفصلت بذلك، ورغبت في الثواب، فاستحبينت، وقلت: أفعل.

لما قربت العتمة، خرجت إليه، وقالت له: تخرج الجنازة؟

قال: تنفصل أولاً، وتتنقل هذه الصبية إلى دارك على شرط.

قلت: وما هو؟

قال: إن نفيسي لا تطبق الجلوس في هذه الدار بعد صاحبتي، ولا المقام في البلد، ومعي مال عظيم وفصاح، فتنفصل بذلك، وتأخذ الصبية، وتنقذ عليها من ذلك المال، ومن أثمان الأمتعة، إلى أن تكبر الصبية، فإن ماتت وقد يفي منه شيء، فهو لك بارك الله لك فيه، وإن
لا يمكنني قراءة النص العربي من الصورة المقدمة. إذا كنت بحاجة إلى مساعدة في شيء آخر، فأنا هنا لمساعدتك.
فقدل: أتعرف في هذه الناحية، إنساناً وافتي منذ ستين، شاب من حاله، وصفته، فوصف
العلم، وكثرى هاهنا داراً؟
قلت: نعم.
قال: وما كانت قصته، ولى أي شيء انتهى أمره؟
قلت: ومن أنت منه حتى أخبرك؟
قال: تخبرني.
قلت: لا أفعل، أو تصدقني.
قال: أنا أبوه.
فقصصت عليه القصة، على آثم شرح.
فأخشى بالبكاء، وقال: مصيري أنني لا أقدر أن أترحم عليه.
فبشرته يومي إلى قتل نفسه، قلت: لعله ذهب عقله، فقتل نفسه.
فبكي، وقال: ليس هذا أريد، فأين الطالفة؟
قلت: عدني، هي والمتاع.
قال: تعطيئي الطالفة.
قلت: لا أفعل، أو تصدقني.
قال: تعفيفي.
قلت: أقسم عليك بالله، إلا فعلته.
قال: يا أخي، مصابد الدنيا كثيرة، ومنها: أنّ بني هذا نهّ، فأذنبته، وعلّمه، ونفتّث له
أخته، لم يكن ببغداد أحسن منها، وكانت أصغر ستيناً منه، فعشقها، وعشقته، ونحن لا نعلم.
ثم ظهر أمرهما، فزجرتهما، وأنكرت عليهما، وانتهى الأمر إلى أن أفرعها.
فبلغني ذلك، فغضبته بالمقارع وإياها، وكاتمت خبرهما لنّال أقتضح، ففرقت بينهما،
وحجرت عليهما، وشددت عليهما أمهما مثل تشديد، فكان يجمعان على حيلة، كالغريبين.
فبلغنا ذلك فأخرجت الغلام من الدار، وقيّدت الجارية، فكان على ذلك شهوراً كثيرة.
وكان يخدمني غلام لي كالولد، فتلمي لودي على حيلة به، فكان يترسل بينهما، حتى
أخذوا مني مالاً جليلًا، وقماشاً كثيراً، وهربوا منذ سنين، وعملوا لأخذ ذلك، والهرب، حيلة
طويلة الشرح، فلم أقف لهم على خبر، وهان على قد المال لبدهما، فاسترحت منهما، إلا أن
نفسى كنت تحترهما.
فبلغني أن الغلام في بعض السكاك منذ أيام، فقبل عليه الدار، فصعد إلى السطح.
قلت له: بالله عليك يا فلان، ما فعل ولداي؟ فقد قتلني الشوق إليهما، وأنت آمن.
قال لي: علّك بدرّب فتح، في الجانب الغربي، فسل عنهم هناك، ورمى نفسه إلى سطح آخر، وهرّب، وأنّا أعرف بفلان، من ميساير التجار بالجانب الشرقي، وأخذ بيكي.

وقال: تفاني على القبر.
فجئت به حتى وقفت على القبر، ثم جاء فأدخلته داري، فأريتى الصبيّة فجعل يترشّها وبيكي، وأخذها ونهض.

قلت لـ: مكانك، انتقل مناك.

قلت: آنت في حلال مني وسعة.

فما زلت أداريه إلى أن علقت به، وقلت: هذا المال، وأرحتي من متعبتي.

قلت: على شدد، نفسك بيني وبينك.

قلت: والله، لا تلبست مني حبّة.

قال: فاطلب حمالين، فجئت بهم.

فحمل تلك التركّة، والصبيّة، وانصرف.

قصة (68) عاقبة البغي

روى القاضي التنوخي، في كتابه أخبار المذاكرات، وشوارع المحاضرة، عن عبيد الله بن محمد الخفاف، قال: حدثني أبي، قال: حدثني صديق لي من أولاد الجند، قال:

 كنت مختزاً يوماً في الكرخ ببغداد، فرأيت امرأة لم أنّيّ أحسن منها قط، فوقفت أنظر إليها، وإذا بها قد ولت، وإذا بعجوز معها قد جاءتتي، فما رحبت عنها، وقالت: تقول لك: تجيء في دعوتي؟

قلت: لا يمكنني أن أمضي مع أحد، ولكن تجيء في دعوتي أنا.

قالت: لا، بل تجيء أنت.

فحملني قرف شهوتي لها أن مضيي معها، إلى أن حصلنا في طرف من أطراف بغداد، ووافيت إلى باب، ففتحته.

قالوا: من هذا؟

قالت: أنا، صديق.

فحين قالت ذلك، وجب قلبي، فوليت.

قلت: إلى أين يا فتي، ما بدا لك من؟
فقلت: خير، ودخلت البيت، فإذا بدار فارغة، قليلة الآلات جداً، وإذا ببارجة سوداء قد جاءت بطلش وماء، فغسلت وجهي، ورحلتي، واسترحت، وجاءوني بطعام غير نظيف، فأكلت

منه لفراك الجوع.

وخرجت الجارية، وإذا هي من أحسن النساء وجهها، وجاءوني بنبيذ، فجلست أشرب،

وهي معى.

فأهويت إليها، فمكنتني من عناقها، فلما تجاوزت ذلك، قالت: أنا لا أدخل في حرام،

وأصاب حتى يجيء من يزوجني بك.

وجاءت المغرب، وصار الوقت بين الصلاتين، وإذا بباب يدق.

فقالت: وى، وى.

فقالت لها: ما الخبر؟

فقالت: قد جاء أخي وغلاه، وإن رأك لم أمن عليك، فم إلى ذلك البيت، فاختبئ فيه،

حتى إذا ناما جئتوك.

فادخلت بيتها، فلما حसلت فيه، رفعت بابه، فلحن أنني مقتول، وأن ذلك لفرض كان

في ثيابي ومالي، فتبث إلى الله من الحرام، وعاهدته أن خصصني، أن لا أدخل في شيء من ذلك.

فقال: وأقبلت أسمع ما تجري من خلف البيت، فإذا بالداخل علما أسود لم أر قط أهول

منه خلقها ولا أعظم وهو يقبل المرأة وهي تترشح ترشح عاشقة له، ولجسم يتحدثان، وجاءوه

بما أكله، وشربه، ثم جامعها دفعات.

وقال لها في خل ذلك: أيش حصل اليوم؟

فقالت: ما وقع اليوم غير رجل مخلوق، لم يكن في كمك شيء، قال: وأخرجت ثيابي،

فسلمتها إليه، فشتمها وضربها.

وقال: هذا أيش، نحن أردننا صاحب كبير.

فقالت: كما أتفق، ولم تزل تقبل رجله، وتبكي، وتعتذر إليه، إلى أن رضي عنها.

وأيقنت أنا بالله، وأقبلت على الدعاء.

وأما زالا يشربان، وهو يجامعها في خلال ذلك، إلى أن عدت أن قام جامعها عشر

دفعات، وسكر.

فقالت له: قد أخذ النبيذ منك يا سيدي، قم فافرغ من هذا الذيحم، حتى تتخلص منه.

فتشهدت حينئذ.

ففتحت الباب، ودخل الأسود إلى سبيل مسلول، فما زال يضبزين موشحاً، وأنا أصبح، فلا

يسمع أحد صياحي، إلى أن بردت، وانقطع صياحي، ولم يشتك الأسود في موني، فجذبني
وطرحتي في البئر، وإذا كنتي فيها أشلاء ثلاثة، فصرت أنا قريباً من رأسها فوق القدر، خرجت ولم يغلق الباب. فقالت له: ما عملت؟
قال: فرغت منه.
فنام إلى جانبيها، وقالت العجوز، فجلت، ولم يكن في الدار غيرهم.
فلما كان بعد نصف الليل، حملتني حلاوة الحياة، على طلب الخلاق فقمت، فإذا البئر إلى صدرني، وإذا أنا قويتتسقت، وخرجت منها إلى البيت.
وقفته وأسمع، فلم أسمع لهم حساً، إلا غضباً بدل على نومهم، فخرجت قليلاً قليلاً.
حتى فتحت الباب، وخرجت من الدار، وما شعروا بي، فجيئت إلى بني قبل طلوع الشمس.
فقالوا: ما دهك؟
قالت: كنت البارحة عند صديق لي، و بكّرت من عني، فلقيني لص يستقفي، فمنعته نيباني، فأخذها، وعمل بي هذا.
فأقلمت شهوراً أعلناً، إلى أن عوفيت، فلما خرجت، وصرفت، لم يكن لي هم إلا طلب المرأة في الطريق والأحوال.
فانتزت يوماً بالكرخ، فرأتها، فلم أكلمها، وتعت إلى منزلها، وكنت قد غبرت زبي، وطولت ليحتوي، حتى تغيرت هباتي ومشيت ودي مكتوفة إلى ظهرتي، على مذهب الخراسانية، وجئت أطلسها، وصادفتها في الموضع.
فحين رأيت العجوز، أقبلت عليّ، وبدأتني بالكلام، فأجبيتها بالفارسية، وعلمت أنها لم تعرفني.
وجئت معها، فحملتني إلى الدار بعينها، وجرت القصة على الرسم الأول، إلى أن قالت:
جاجاوي وعذبه، قل لا يرك، فأقامتني إلى البيت بعينه، فدخلت، وأعلقت علي، ووقفت أسامع،
وكانت تحت نيباني سيف لطيف ماض.
قال لها الأسود، بعد أن وطنتها خمس عشر مرة: أيش جبت اليوم؟
قالت: بطة سمينة، خرساني مهيبان ملأن.
قال: فأين هو؟
قالت في وسطها.
قال: جابت.
فقال: نبيهة.
فخرجت أنا السيف، ووقفت خلف الباب أنتظره، فأكل، وشرب حتى سكر، وجاء،
فدخل، فشكلت طريقه، ومادي يريد صدر البيت، فصررت خلفه، وضربته في ساقه ضربة محكمة، أجلتته منها، وعينتها بأخرى، فما أقدر أن ينهض، ووالده ضربه، حتى قطعته، فلما برد، تقدمت فحزنت رأسه، وفصلته عن بدنه، لنزول عنّي الشيبة في أمره، ووقفت موضعياً.
لما أبطأ خروجه على الجارية، قالت للعجوز: قومي انظري أنت خبره؟
فقالت العجوز المسماة صيد، تطلبه، وجاءت إلى البيت، تقول: يا سيدي، لم تخرج؟
أين أنت؟
فما تكلمت.
فدخلت إلى البيت، فضربت في ساقها أيضاً، فقدت زمنة، فحين جلست، جرت
برجلها، فأخرجتها إلى بئر، وقالت: مرحبا يا صيد، إلى كم تصطادين ولا تصادين؟ وقلت.
وخرجت إلى الدار، وتكلمت بلسان فصيح، وقد كنت أكلهم بلسان الخراسانية، فأيقنت
الجارية بالهلاك.
ثم قلت لها: أنا الرجل الذي فعلت بي كذا وكذا.
قالت: ألين الأسود؟
فقلت: قلت، وهذا رأسي.
قالت: سألتك بالله، إلا أنت لقيتي بعده، فلا حاجة لي في الحياة.
فقلت: ليس تحتاجين إلى مساعدتي في هذا، فاني أفعله، ولكن ألين الأموال؟ وإلا عنديك،
ولم أقتلك، وأخرجتني إلى السلطان، فحصلت في العقوبات.
قالت: افتح ذلك البيت، وذلك البيت.
ففتحت أبوابها، فخرج علي منها أمر عظيم.
ألفت: الأموال.
واما زلت أقررتها، وكلما امتنتها، ضربتها بالسيف، إلى أن عرفتني موضع اللفائين،
وأوقفتني على جميع ما عندها من الذخائر، فقلت لها حينئذ.
وخرجت سحراً، وقد قلعت اللفائين، وأخذت منها ما أطلقت حمله من فاخر ما وجدته،
وأما أقرب الناحية إلى الآن، ولا أدرى إلى أي شيء انتهى خبر القلبي والأسود والدار.
فكما وصل إلى من ذلك ما قيمته ألف كثيرة.

قصة (69) أمرو علام تجنبتي.
أخيرنا القاضي أبو الحسن أحمد بن علي التوفي، وأبو القاسم علي ابن المحسن
التويحي، قال: أخبارنا أبو عمر محمد بن العباس بن حويبة، قال: حدثنا محمد بن خلف بن
المرزبان، قال: حدثني محمد بن عبد الله ابن أبي مالك بن الهيثم الخزاعي، عن إسحاق بن
إبراهيم الموصلي، قال: حدثني إبراهيم بن ميمون، قال:
حجّت في أيام الرشيد، فينا أنا بمكة، أجول في سكّنها، إذا أنا بسوداء قائمة ساهية،
فأنكرت حالها، فوقيت أنظر إليها، فمكنت كذلك ساعة، ثمّ قالت:
أعمروا علام تجنيبتي
أخذت فوادي فعذّبتني
فلو كنت يا عمرو خبرتني
أخذت حذاري فما نلتني
قال: فدنوت منها، قلت: يا هذه، من عمرو؟
فارتأت من قولي، وقالت: زوجي.
قلت: وما شأنه؟
قالت: أخبرني أنه يهواني، وما زال يسَّر إلي، ويعلق بي في كلّ طريق، ويشكو شدة وجدّه،
حتى تزوجيني، فثبت معي قليلاً، وكان له عندي من الحب، مثل الذي كان لي عنده، ثمّ مضى إلى جده، وتركني.
قلت: فصفيه لي.
فقدت: أحسن من تراه، وهو أسرم، حلو، طريف.
قال: فقلت: فخبريني، أخبي أن أجمع بينكم؟
قالت: فكيف لي بذلك، وظنتني أهل بها.
قال: فركبت راهليتي، وصرت إلى جده، فوقيت في المرفأ، أتى طلّر من بعمل في السفن،
وامسكت: يا عمرو، يا عمرو، فإذا أنا به خارج من سفينة، وعلى عنقه صن، فعرفته بالصفة.
قلت: أعمرو علام تجنيبتي؟
فقال: هيّه، هيه، رأيتها، وسمعته منها؟ ثم أطرقت هنيه، ثم اندفع يغبنيه، فأخذته منه، قلت له:
ألا ترجع؟
فقال: يا لي أنّت، ومن لي بذلك؟ ذلك والله أحب الأشياء إليّ، ولكنّه من طلب المعاش.
قلت: كم ينكث كلّ سنة؟
قال: ثلاثمائة درهم.
فأعطيته ثلاثة آلاف درهم، وقلت: هذا لعشر سنين، وردّته إليها، قلت له: إذا فنيت، أو قاربت
الفناء، قدمت على فيبرتك، وإلاّ وجهت إليك.
وكان ذلك أحب إلى من حَجّي.
قال محمد بن عبد الله، قال إسحاق: والناس يسبون هذا الصوت إلى إبراهيم، وكان إبراهيم أخذه
من هذا الفنّ. 256
قصة (70) أنت لنا شمس، وفتح لنا قمر

أتلبي غير واحد ممن تقدم ذكرهم في أول الكتاب، من أبي اليمن، زيد بن الحسن الكندي، وأتلبي غير واحد، ممن تقدم ذكرهم، وأبو الفضل ابن أبي الحسين الدمشقي، وغيره، عن المؤيد بن محمد الطوسي، وأبو الفرج البغدادي، عن أبي أحمد بن علي الأمين، وأبو حفص بن القواس، وغيره، عن عبد الصمد الحكاني، كلهم، عن أبي بكر بن أبي طاهر، عن أبي القاسم علي بن المحسن التوخلي، عن أبيه، عن أبي الفرج الأصبهاني، قال: حديثي أحمد بن خلف بن المرزبان، قال: حديثي أحمد بن سهل الكاتب، وكان أحد الكتاب لصاعد، قال: سمعت الحسن بن محمد يحدث:

إن رجلاً من أهل اليمامة، قدم بحارتين، شاعرتين، من مولدات اليمامة، على المتوكل، فعرضهما عليه، من جهة الفتح، فنظر إلى أحدهما، فقال لها: ما اسمك؟

قالت: سعاد.

قال: أنت شاعرة؟

قالت: كذا يزعم مالكي.

قال: فقولي في مجلسنا هذا، شعرًا، ترجلته، وتذكرني فيه، وتذكرني الفتح.

فتوقفت هنئية ثم أشدت:

أقول وقد أبصرت صورة جعفر
أسعد الضحى، أم شبها وجه جعفر
فقال للآخر: أنشدي أنت، فقالت:

أقول وقد أبصرت صورة جعفر
أكمل عماء وفتح ونصحه
فأمر بشراء الأولى، ورد الآخر.

فقالت الأخرى: لم ردديتي؟

قال: لأن في وجهك نشاماً.

فقالت:

يوماً ولا القدر الذي يوصف
والقدر فيه كلف يعرف

لم يسلم الظبي على حسنه
الظبي فيه خنس بين

فأمر بشراء الثانية.
قصة (71) كلب يقتل زوجه سيده وخليلها(1)
وذكر ابن دايب، قال:
كان للحسن بن مالك الغنوي، أخوان، وندمان، فأشهد بعضهم محرماً له، وكان له على
باب داره كلب قد راه، فجاء الرجل يوماً إلى منزل الحسن، فدخل إلى امرأته.
فقالت له: قد، فهل لك في جلسة يسر بعضنا ببعض فيها؟
فقال: نعم، فأكل وأشربا، ووقع عليها.
فلما علاها وثب الكلب عليها، فعلتهما.
فلما جاء الحسن، ورأهما على تلك الحال، تبيّن ما فعلًا فاتشا يقول:
قد أضحى خليلي بعد صفر مودتي صريعاً بدار الذل أسلمه الغدر
فطأ حرمتي بعد الإخاء وحانتي، فغادره كلب وقد ضمه القبر.

قصة (72) وما ظالم إلا سبيله باظلم(2)
أخيرنا محمد ناصر، قال: أبناً المبارك بن عبد الجبار، قال: أبناً الجوهر.
والأخيرن أب ناصر، قال: أخبارنا عبد المحسن بن محمد، قال: أخبارنا أبو القاسم
النتوخي، قال: أخبارنا ابن حبيبة، قال: حدثنا محمد بن خلف.
قال: حدثنا لق تانث، قال:
دخلت مدينة فطلب بشأ أسلقه، فوقع عيني على صبرف موس، فما زلت أحتال،
حتى سرت كيساً له، وانسلت.
فما جزم غير بعيد، إذ أتا بعوج معها كلب، قد وقعت في صبري، تبستني، وتلزمني،
وتقول: يا بني، فديتك، والكلب يصيح، ويلوذ بي، ووقف الناس ينظرون إلينا.
وجعلت المرأة تقول: يا الله انظروا إلى الكلب، قد عرفه، فعجب الناس من ذلك،
وتشكفت أنا في نفسي، وقتلت: لعلها أرضعتي، و أنا لا أعرفها؟
وقالت: معني إلى البيت، أقم عندي اليوم، فلم تغارقي حتى مضيت معها إلى بيتها.

---
(1) التنوخي، النشوار، ج6، ص247
(2) التنوخي، النشوار، ج7، ص90.
وإذا عنها أحداث يشربون، وبين أيديهم من جميع الفواكه والرياحين، فرحبوا به، وقرتو، وأجلسوني معهم.
ورأيت لهم بزة حسنة، فوضعت عيني عليها، فجعلت أسقيهم وأرفق بنفس، إلى أن ناموا، ونام كل من في الدار.
فقت وقتها ما عندهم، وذهبت أخرج، فقوت على الكلب وثبة الأسد، وصاح، وجعل يتراجع وينبج، إلى أن انتبه كل نائم، فخلقت، واستحبيت.
فلم كان النهار، فعلوا مثل فعلهم بالآمس، وفعلت أنا بهم أيضاً مثل ذلك، وجعلت أوقع الحيلة في أمر الكلب إلى الليل، فما أمكنني فيه حيلة.
فلم ناموا، رمته الذي رمته، فإذا الكلب قد عارضني بملم ما عارضني به. فجعلت أحيان، ثلاث ليال، فلما أست، طلبت الخصائص منهم بإذنهم، فقلت: أتأذون لي، فأتي على وقع.
فقالوا: الأمر إلى العجوز.
فاستأذنتها، فقلت: هات الذي أخذته من الصبغي، وأمض حيث شئت، ولا تقم في هذه المدينة، فإنه لا ينهتا لأحد فيها معي عمل.
فأخذت الكيس وأخرجتني، ووجدت مناي أن أسلم من يدها.
وكان قصارى أن أطلب منها نفقة، فدفعت إليّ، وخرجت معه، حتى أخرجتني عن المدينة، والكلب معها، حتى جزت حدود المدينة.
ووثقت، ومضبت، والكلب يتعني، حتى بعدت، ثم تراجع ينظر إليّ، ويلفتت، وأنا أنظر إليه، حتى غاب عن عيني.

قصة (73) ذكاء المنصور العباسي

ومن ذلك، ما روي عن منصور بن العباسي، وهو أنه جلس يوماً في إحدى قباب المدينة، فرأى رجلاً ملهمهاً، يجول في الطرقات، فأرسل إليه من أتاه به، فسأله عن حاله، فأخبره أنه خرج في تجارة، فأفاد فيها مالاً كثيراً، وأنه رجع بها إلى زوجته، ودفع المال إليها، فذكرت المرأة أن المال سرق من المنزل، ولم يرغب ولا تسلقاً.
فقال له المنصور: منذ كم تزوجتها؟
قال: منذ سنة.

(1) التنوخي، النشوار، ج7، ص276.
قال: نزوجتها بكراً أم ثياباً؟
قال: ثياباً.
قال: شابة أم مستنة.
قال: شابة.
فدع المنصور بفارغة طيب، وقال: نطيّب بهذا، فإنه يذهب هناك، فأخذها.
وانقلب إلى أهله.
فقال المنصور لجماعة من نقبائه: اقعدوا على أبواب المدينة، فمن مرّ بك، وشتمت منه رواج هذا الطبب، فأتوني به.
ومضى الرجل بالطيب، إلى بيته، فدفوعه إلى المرأة، وقال: هذا من طيب أمير المؤمنين.
فلما شمتته، أجبتها إلى الغابة، فبعثته به إلى رجل، كانت تخبّه، وهو الذي دفعت المال إليه، فقالت له: نطيّب بهذا الطيب.
พอใจّبه، ومّرّ محتارًا ببعض الأبواب، ففاحت منه رواج الطيب، فأخذ، وأتى به إلى المنصور.
قال له: من أين استحق هذا الطيب؟
فلتجلج في كلامه، فسمحه إلى صاحب شرفته، وقال له: إن أحضر كذا وكذا من الدنانير، فخذ منه، وإلا فاضربه ألف سوط.
فما هو إلا أن جرد، وهذى، حتى أذعن برذ الدنانير، وأحضرها، كهيئة، ثم أعلم المنصور بذلك، فدعى صاحب الدنانير، وقال له: أرأيت إن ردت إلىك الدنانير، أنبحمك في أمرك؟
قال: نعم، يا أمير المؤمنين.
قال: ها هي دنانيرك، وقد طلقت امرأتاك.
وقص عليه الخبر.

قصة (74) أحمد بن أبي خالد، يبلغه أن جارية له توطئ فراشه غيرهٰ(1)
قال محمد بن عبدوس في كتاب الوزراء: إن إبراهيم بن العباس الصوفي قال:
كنت أكتب لأحمد بن أبي خالد. فدخلت عليه يوماً. فرأيته مطرقاً، مفكرًا، مغمومًا،
فسألته، عن الخبر.
فأخرج إلى رقعة، فإذا فيها أن حظيّة من أعزّ جواريه عنده، يخلفِ إليها، وتوطئ
فراشه غيره، ويستشهد في الرقعة، بخادمين كانا تقتين عدنه.

(1) المتنوخي، الفرج، ج1، ص243.
وقال لي: دعت الخادمين، فسألتهم عن ذلك، فأنكرهم، فهثدتهم، فأقاما على الإنكار، فرضيتهم، وأحضرت ليهما آلآ العذاب. فاعترفا بكل ما في الرقة على الراجية، وإنى لم أنق أمس ولا اليوم طعامًا. وقد هممت بقتل الراجية. فوجدت بين يديه مصحفًا، ففتحته لأคำถามبا ما يخرج فيه، فكان أول ما وقع عيني عليه: يا أبا هده الذين آمنوا إن جاعكم فاسق بناب فتيبنوا. الآية، فشكت في صحة الحديث، وأريته ما خرج به الفال.
وقلت: دعني أتعلف في كشف هذا.
قال: فعل.
فخلت بالخدامين منفردين، ورفقت بأدتها، فقال: النار ولا العار، وذكر أنّ أمراً ابن أبي خالد، أعطته ألف دينار، وسأله الشهادة على الراجية، وأحضاري الكيس مختوماً بغلم المراة، وأمرته أن لا يذكر شيئاً إلا بعد أن يوقع به المكر، ليكون أثبت للخبر، ودعوت الآخر، فاعترف بمثل ذلك أيضاً. فبادرت إلى أحمد بالبشرة، فأما وصلت إليه، حتى جاءته رفعة الكرة، تعلم أن الرقة الأولى كانت من فعلها، غيرها عليها من الراجية، وأن جميع ما فيها باطل، وأنها حملت الخادمين على ذلك، لأنها تابعة إلى الله تعالى من هذا الفعل وأمثاله.
فجاجته براءة الراجية من كل وجه فسر بذلك، وزال عنه ما كان فيه، وأحسن إلى الجارية.

قصة (57) الباب الذي بين الله والناس، لا يغلق(1)

وحدثني عبد الله بن أحمد بن داسة، المغرى البصري، قال:
سمعتي أن بعض الجند، اعتصب امرأة نفسها من الطريق، فعرض له الجيران يمنعونها منها، فقاتلهما هو وعلمائه حتى تفرقوه، وأدخل المرأة إلى داره، وغلق الأبواب، ثم رآوها عن نفسها، فامتنعت، فأكروها، وألحقها منه شدة، حتى جلس منها مجلس الرجل من المرأة.
قيلت له: يا هذا، أصرّ حتى تغلغ الباب الذي يبقى عليك أن تغلقه.
قال: أي باب هو؟
قالت: الباب الذي بينك وبين الله.
فقال عنها، وقال: اخرج، قد فرح الله عنك.
فخرجت، ولم يتعرض لها.

(1) القرآن، الفرج، ج1، ص35.
قصة (٧٦) بين الأمين وإبراهيم بن المهدي

أخبرني أبو الفرج الأموي الأصبهاني، قال: أخبرني محمد بن خلف ابن المرزبان، قال:
حدثنا حماد بن إسحاق، عن أبيه، ووجدت في بعض الكتب بسناد غير هذا، ليس بسمع،
فجمعت بين الخبرين، على ألم اللفظ، قال:
جري بين الأمين، وبين عمّه إبراهيم بن المهدي، كلام، وهما على النبيذ، فوجد الأمين
على إبراهيم، وباتت لإبراهيم الوحشة منه، فانصرف إبراهيم إلى منزله فلقاً، وحجبه الأمين
عنه.
وبلغ إبراهيم ذلك، فبعث إلى الأمين بالألفاف، وروقة يعتذر فيها، فرد الأمين بهذته، ولم يجب
إبراهيم عن الرطقة.
فوجه إبراهيم إليه وصفة مليحة مغنية، كان رياها، وعلمها الغناء، وبعث معها عدما معمولاً من
العود الديني، مكلاً بالجوره، وألبها حلة ملونة بالذهب، وقال أبياتا، وغني فيها، وألقى
عليها الأيات حتى حفظتها، وأخذت الصوت، وأحكمت الصنعة فيه.
فوققت الجارية بين يدي الأمين، وقالت: عملك وعبدك، يقول... واندفعت تنّي:
هتللك المضمرة بردى اللطف، ونكفت هجرت لي فانكشف.
فإن كنت تتكر شيئاً جرى
فهي للمعمرة ما قد سلف
وجد لي بالصفح عن زلتي
فبالفضل يأخذ أهل الشرف.
فقال لها الأمين: أحسنها يا صبيّة، ما اسمك؟
قالت: هذية.
قال: أطالت كاسمك، أم عارية؟
قالت: أنا كاسمي، ويه سمان ينفثاً، لما أهديني إلى أمير المؤمنين.
فسر بها الأمين، وبعث إلى إبراهيم، فأحضره، ورضي عنه، وأمرله بخمسين ألف دينار.

قصة (٧٧) عبد الملك بن مروان يسقط حداً

حكي الاصعمي، قال: أتي عبد الملك بن مروان، فرجل قد قامت عليه البيئة بسرقة يقطع في
مثلها، فأمر بقطع يده.
فأنشأ الرجل يقول:
يدي يا أمير المؤمنين أعيّذها
بعفوك من عار عليها يشينها

(1) النروحي، الفرج، ج 1، ص 375.
(2) النروحي، الفرج، ج 1، ص 375.
لا يخير في الدنيا ولا في نعيمها إذا ما شمل فارقتها يمينها

فقال: هذا حد من حدود الله تعالى، ولا بد من إقامته عليك.

فقالت أمته له كبيرة السن: يا أمير المؤمنين، كاذب، وكاسبي، وابني، وواحدي، فهي لى.

فقال لها: نحن الكذب كاذب، ونحن الكاسب كاسب، لا بد من إقامة حدود الله عز وجل.

فقالت: يا أمير المؤمنين، اجعله من ذويك التي تستفرغ الله منها.

فقال: خلوه، فأطلق.

قصة (78) فتى ورث مالاً فأقبله ثم آل أمره إلى صلاح

حدثني عبد الله بن محمد الصرعي، أيضاً، عن أبيه، قال:

كان يجاورنا في بغداد فتى من أولاد الكتّاب، ورث مالاً جليلًا، فأقبله في القيان، وأكله

إسراً، حتى لم يبق منه شيء، وأحتاج إلى نفق داره، فلم يبق منها غير بيت بكته.

فحدثني بعض من كان يعاشره، وانقطع عنه لما افتقر، قال:

قصده بوماً بعد انتقامي عنه نحو سنة، لأعفو حسره، فدخلت إليه، ووجدته نائماً في ذلك البيت، في يوم بارد، على حصير حلاق، قد توطأ قطنا كائنه حشر فراش، وتعطّى بقتن كان في لحاف، فهو بين ذلك القطن كائنه السفرجل.

فقالت له: وحاتك، بلغت إلى هذا الحد.

فقال: هو ما ترى.

فقالت: فهل لك حاجة.

قال: أو تقضيها؟

فظنت أنك تطلب مشيًا شيئاً أسفعه به، فقالت: راك وآله.

فقال: أنشئ أن تحملي إلى بيت فلاد المغنين، حتى أرها، وهي التي كان يتعشقها، واتلف ماله عليها.

وبيكى، فرحتمه، فمضيت إلى منزله، فأدليت بهما لما بسنه، وأدخلت الحمام، وحملته إلى بيته، فأطعته، وبخترته، وذهبتا إلى دار المغنية.

فلما رأيتا لم تعطك أن حاله قد صلحت، وأنه قد جاءها بدراهم، فيشبت في وجهه، وسألته عن حاله، فصدقها عن حاله، حتى انتهى إلى ذكر الثياب، وأنها لي.

فقالت له في الحال: قم، قم.

فقال: لم؟
قالت: لننا تجئي، النوا، فتراك، وليس معك شيء، فتجدك عيّ، لم أدخلتك، فاخترى بلاءً،
حتى أصعد فأكلك من فوق، فخرج، وقال: هل أنت لا تراه؟ أشهد الله، وأشهدك، أيّ تأتين。
فيكى، وقال لي: بلغ أمري إلى هذا؟ أشهد الله، وأنى نبت؟
فاضحت منى، وقلت: أيّ شيء تتفعك التوبة الآن وقد أفترقت؟
فردتته إلى بينه، ونزعه ثيابي عليه، وتركته بين القطن، كما كان أولاً، وحملت ثيابي
فغشتها وانقطعت عنه، فما عرفته له خيراً.
وبعد نحو ثلاث سنين، بينما أنا ذات يوم باب الطالق، إذا أنا بлечة طريق لرجل راكب،
فرعت رآسي، فإذا به على يده فاره، يمر برضة، خفيف، مليح، وثياب حسنة، وكان أولاً
يركز من الدواب أخرها، ومن المراكب ألبانها.
فلما رأني، قال لي: يا فلان، فعلم أنّ حاله قد صاحت، فتوثقت فخذه.
وقلت: سيدي أبو فلان.
قال: نعم، قد صنع الله تعالى، وله الحمد البيت، البيت، فتبعته إلى منزله، فإذا بالدار
الأولى، قد رماها، ومشتتها، في غير بيضاء، ومخيبّة، وبنى فيها مجلسين مقابلين، وحزائن،
ومستراح، وجعل باقي ما كان فيها، صبحاً كبيراً، وقد صارته حسنة، غير أنها ليست بذلك
الأمر الأول.
فأخذني إلى حجرة منها، كان يخلو فيها قديماً، قد أعدها كأحسن ما كانت، وفيها فرش
حصن، وفي داره ثلاثة غمان، قد جعل كلّ خدمولى في واحد منهم، وقد أقام على حرمه خادماً
كان لأبيه، وله ساكن هو شاكبر، وشيخ بوي كان يصحبه قديماً، ووكيل يسوق له.
فجلس، وأجلسني، وأحضر في فاكهة قليلة، في آلة مقصدة مليحة، ووجاءها بعدا بطعام
نظام، كافى، غير مصرف ولا مصرف، فأكلنا، ثمّ نام، ولم تكن تلك عادة، ومدت ستارة،
وأحضرت مشاواً وربيان، في حيناني وزيديان، والجميع متوسط مليح، غير مصرف، فانتهت،
فصل، وتجرّ ببطقة ندى، وجرّني ببطقة عود مطلبة، وقدم بين يديه صينية فيها من مطبوخ
النثب شيء حسن، وقدم بين يدي صينية فيها نبيذ التمر، جيد.
فقلت: يا سيدي ما هذه الترتيبات التي لست آفرها.
فقال: دعا ما ممضى، فإنّ الحال لا تحتمل الإسراف، فأقبل بشرب، وأنا أساعد، فتعينى
من وراء الستارة، ثلاث جواري في نهاية طيب الغناة، كلّ واحدة منهنّ أطيب من التي أنفق
عليها ماله.
فلما طالت أنفسنا، قال لي: تذكر أيّامنا الأول؟
قلت: نعم.
قال: أنا الآن في نعمة متوسطة، وما قد أفدته من العقل، والعلم بأمر الدنيا وأهليا، يسلني عصا ذهبي مني، وهو ذا ترى فرشي، والأني، ومركبي، وإن لم يكن ذلك بالظلم المفرط، ففيه جمال، وبلاغ، و تعالى، وكفاية، وهو مغنى عن الإسراف، والتخير، والتذبفر، وقد تخلصت من تلك الشدة، تذكر يوم عاملتي فلانة المغنية، بما عاملتي؟

قلت: نعم والحمد لله الذي كشف ذلك علك، فمن أين هذه النعمة؟

قال: مات مولى لأبي، وابن عمّي لي، في يوم واحد بمصر، فحصل لي من تركتهما أربعون ألف دينار، فوصل أكثرها إلي، وأنا بين القطن كما رأيتني، فحمدت الله، واعتقدت النوبة من التذبفر، وأن أدرك ما رزقته، فعمرت هذه الدار بألف دينار، واشتريت الفرش، والآلة، والجواري بثمنة آلاف دينار، وسلمت إلى بعض التجار الفقير، ألمي دينار، يتجزّ لي بها، وأودعت بطن الأرض عشرة آلاف دينار، للحوارد، وابتنت ببالي ضعيفة تغل لي في كل سنة نفقات هذه التي شاهدتها، فما أحتاج إلى فرض، ولا إستزادة، ولا تقبل عهد، إلا وعدي بقية من الغلة الأولية، فأن آلتّ في نعمة الله، عزّ وجلّ، كما ترى، ومن تمام النعمة، إنّي لا أعشرك، ولا أحداً ممن كان يحسن لي الصبر، يا غمان، أخرجوني.

قال: فأخرجت، فوجدنا ما أذن لي بعدها في الدخول عليه.

قصة (79) إسحاق

المصيحى تحرِّك رقّاع أصحاب الأزياب ببغداد

حذثني عبد الله بن محمد بن دامس البصري رحمه الله، قال: حذثني أبو يحيى بن مكرم، الفاضلي البغدادي، قال: حذثني أبي، قال:

كان في جواري، رجل يعرف بأبي عبيدة، حسن الأدب، كثير الرواية للأخبار، وكان قديماً ينادى إسحاق بن إبراهيم المصعي، فقال: أنا إسحاق استدعاه ذات ليلة، في نصف الليل. قال: فبثاري ذلك، وأفرعتي لما كنت أعرفه منه، من زعارة الأخلاص، وشدة الإسراع إلى القتله، وخففت أن يكون قد نقم علّي شيئاً في العشيرة، أو بلغ عني باطل، فأحفظه، فسيرع إلى قطي، قبل كشف حالي.

فخرجت طائر العقل، حتى أنت داره، فأدخلت إلى بعض دور الحرم، فأشت جزعي، وذهب على أمري.

فانتهى بي إليه، وهو في حجرة لطيفة، فسمعت في دهليزها بكاء امرأة وتحبها، ودخلت، فإذا هو جالس على كرسي، وبدء سيف مسلول، وهو مطرق، فأقطع بالقتل.

فسلمت، ووقفت، فرفع رأسه وقال: اجلس آبا عبيدة، فسكن روعي، وجلست.
أقرأ هذه قرأت جميعها، فإذا رقاق أصحاب
الشرط في الأرباع، بخبره كلاً واحد منهم بخبر يومه، وما جرى في عمله، وفي جميعها ذكر
كيسات وقت على نساء وجدن على فساد، من بنات الوزراء، والأمراء، والأجلاة، الذين بادوا،
أو ذهبت مرتينهم، وستأتذون في أمرهم.

فقلت: قد وقفت على هذا الرقاق، فما يأمرني به الأمير أعزه الله؟
فقال: وわけではない نداء الناس الذين ورد دخان بنائهم، كلهم كانوا أهل مني،
أو مثل، وقد أفضى بهم الدهر في حرمهم إلى ما قد سمعت، وقد وقع لي أن بناني بعيدي،
سبيلن هذا المبلغ، وقد جمعتني، ونحن خمس في هذه الحجرة، ألفتمنا الساعة، وأستريح، ثم
أدركنا رقة البشرية، والخوف من الله تعالى، فأدرخت أن أشاروك في إمضاء الراي، أو شيء
تشارب علي فيما.

فقلت: أصلح الله الأمير، إن أباء هؤلاء النساء اللواتي قرأتم رقاق أصحاب الأخبار بما
جرى عليهم، أخطأوا في تدبيرهم، لأنهم خلفوا عليهن النعيم، ولم يحفظوهن بالازواج، فخلون
بنفسهم، ونعمهن، ففسد، ولو كانوا جعلوا في عنايت الأفكار، ما جرى منهن هذا.
والذي أرى أن تستملي فلاناً القائد، فله خمسة بنين، كلهم جميل الوجه، حسن اللبس
والنشوة، فتزوج كل واحد من بناته، وأخذا بنين، فتكفي العصر والنار، وتكون قد أخذت بأمر الله
عز وجل، والحزم، وبراك الله تعالى قد أدرخت طاعته في حفظهن، فيحفظن فيه.

فقال: امض الساعة إليه، فقرر معه ما يكون لنا فيه المصلحة، وافرغ لي معه من هذا
الأمر.

قال: فضمت إلى الرجل، وقررت الأمر معه، وأخذت الفتى، وأباه، وجنن إلى دار
إسحاق بن إبراهيم، وعقدت التكاح لهم، على بنات إسحاق، في خطفة واحدة، وجعل إسحاق بين
يدي كل واحد منهم، خمسة آلاف دينار عينًا، وشيناً كثيرًا من الطبخ، والبضائع، وحمل كلًا منهم
على فرس بمركب ذهب، وأعطاني كل واحد من الأزواج مالًا مما دفع إليه، وأمر لي إسحاق
بخمسة آلاف دينار، وخلعة، وطيب.

وأخذ أنيمات البنات هداها وأموالًا جليلة، وشكرتني على تخليص بناتهم من القتل،
وانقلت تلك الغمة فرحًا.

فبعث إلى داري، ومعي ما قيمته ثلاثة آلاف دينار وأكثر.
قصة (80) أبو جعفر بن شيرزاد كان لداره أربعة عشر باباً

حدثنا أبو عبد الله محمد بن أحمد بن شيرزاد، قال: حدثني خالني، وابن عم أبي، أبو جعفر محمد بن يحيى بن شيرزاد، قال:

لما سعي عام بحكم، حتى صرفني عن كتبتي، ونكبتي، وألزمني بمائتي ألف دينار، فأثني أكثرها من غير أن يبيع شيئاً من أملاك الظاهرة.

فلما قاربت وفاتها، استحضرني أحمد بن علي الكوفي كاتبه وكانت له مروة، وأخذ يخاطبني بكلام طويل، وهو تقدمه واعتذار لشيء يريد أن يخاطبني به.

فقال: يا سيدي ما تريد وما بيد حاجة إلى التسبب، فإني بمودتي واق.

فقال: إن هذا الرجل يغني بحكم، قد رفع عليك في صلحك، وضع فيك، وطالبي أن أخذ منك مائتي ألف دينار أخرى، والله، ما هذا عن رأي، ولا لي فيه مدخل، ألا هو من فعلي؟ ولو قدرت على ازالتة عنك لفعلت.

قال: أخذت أحلف ل أنني لا أهدني إلي بها، ولا إلى غيرها، وأن النكبة قد استنفدت مالي، ولم يبق لي شيء إلا دار، وضيتي، وأنا أسميها، ولا أعلم شيئاً منهما، وأخرج له عنهما،ليب لي روح.

قال: فقال الخاطب بيننا، فلم قاس في نفسه صدقي، فكر طويل.

ثم قال: يا سيدي، هذا رجل أعجمي، وعده أن وراءك أضعا هذه المال، وأن فيك من الفضل ما يصلح لقلب دولته عليه، وأنت والله معه في طريق القتل، إلا أن يقفيك الله عزّ وجل، ووذت، ما أحب أن يجري مثل هذا على يدي ولا في أيامي، فيلزمني عاره إلى الأبد، وأجسره على قتل كابنه، فدير خلاصك.

فتحيرت، ثم سكت، وقلت له: تعظيني ميثاقك، وتحلف لي أن سرك في محبة خلاصي كعلايتتك، حتى أقول لك ما عندي فعل.

فحلفت له أنني قد صدقت، وأنني لا أمنع مما يجري علي من بعد هذا اليمين، ولو شاء مني أن أفتح دولتي، وأكتب بين يدي.

وقلت له: أنت وقتلك مقبل، ووقتٌ مدبر، وأنت فارغ القلب، وأنا ذاهل بالمحتمة، فديل أمري الآن كيف شئت، فإني يفتح لك بهاوات الخيل، ما قد استبهم علي.

قال: فقضى، ثم قال: أنا إن أياست هذا الرجل من مالك، لم آمنه على دمك، وإن أطمعته في مالك، وليس لك ما تعلوه به، أنت بك المطالبة إلى اللطف، ولكن الصواب عندي أن أطمغ في ضياعتك، وأصف له جلالتها فأشربها له منك، وأقول له إن ضياع السواد الخرابي قد

(1) التنوخي، الفرج، ج4، ص28.
أجمع شيوخ الكتب بالحضر، قدماً وحديثاً، على أن كل ما كان منه علّنه درهم، فقيمته أربعة دراهم، وأبو جعفر يقول: إن غلة الضيافة بعد الخراج-خصم وعشرون ألف دينار، وإنّه يضمنها بذلك، حاصلاً، خالصاً، بعد الخراج والمؤون، وقيم بذلك كفلاء، فاشتهرها منه مائتي ألف دينار كملاً، ويسكن لعقيقك ملك جليل، وهو مع هذا يؤدي بعثي المصادر الأولى، وتصير ضامناً للضيافة، فالأفعها إليك، ومن ساعة إلى ساعة فرغ، وأنا أحتاج بحيلة في أن يكون الكتاب عندي، فلا أسلمه إليه، فعل حادثة تحدث، وترجع إليك ضياعك، ويكون بالعالج قد تخلصت، وسلم دمك أربع سنين.

قال: فعلمت أنه نصحتي، وأثر خلاصي، وأجبت.

فدخل إلى بجع، ولم يزل معه في محادثات، إلى أن تقرر الأمر على ما قاولني عليه، وحضر الشهداء، وكتب على الكتاب بالإبتهاع، والكتاب الإجارة.

وقال لي: أُلّجَعَ أن تقيم كفاءة بعثي المصادر الأولى، فقد استأذنته في صرك إلى منزلك، وإذا أنصرفت، فانضنِمَ ولا يترك أحد، وكن صندراً، ولا تظهر أنك مستر، فغريبه بك.

قال: فشكريه، وأقطت الكلاء بالمال، إلى أيام معلومة، فصرفتني.

فقدت إلى داري، وكانت متحذراً، أجلس في كل يوم، فيدخل إلي بعض الناس، بقدر ما يعلم أن يداري، فإذا كان نصف النهار، خرجت إلى منازل إخواني، وأقامت يوماً عن هذا، ويوماً عند الآخر، وراعيت أخبار داري، أتوقَّع أن يجنيها من بكيسها، فأكون بحبي لا يعرف خبري، فأناجوا.

فطال ذلك، والسلامة مستمرة، وانحدر بجع إلى وسط، فأنست بالجلوس والاستقرار في داري.

فلما كان في بعض الأيام، ضاق صدري ضيقاً لا أعرف سببه، واستوحشت، وفكرت في أمري، وقلت: إن كسبت على غفلة، فماذا أصنع؟

قال: وكان لداري أربعة عشر باباً، إلى إربعة عشر ستة، وشارعاً، ورقاً، ونافداً، ومنها عدة أبواب لا يعرف جيرانها أنها تفاضي إلى داري، وأكثرها على أبواب الحديد.

قال: فتراها لي، أن أرسلت إلى علماني المقابلة، وكانوا منقرضون عني، قد صرفتهم لثلا بصير لي حديث، فجاونسيا، واجتمع منهم، ومن أولادهم، نحو ثمانية غلام.

فقطت لهم: إذا كان الليلة فاحضروا جميعاً بسلاحك، وبيتوا عندي ليلاً، وأقيموا نهاراً، إلى أن أدرّب أمري.

قال: فعلت ذلك، وفرقتهم في الحجر المقاربة للمجلس الذي كانت أجلس فيه، وقالت: إن كسبت، فشاغلتوني عني من بطنلي، لأنوجو.
قال: وكنت أدير كيف أعمل في قلب الدولة، أو استصلاح بحكم، فلم يقع لي الرأي، ولا أجد إلى ذلك طريقاً.
وكنت أوصيت بوا بي، أن يغلق بابي المعلوم للناس، ولا يفتحه لأحد من خلق الله، إلا بأمرى.
وأجرست غالماً كان يحجبني في أيام الدولة، ومعه عشرون غلاماً بسلاح خلف الباب، وأمرته أن لا يفتح لأحد.
فما مضى لهذا إلا يومان أو ثلاثة، حتى جاعني حاجبي، وقال: دق الباب.
فاللهم من الطريق؟
فقال: أنا عمّام محمد بن ينال الترجمان، وهو وابن بكر التقيب بالباب، يستأذنان على سيدنا بالدخول.
فقال في نفسه: بلذة وله.
وأمرت الغلام، فاجتمعوا بمسرىهم، متسائلين، في بيت له قبة كبيرة، كنت جالساً في أحد اروثة، وأمرتهم أن لا ينسوا بكلمة.
وقلت للحجاب: اصد إلى السطح، فانظر ما ترى، وأخبرني به، ففعل.
وعاد، فقال: رأيت الشراع معلوّا بالخيل والرجال، وقد أحاطوا بالدار من جنبات كثيرة، ولم أر على أراقيهم نحن حيث.
فصاح بي الترجمان، قائلاً: كلمني، وما عليك بأس.
فأخرجت رأسي، فقال: وحيد، ما جننا لكمروه، وما جننا إلا لشارة، فعرف سيدنا بذلك.
فقال: ليس هو في الدار، ولكن أرسله، ثم أخبر الأمير أبيده الله، في غد، برسول إلى داره.
فقال: أنا ها هنا واقف ساعة، إلى أن برى رأيتي.
فكرت، وقتلت: هذه حيلة للقبض علي، لا شيئة في ذلك.
ثم رجعت، وقتلت: يجوز أن يكون بحكم، قد تغيّر على الكوفي، ولا يجد لخدمته غيري، واعترضني الطمع، وكاد أن يفسد رآيتي.
ثم قلت للغلام: إن قلت كم اخرجوا، فسعوا على أبي بكر التقيب، والترجمان أديكم، فاخرجوا وخذوا رأسميما، ولا تستأذنا البتة، فأجابوا.
فقالت: احذروا أن تخالفوا فأحلك.
فقالوا: نعم.
ثم قلت للحاجب: اطلع السطح، وقل له: إنني على حال من إختلاس الفرش والكسوة، ولا أحب معه دخول أحد، فإن رضيت أن تدخل أنت وأبو بكر التقيب فقط، وإلا فأننا أصلح أمرى وأجئ إلى دارك الليلة.

قال: فعاد الغلام، وقال: كلمته، فقال: رضينا بذلك.
فلقت: يا فلان، أخرج، وحذر أن يفتح الباب كله فتدخل الجماعة، وأرى أن تقول له، أن يتبعاد عن الباب إلى الشارع قليلاً، وينزل، ويقصد هو وأبو بكر التقيب فقط، واجعل في الدهليز نفسين فسكان الباب من ناقة الغلام.

فقال: نعم.
ثم قمت بيقني، فأغلقت باب حديد كان بين صحن الدار والدهليز، وجعلت خلفه جماعة غلام بالسلاح.

وقلت: كل لهما أن يدخل، وافتح من الباب الذي على الشارع قليلاً فإن ازدم الناس، وتكاثروا، فهي حيلة، قدغم بهما، وسح، ما هذا؟ فأعلم أنها حيلة، فأخرج من بعض الأبواب، أما هو ففيضون إلى هذا الباب، وهو متقل، ووراء الغلام.

وإن حضرما وحيدين، فقل لهم: الشرط أن أقفل الباب من وراء ظهريما بينما وبين أصحابهما، ثم افتح الباب الذي يلي الشارع، حتى يدخلان، ثم أغلق، وأرم مفاتها من تحت الباب الثاني إليها إلى الصحن، ودق هذا الباب، فإنه وافق ورائه، لأنتم تفتحه، فيدخلان.

ففعل الحاجب ذلك، وحصل أبو بكر التقيب والترجمان في الدهليز وحيدين.
فلما سمعت صوت قفل الباب الخارجي، وأنا عند الباب الداخلي، ودق الحاجب الباب الثاني، ورمى بالمفتاح، عدت إلى مجلسي، فجعلت فيه، ونحت من كنت أقلمته وراء الباب الثاني بالسلاح، وأعدت عليهم الوصية بقتليما إن صحت: يا غلام اخرجوا.

ثم تقدمت إلى غلامة لي كان واقفاً بسلاط، أن يفتح الباب، ويدخلهما، فعل ذلك.
وألقى نفسى على الفرش كانني علي، ودخلما، فلم أوفقما الحق، وأخفيت كلام، كما يفعل العليل.

فقال: أيش خبركم؟
فلقت: أنا منذ أيام علي، وارتعت بحضوركم.
فأخذ الترجمان يحلف أنه ما حضر إلا ليبرنتى إلى منزلتي، واستكتابي لبيكم، فشكرته على ذلك.
وقلت: أنا تائب من التصرف، ولا أصلح له.
فقال: قد أمرني الأمير بمخاطبتك في الخروج إليه، إلى واسط، لتمير هذا الأمر، ولا
يجوز أن أكتب إليه بمثل هذا عنك، ولكن إذا كنت راحداً في الحقيقة، فاخترع إليه، وأحدث
بخدمته عباداً واستغفه، فإنه لا يجبرك.

فقال: هل كنت تشيء توصله إلي؟

فقال: لا، ولكن أقصر على ما كتب به إلي، لعله بمودتتي لك، ولئنا يفسخ الخبر.

فقال: تخفني على كتابه إليك.

فقال: لم أحمله معي.

فعلما أنه قد كتب بالقبض علي، وأنه يتواصل بالحيلة لتحصيلي.

فقال: أنا عليل كما ترى، ولا فضل في السفر، ولكن تجيب الأمير أطل الله بقاءه
بالسمع والطاعة، وأني أخرج بعد أسبوع، إذا استقلت قليلاً.

فقال: يقبح هذا، والوجه أن أخرج.

فقال: لا أقدر.

فراعوني، وراجعته، إلى أن قال: لا بد من خروجه.

فقال: فإني لا أخرج.

فقال: تخرج طالما أو كارها.

فجلس، وظهر في أثر الاحتفاد مع القدرة، وقال: إنني لا أخرج، ولا كرامة لك، فاجهد
جهدك، وذهبت لأصبح بالغمان.

وكأن أبو بكر الن庆典 خبيثاً، فقال: أسأل سيدينا الله العظم أن لا يتكلم بحرف، ويدعني

وهذا الأمر.

ثم أخذ يبد الترجمان وقاما إلى ناحية في المجلس بعيدة، لا أسمع ما يجري بينهما،

فاطلا السرار، ثم جاء إلي.

فأخذ أبو بكر يعتذر إلي مما جرى، ويختارني باللين، ويقول: فبعد كم يخرج سيدينا؟

حتى نقطع بوعده، ونصرف.

فقالت: بعد عشيرة أيام.

فقال: قد رضينا.

فأخذ الترجمان ينزع علي في الكلام، وأبو بكر يغمزه، ويرقع به فلما بلغا إلى قريب من
الدِهْلِيْز، رفع أبو بكر، وجرر الترجمان، معه، وقال: هذا ليس يرفعك حق معرفتك، وعندئذ أن
يقدر يستوفي عليك الحجة، فإن الله إلا ما عرفته ما كان في نفسك أن تعمله بناء، لو استوفينا عليك
المطالبة، لن أقع في مكروه معه ومع الأمير.
فقالت في نفسي: أنا أريد الهرب الساعة، فما معنى مساترتي ليهما ما أردت أن أفعله، ولم لا أظهره ليكون أهيب في نفوسهما؟

فقالت للغلام الذي كان واقهاً على رأسي بلا سلاح: إمسي إلى أصحابنا، وقال لهم أن
يخرجوا، ولا يعملوا ما كنت قلت لهم.

فمضى الغلام، وفتح الباب عليهم، وقال: أخرجوا، ولا تحدثوا على القوم حادثة، فخرجَ
القوم بالسلاح.

فقالت: هؤلاء أعددتهم لدفعهما عن نفسي، إن رمثما قسري على ما لا أوتره.

قال: فمات الترجمان في جلده، واصفر وتحتر.

فقال له أبو بكر: أن تظن أنك بالجبل، وليس تعلم بين يدي من أنت الآن؟ عرفت أن
الرأي كان في يدي، لا في يدك؟ والله، لو زدت في المعنى، لخرج هؤلاء فأخذوا راسك ورأسٍ.

فقالت: معاذ الله، ولكن كانوا يمنعونا من أذائي.

ثم قالت للغلام: كنوا معهما، إلى أن يخرجوا، وظفروا الأبواب خلفهما، فظلوا.
وقمت في الجل فشبت خفاً وإزراً على صورة النساء، واستضحت جماعة من عجائز
داري، وخرجت معهن من باب من تلك الأبواب الخفية، متحترأ، لا أدرى أين أقصد.
فقصدت عدة موضع، كنت قصدت موضعاً، حلمت أنه لا يحملوني، فاتجاوزها إلى أن
كذتي المشي، وقربت من الرصافة، فعن لي أن أقصد خالة المقدر وأطرف نفسي عليها.
فصرفت جميع من كان معي، إلا واحدة، وقصدت دار الخالة، ودخلت دهليزا.
فقام إلى الخادم، وقال: من أقول؟
فقال العجوز: امرأة لا تحب أن تسمى نفسها، فدخل وإذا بالخالة قد خرجت إلى الدهليز.
فقالت لها الأمرأة: يا ستي، تأمرين الخادم بالانصراف، فأمرته، فانصرف.
فكشفت وجهها، وقالت: يا ستي، الله في دمي، اشترتينى، فقالت: يا أبا جعفر، ما
الخبر؟
فقالت: أدخليني، أهذئك?
فقالت: كن مكانك، فإني قد علمت أنك ما حنتني إلا مستراً.
ثم دخلت، فأبطأت، حتى قلت: قد كرهت دخولي، واستخرج إلى من يصرفني، وتعتذر، وهمت
بالانصراف.
وإذا بها قد خرجت، ثم قالت: أريعتك بالانتظار، وما كان ذلك إلا عن احتياط لك، فاندخل.
فدخلت فإذا دارها الأولى -على عظمها- فارغة، ما فيها أحد.
فسلكت بي، والمرأة العجوز، إلى موضع من الدار، فدخلت إلى حجرة، فأفتحت لها بيدها، ومشت
بين أيندينا، حتى أنتهت بها إلى سرداب، فأنزلتنا فيه، ومشينا فيه طويلاً، وهي بين أيندينا، حتى
صعدت منه إلى درجة طويلة، أتت با إلى دار في نهاية الحسن والسرور، وفيها من الفرش، والأ-lat، كل شيء حسن.

وقالت: إنما احتست عنيك، حتى أصلحت لك هذه الدار، وأخليت الأولى، حتى لا يراك الذين كانوا فيها، فيعرف خبرك، فعرفت قصتك.

فكّرتها لها، من أولها إلى آخرها.

فقال: إننا هنا ما شئت، فانظ، إن شهرتي بذلك، فاحفظ نفسك من أن ينتشر خبرك من جهتك، فإن معي من جهتي من يدخل عليك أو يخرج منك، فتهلك نفسك، وتهدئ، فإنيك تعلم أن هذا الرجل ظالم جاهل، لا يعرف حق مثلي.

فقالت: ما معنى غير هذا العجز، ولست أدعها تخرج.

فقالت: هذا هو الصواب.

فأقمت عندما مدته، فكانت تجيتنى كل يوم، وتعرفي أخبار الدنيا، وتحاشيتي ساعة، وترصرف، وتحمل إلى كل شيء فاخر، من المأكل، والمشروب، والبخور، وأخذ بما لم أخدم بمثله في أيام دولتي.

فلما كان في غدة يوم بعد حصولي عندها، قالت: يا أبا جعفر، أنت وحدك، وليس يصح أن يخدمك كل أحد، وقد جعلت عليك هذه الجارية، وآمنت إلى صفيفة كانت معها، في نهاية الحسن والجمال، فاستخدمها، وإنها تقوم مقام فرح، وقد أهدتها لك، وإن انتتحت إلى ما يحتاج إليه الرجال، صلت لذلك أيضاً.

فقالت ذلك، وشكرت، ودعتها.

وتأملت الجارية، فإنها تغني أحسن غناء وأطيبه، فكان عيشها معها أطيب من عيشي أيام الدولة.

ومضى على استتاري نحو شهرين، لا يخرج من عندي أحد، ولا يدخل إلى غير الجارية.

فقالت لها يوماً: قد تطُلعت نفسى إلى معرفة الأخبار، وإنفاذ هذه العجوز إلى من تعرف ذلك مني.

فقالت: فعل، واحفظ جهدي.

فكتب مع العجوز كتاباً إلى وكيل لي أثق به، أمره أن يتعرّف لي الأخبار، ويكتب إلي بها مع العجوز.

ورست له أن ينفذ طيوراً مع غلام أسمته له وكتب به واثقاً من دون سائر غلماني، ويأمره بالمقام، والموكلية على الطيور في كل يوم بالأخبار، وأن يكتب عنى إلى جماعة بواطٍ.

كانت أثق بهم -بأن يمدوا الغلام بالأخبار.
ورستت للعجوز أن لا تعرف الوكيل موضعي، لئلا يظهر شيء من الأمر، ويعقد الوكيل، ويطالب بي، فقبل عليّ.
فعاد الجواب إلى، بما عده من الأخبار، وأنه لا ينقصني يومه، حتى ينفذ الكلام والطيور.
فأمتهت عشرة أيام، ثم رددت العجوز، فأقبلني لي على يدهما، كتابًا وردت على الطيور، فقرأها، ومضي على ذلك مدة.
 فأصبحت يومًا وأنا على نهاية النشاط، والمسار، والانسياق، من غير سبب أعرفه، فقلت للعجوز: امضي إلى فلان، وأعرفي هل ورد عليه كتاب من واسط؟
فمضيت العجوز إلى الوكيل، فهي عندًا، إذ سقط عليه طائر بكتاب، فحمله، وسلمه إليها، من غير أن يقف عليه.
فجاءتني به، فإذا هو من اللام المرتب بواستامة، بتاريخ يومه، وأثره رطيب، كتب في الحال يذكر فيه ورود الأخبار إلى واسط، بقتل الأكراد لبجيم، وأن الناس قد اختلقوا واجوا.
فقيلت الأرض شكاً يا كبير، ومل، وكتب في الحال إلى الكوفي رقية أشركها فيها على جميلة، وأعرقه أنى ما طيت خبري عنه إلى الآن، إلا اشتكى عليّه من أن يسال عنى، فيكون متي هف، لأنه لا يعرف خبري، صادقاً، وأن أقل حقوق ما عاملي به، أن أعره ما يجب أن يتحرز منه، وذكرت له ما ورد من الخبر، وأشدت عليه بالاستنارة.
وألفنت رقعتي إلى ذلك، طال رقصتي إلى الوكيل، وأمرته أن يمضي بها في الوقت إليه.
وقلت للعجوز: إذا مضى الوكيل فاجعي أنت، ولا تعدي في دار الوكيل.
فعادته، وعرفته أن الوكيل توجه إلى الكوفي.
فلم كان بين العشرين من ذلك اليوم رددته إلى الوكيل، وقلت لها: أطرفي بابه، فإن كان في بيته، على حال سلامه فافتحي، وإن كان لك أنه معتقل، أو أن داره موكٌل بها، فانصرفي ولا تستصلي.
فعادت إلى رقعة الوكيل، وجلبها رقعة من أبي عبدالله الكوفي.
وفي رقعة الوكيل: إنه حين أوصى الرقعة إلى الكوفي، بأن له في وجهه الاضطراب، وإنما صلِّي العصر في ذلك اليوم، حتى امتلاً، البلد بأن الكوفي قد استمر، وأن بجيم قد حدثته به حادثة لا تذكر ما هي، وقد عدت بعد العصر إلى دار الكوفي، وفوجدتها مغلقة، وليس عليها أحد، وإنَّى قد ألفنت جواب الكوفي في رقعتي.
ووقرت رقعة الكوفي، فإذا هو يشكرني، ويقول: قد علمت أن مثلك يا سيدي لا يفعل مثل هذا الخبر، ولا يضيع مروته، وأن مثله يجوز أن يكون صحيحًا، وقد تشاكل الذين مع الأمير بالهر، عن أن يكتبوا لي بالحادث، وكتب به من زمانه آتى، كما ذكرت في رفعتك، فأوجب الرأي أن أستظهر لفني، فإن كان الخبر صحيحاً، وهو عندي صحيح، فالرأي معي، وإن كان
بأطلاً، فلا يضرّني ذلك عند صاحبي إن كان حيًا، لأنّه يتصورني جبّانًا لا غير، فيكون أسلم في العاجل.

وقد أنغفت إليك-يا سيدي- طيّ رغعتي هذه، الكتابين الذين كتبتهما عليك في ضياعك بالإتباع والإجارة، ابتغاء إتمام مونكتك، وتعلّم صدقي فيما كنت توسطته، ونصح فيما عاملت ذلك به، فإنّ كأنّ موت الرجل صحيحاً، فقد رفعتك إليك ضياعك، وإن كان بأطلال فإنّه لا يسألني عنهما، ولا يذكرهما، وإن ذكرهما جدّدت أني تسليمتها، وقضيت حقّك بذلك، وأعدّت تعتمذك عليك.

قال: وإذا بالكتابين في طيّ الرقعة، فمزقتهم في الحال.

ولبست من عند الخلاة، خفّاً، وإزراً، بعد أن أعرقتها الصورة، وخرجت مع العجوز، وجلت إلى داري فدخلت من بعض أبوابها الخفية.

فلما كان من الغد، قوي الخبر بقتل بجكم، ففتحت بابي، وفرج الله عني المحنّة.

فلما كان العشاء، أتاني رسول الخلاة، ومعه الجارية، وقال: سيدي تقرّف قلّي، وقلّ إلى ذلك: لم تدع جاريتك عندي؟

قال: وإذا هي قد حملت معها، كل ما كانت قد أخدمته من فرش، وأنّه، وغيرها، من أشياء كثيرة جليلة المقدار.

وقلت: هذا جهاز الجارية، وأتقبل أن تقبله مني.

فقبلته، وردّدت الرسول شاكراً، وقد من الله عليّ بالعود إلى أحسن حال.

قصة (81) مزنة امرأة مروان الجعديّ تلجأ إلى الخيزران جارية المهديّ(1)

حدثني طلحة بن محمد بن جعفر، المقرئ، الشاهد، قال: حدثني أبو عبد الله الحرمي بن أبي العلاء، كاتب القاضي أبي عمر، قال: حدثنا أبو علي الحسن بن محمد بن طالب الدينيار، قال: حدثني الفضل بن العبّاس ابن يعقوب بن سعيد بن الوالي بن سنان بن نافع، مولى العبّاس بن عبد المطلب، قال: حدثني أبي، قال:

ما أتيت زينب بنت سليمان بن علي الهاشمي، قط، فانصرفت من عندها إلا بشيء وإن

قلّ.

وكان لها وصيّة يقول لها: كتاب، فعلقتها.

فلقت لأبي: أنا-و-الله-مشغول القلب بكتاب، جارية زينب.

فقال لي: يا بني اطبعها منها، فإنّها لا تمنك إياها.

فلقت: قد كنت أحبّ أن تكون حاضراً تعيشني عليها.

(1) التنوخي، الفرج، ج4، ص75.
قالت: ليس بك إليّ، ولا إلى غيري من حاجة.

فغدوت إليها، فلمَّا أنقضى السلام، قلت: جعلني الله فذاك، فكرت في حاجة، فسالت أبي
أن يحضر كلاً مناك فيها، لأسعينيه، فاستلمني، فقالت: يا بني، إنّ حاجة لا تقضي لك حتى
تحضر أباك فيها، لحاجة عظيمة القدر.

ثمّ قالت: ما هي؟

فقالت: كتاب، وصيفتك، أحبّ أن تهيبلها لي.

فقالت: أنت مستمّر أحقق، أعدّ، حتى أحدثك شيئًا، أحسن من كل كتاب على وجه
الأرض، وأنتم من كتاب على وعد.

فقالت: هاني، جعلني الله فذاك.

فقالت: كنت من أول أمر، عند الخيزران، ومجلسي ومجلسها- إذا اجتمعنا- في عتبة
باب الرواق، وبالقرب منها في صدر المكان، بردُّقة، ووساندان، وسماً، عليها سبئية، لأمير
المؤمنين.

وهو كثير الدخول إليها والحبوس عليها، فإذا جاء جلس في ذلك الموضوع، وإذا
انصرف، طرحت عليه السبئية إلى وقت رجوعه، فتاني لجلس، إذ دخلت عليها إحدى جواريها،
فقالت: يا ستي، بالباب، مرأّة ما رأيت أحسن منها وجهها، ولا أسرّ حلالًا، عليها قميص ممّا يستر
بعضه موضوعًا من بدنها، إلاّ اكتشف منها موضوع آخر غيره، تستأنّذ عليه.

قالت: التقت إلى، وقالت: ما ترين؟

فقالت: تسألين عن اسمها، وحالها، ثم تذنين لها على علم، فقالت الجارية: قد والله جهدت
بها كلّ الجهد، أن تجعل، فما فعلت، وأرادت الانصرف، فلمعتها.

فقالت للخيزران: وما عليك أن تذني لها، فأتت منها بين ثوب ومكرمة، فأذنت لها.
فدخلت مرأة على أكثر مما وصفت الجارية، وهي مستكشفة، حتى صارت إلى عضادة
الباب، مما يليئي، وكنّت مكنّة.

فقالت: السلام عليكم، فرددنا عليها السلام.

ثم قالت للخيزران: أنا مزنة امرأة مروان بن محمد.

قالت: فلنّا وقع اسمها في أذني، استويت جالسة، ثمّ قلت: مزنة؟

قالت: نعم.

قلت: لا حيالك الله، ولا قربك، الحمد لله الذي أزال نعمتك، وأزال عزتك، وصبرك تكالاً
وعبرة، أتذكرين يا عودة الله، حين أتاك عجائز أهل بني سالم، أن تكلمي صحابك في إنزال
إبراهيم بن محمد من خشبته، فلقيتهن ذلك اللقاء، وأخرجتهن ذلك الإخراج، الحمد لله الذي أزال
نعمتك.
فضحكت-والله-المرأة، حتى كادت تفتقده، وبدأ لها تعطر، وما رأيت أحسن منه قط.
وقالت: أي بنت عم، أي شيء أعجبك من حسن صنع الله بي على ذلك الفعل، حتى
أردت أن تتأسسي بي، والله، لقد فعلتُ بنساء أهل بيتك، ما فعلتُ، فأسلمتني الله إليك جائعة، ذليلة،
عريانة، فكان هذا مقدار شكرك الله تعالى على ما أراك في، ثم قالت: السلام عليكم.
ثم وَلَتْ خَارِجَةٌ تَمْشِي خَلافَ المشيَّةِ التي ذُكِّرت بِهَا.
فلقت للخيرزان: إنَّها مخبأة من الله عزّ وجل، وهديها منه إلىنا، والله-يا خيرزان- لا
تتولى إخراجها مما هي فيه أحد غيري.
ثم هنضت على أثرها، فلمّا أحسست بي أسرعت، وأسرعت خلفها، حتى وافيتها عند
السهر، ولحقتى الخيرزان، فتعلقت بها.
وقلت: يا أخت، المعذرة إلى الله عزّ وجل، وإليك، فإنّي ذكرت، بمكانك، ما نالنا من
المصيبة بصاحبنا، فكان مَّي ما ودّدت أنّي غفلت عنه، ولم أملك نسي.
وأردت معافقتها، وفوجعت يدها في صدري، وقالت: لا تفعل، يا أخت، فإنّي على حال،
أصونك من الدَّون منها.
فردناها، وقلت للجواري: أدخل معها الحمام.
وقلت للمواطنين: أذهب معها، حتى تسألوا حقاتها، وما تحتاج إلى إصلاحها من وجهها.
فغضت، ومضين معها، ودعونا بكرسي، وجلسنا أنا والخيرزان عليه، في صحن الدار،
иنتظر خروجها.
فخرجت إلينا إحدى المواسط وهي تضحك.
فلقت لها: ما تضحك.
فلالت: يا ستّي، إنّا نرى من هذه المرأة عجباً.
فلقت: وما هو؟
فلالت: نحن معها في انتشار، وزجر، وخضوعة، ما تفعلين أنت، ولا ستّان، مثله إذا
خدمناكما.
فلقت للخيرزان: حتى تعلمين-والله- يا أختي أنها حرة رئيسة، والحركة لا تحتشمش من
الأحرار.
وخرجت إلينا جارية أطلتتنا أنّها قد خرجت من الحمام، فوجحت إلينا الخيرزان أصناف
الخلع، فتخزينت منها ما لسته، وبعتنا إليها بطريق كثير، فتعلنت، ثم خرجت إلينا.
فقطنا جميعاً، فانفتاحاها، فقالت: الآن، نعم.
ثم جنتنا إلى الموضوع الذي يجلس فيه أمير المؤمنين المهدي، فأقدعناها فيه.
ثم قالت الخيرزان: إنّ غداً أنا قد تأخر، فهل لك في الطريق؟
قالت: والله ما فيكون من هي أجْرِي إليكْ مَنِي.
فَذَخَّرْتَ فِي النَّارِ، فَجَعَلْتَ ثَقَالَهُ، وَتَضَعْتَ بِينَ أَيْدِيْنَا، حَتَّى كَانَتْۡ فِي مَنْزِلٍ.
فَلَمَّا فَرَغْنَا مِنَ الْأَكْلِ، قَالَتْ لِهَا الْخُيْزِرِنَّ: مُنْ لَكَ مَنْ تَعْنِينُ بِهِ؟
قَالَتْ; مَا لِي وَرَاءَ هَذَا الحَائِثِ أَحَدٌ مِنْ خَلْقِ اللَّهِ الْعَلَّاِيِّ.
فَقَالَتْ لِهَا الْخُيْزِرِنَّ: فَيَلُوُّ لَكَ فِي النَّقَامِ عِنْدَا، عَلَى أَنْ نَخْلِي لَكَ مَقْصُورَةٌ مِنْ المَقَاضِرِ،
وِيَحْوَّلِ إِلَيْهَا جَمِيعٌ مَا تَحْتَاجِنَّ إِلَيْهِ، وَيُسْتَمَّنُ بِعَضُناءٍ بِعَضُناءٍ؟
فَقَالَتْ: مَا دَرَتْ إِلَّا عَلَى أَلْلَ حَلَّ، وَإِنْذَلَّتْ أَنْتَ عُزَّ وَجَلَّ- عَلَى بَكُمْ، وَبِهِذَا
النَّمَّة، فَلَا أَلْلَ حَلَّ لَمْ يَكُنْ لَهُ الشَّكْرُ لَأَمِيرِ الْمُؤْمِنَينَ لَمْ يَكُنْ نَعْمَةً، وَلَكَمْ، فَأَفْتَلِي مَا بَدَالُكَ، وَمَا
أَحْبَتُ.
فَقَامَتْ الْخُيْزِرِنَّ، وَقُمَتْ مَعَهَا، وَأَقْنَاهَا مَعَنَا، وَدَخَلْنَا نَطُوفٌ فِي الْمَقَاضِرِ، فَأَخْتَارَتْ-وَلَّدُ-
أَوْسَعَهَا، وأَقْسَهَا.
فَمَكَأَتْهَا الْخُيْزِرِنَّ، بِالجَعِرَاءِ، وَالْوُصَائِفِ، وَالْخَمْدِ، وَالْقَرْشِ، وَالْآَلَاتِ، ثُمَّ قَالَتْ: نَصَرِفُ عَنَّكَ،
وَعَلِيكَ بِنَظْلَكَ، حَتَّى تُصْلِبَهَا فَخْنَفَتْهَا فِي الْمَقْصُورَةَ، وَنَصَرَفْنَا إِلَى مَوْضُعَنَا.
فَقَالَتْ الْخُيْزِرِنَّ: إِنَّ هَذِهِ أَمْرَةٌ رَئِيسَةٌ، وَقَدْ عَضَنُّهَا الْقُرُورُ، وَلَيْسَ يَمْلَأُ عَيْنَهَا إِلَّا الْمَالُ، ثُمَّ بَعْثَتْ
إِلَيْهَا بِخَمْسَة أَلَفَ دِينَارٍ، وَمَائَةٌ أَلَفٌ دِينَارٍ.
وَأَرْسَلَتْ إِلَيْهَا: تُكُونَ هَذِهِ فِي خَزَانَتِكَ، وَوَظُيَّفَتْكَ، وَوَوْضِيَّةٌ حَشْمَكَ، قَانِمَ فِي كَلِّ يَوْمٍ،ٍ مَعَ وَظِيفَتِنَا.
ثُمَّ لَمْ نَلْبِثَ أَنْ دَخُلْ عَلَيْنَا الْمُهَدِي، فَقَلَتْ لَهَا: يَا سَيِّدِي، لَكَ-وَلَّدُ- عَنْدِي حَدِيثٌ طَفِيفٌ.
فَقَالَ: مَا هُوُ؟ فِحَدَّثْنِي بَالْخَبِيرِ.
فَلَمَّا قَلَتْ لَهَا مَا كَانَ مَنِيَّ، مِنَ الْوَوْثُوبِ عَلَيْهَا، وَإِسْمَاعُهَا، إِقْشَعُهَا، وَأَصِرْفُهَا.
ثُمَّ قَالَ: يَا زَيْنِبُ، هَذِهِ مَقْدَارٌ شَكْرًكَ لَكَ عُزَّ وَجَلَّ، وَقَدْ أَكْنَكَ مِنْ عَدْوَكَ، وَأَفْتَرَكَ يَدًا، عَلَى
هذِيهِ النَّهَالِ الَّذِي تَصِفْنِيٌّ: وَلَّدُ، لَوْلَا مَكَانٌ مِنِيٌّ، لَحَلَفَتْ أَنْ لَا أَكُنْ أَبْدَا، أَيْنَ الْمَرَآةُ؟
قَالَتْ: فَوَقَفَتْ حَيْثُ عِبَدَكُمْ، فَلَمَّا وَقَدْ جِلْتُ إِلَيْهَا الْخُيْزِرِنَّ، بِصُوْبُعِ فُطْهَا، وَجَزَاءً خَيْراً.
ثُمَّ قَالَ لِخَادِمِي بَيْنِ يَدِهِ: اَحْمَلْ إِلَيْهَا عَشَرَةٌ أَلَفَ دِينَارٍ، وَمَائَةٌ أَلَفٌ دِينَارٍ، وَبِلَّغَهَا سَلَامٍ،
وَأَعْلَمُهَا أَنَّهَا لَوْلَا خَوْفٌ مِنْ اِحْتِشَامِهَا لَسُرْتُ إِلَيْهَا مُسْلِمَاً عَلَيْهَا، وَمُخْبِرَاً لَهَا بِسْرُورِي بِهَا، فَقَلَّ
لَهَا: أَنَا أَخِوكُ، وَجَمِيعٌ مَا يَنْفَذُ فِيهِ أَمْرِي، فَأَفْرَكَهُ فِيهِ نَافِتْ مِقْبُولَ.
قَالَتْ زَيْنِبَتْ: إِذَا إِنَّهَا قَدْ وَرَدَتْ إِلَيْنَا مَعَ الخَادِمِ، وَعَلَى رَأْسِهَا دِوَاجَ مِلْحَمٍ، حَتَّى جَلَّسَ.
فَقَالَتْ الْمُهَدِيْنَ: أَحْسِنُ لَقَاءً، فَأَقْعَدْهَا عَنْهَا صَاعَةً، تَحَادَثُهَا، ثُمَّ انْصَرَفْتُ إِلَى مَقْصُورَتِهَا.
فَهَذَا الحَدِيثُ يَا بَنِيٍّ، خَيْرٌ لَكَ مِنْ كَتَابٍ.
قَالَ: فَأَمْسَكتُ.
فَقَالَتْ: لَيْ: قَدْ اعْتَمَتْ؟
قال: فلما نام الناس، رأيت القرد قد قلغ المسمر الذي في السلسلة، ومشي نحو المرأة، فلم أعلم ما يريد.

فجعت، فرأيت القرد، فرجع إلى مكانه، فجلس، ففعل ذلك دفعات، وفعلته.

فلمّا طال عليه الأمر، جاء إلى خرج القرد، ففتحه، وأخرج منه صرة دراهم، خمّنت أن

فيها أكثر من مائة درهم، فرمى بها إلى

فجعت من أمره، وقتت: أمسك، لأنظر ما يفعل، فلمسكت

فجاء إلى المرأة، فمكنته من نفسها، فوطأها.

فاغتممت بتمكيني إياها من ذلك، وحفظت الصرئة.

فلمّا كان من غد، صاح القراد، يطلب ما ذهب منه.

وقال لصاحب الخنان: قردي يعرف من أخذ الصرئة، فاضبط باب الخنان، واقعد أن أنت

والقرد، ويخرج الناس، فمن علق به القرد فهو خاصم، فعل ذلك.

وأقبل الناس يخرجون، وقلد ساكت لا يتكلم، وخرجت فما عرض لي، فوقعت خرج

الخان أنظر ما يجري، فلمّا لم يبق إلا يهودي، فخرج، ففعل به القرد.

فقال القراد: هذا خاصم، وجعلني ليحمله إلى صاحب الشرطة، فلما استحل السكوت.

فقلت: يا قوم ليس اليهودي صاحبكم، والصرئة معي، ولي قصة عجيبة في أخذهما,

وأخرجتها، وقصصت عليهم القصة.

فهمنها إلى صاحب الشرطة، وحضرت الرفقة، فريقوا صاحب الشرطة محلي، ونزلت،

ويسري، وأقبل القراد يحبذ عن قرده.

(1) الأنتوخي، القرد، ج4، ص146.
فما برحت حتى أمر صاحب الشرطة بقتل القرد، وطلبت المرأة، فهرت، وسلم اليهودي.

قصة (٨٣) قصة ابن التمساح

وحكى أبو علي محمد بن الحسن بن المظفر الكاتب المعروف بالحاتمي، قال:
رأيت بمصر رجلاً يعرف بابن التمساح، فسألت جماعة من أجل مصر، من العامة، عن ذلك.

قالوا: هذا وطئ التمساح أمه، فولدتها.

فكبت ذلك، وبحثت عن الخبر، فأخبرني جماعة من عقلاء مصر، أن التمساح بها يأخذ الناس من الماء فيفطره.

وربما أخذته وهو شبعان، فحمل المأخوذ بيده على صدره، حتى يجيء به إلى أجراف أسفل مصر بمسافة، وهي جبال حجرة فيها مغارات إلى النيل، لا يصل إليها الماشي ولا ساكن الماء لبدها عن الجهتين.

فيتسلق التمساح إلى بعض المغارات، فيбудع بها الإنسان الذي أخذه، حيًا أو ميتًا بحسب الاتفاق.

ويمضي.

فإذا جاء ولم يظهر شيء، عاد إلى الموضع فيفطر الإنسان الذي خيأه هناك.

قال: فكان قد قبض على امرأة في بعض الأوقات، فجعلها في المغارة، فذكرت المرأة:
أنها حينما استقرت في المغارة، وانصرف التمساح، رأت هناك رجلاً حيًا، وأثار جماعة قد افترسهم التمساح.

وأنها سألت الرجل عن أمره، فذكر أن التمساح تركه هناك منذ يومين.

قالت: وأخذ الرجل يؤمني بالحديث، إلى أن طالبني بنفسه.

فلقت: يا هذا اتق الله.

فقال: التمساح قد مضى، ومن ساعة إلى ساعة فرج، ولعل أن تجتاز بنا سفينة قبل عودته فنطرح أنفسنا إليها.

فوعظته، فلم يلتفت إلى كلامي، واغتصبني نفسياً، ووافقني.

وأما نزل حتى جاء التمساح، فأخذته من فوقى، ومضى، وفتقه كالمتونة فزعاً.

(1) الأنفوخ، الفرج، ج4، ص168.
فانا كذلك، إذ سمعت وقع حوافر الخيل، وصوت آقدام كثيرين، فأخرجت رأسي من الغار، وصحبت واستغنت، فاططع أحدهم.

وقال: ما أنت؟

فلقت: حديثي طريف، أرموا لي حبالاً اثنصص به إليكم.

فرموا لي حبالاً، فشددت نفسي، واستظهرت جهدي، وأطراف الحبل في أيديهم.

فلقت: احذروني.

فجذبني، قصرت معهم على ظهر المغارة، بعد أن تهنت، ولسلخت بدي.

فسألوني عن خبري، فأخبرني، فاركبوني شيئاً، وأدخلني البلد، فلمما كان وقت عادة حيضي، تأخرت عني، ثم ظهر الحمل، فولدت أبني هذا بعد تسعة أشهر.

وكرهت أن أخبر كل أحد بهذا الحدث، فنسبت ذلك إلى النمساح، واستمر أمري بذلك.

قصة (84) يا صديق الإحسان لـ الحمد

حتثنا أبو الحسن أحمد بن يوسف بن عفيق بن البهلول التنوخي، قال:

كان بذل بعباب الشام من الجانب الغربي من بغداد رجل مشهور بالزهد والعبادة، يقال له: لبيب العابد، لا يعرف إلا هذا.

وكان الناس يتناوله، وكان صديقاً لأبي، فحتثنا لبيب، قال:

كنت مملوكاً رومياً لبعض الجندي، فرائني، وغلماني العمل بالسلاح، حتى صرت رجلاً، ومات مولاي بعد أن اعتني.

فتوصلت إلى أن حصلت رزقة لي، وتزوجت بامرئته، وقد علم الله أنني لم أرد بذلك إلا صيانتها، فأقامت بها مدة.

ثم أتفقت أنني رأيت يوماً حياتي داخلة في حجرها، فأمسكت ذنبها، فانتشلت علي، فنهشت.

بيدي، فشلت.

ومضى على ذلك زمن طويل، فشلت يدي الأخرى، لتحترس أعرفه، ثم جفت رجلاني، ثم عميت، ثم خرس.

وكنت على ذلك الحال - ملقي - سنة كاملة، لم تبق لي جراحه صحيحة، إلا فصي، أسمع به ما كره، وأنا طريح على ظهري، لا أقدر على الكلام، ولا على الحركة، وكنت أسى وأنا ريان، واترك وأنا عطشان، وأهم وأنا جائع، وأطعم وأنا شبعان.

فلما كان بعد سنة، دخلت إمرأة إلى زوجتي، فقالت: كيف أبو علي، لبيب؟

(1) التنوخي، الفرج، ج4، ص196.
فقالت لها زوجتي: لا حي فيرجي، ولا ميت فيسلى.
فأتلفتي ذلك، وألمني ألمًا شديداً، وبيعت، ورغبتي إلى الله عزّ وجل في سري بالدعاء.
وكنت في جميع تلك الحال لا أجد ألمًا في جسمي، فلمّا كان في بقية ذلك اليوم، ضرب
علي جسمي ضربينًا عظيماً كاد يقتلني، ولم أزال على ذلك الحال، إلى أن دخل الليل وانتصف،
فسكن الأيام قليلاً، فتمت.
فما أحسست إلاّ وقد انتهت وقت السحر، وإحدى يدي على صدرتي، وقد كانت طول
هذه السنة مطروحة على الفراش لا تتشال أو تشال.
ثم وقع في قلبي أن أتعلّم تحركيها، فتحركتها، فتحركت، ففرحنا بذلك فرحًا شديداً،
وقوي طعمي في تفاضل الله عزّ وجل علي بالعافية.
فتحركت الأخرى فتحركت، فقبضت إحدى رجلي فانقضت، فردتها فرجعت، فعلت
مثل ذلك مرارًا.
ثم رمت الانقلاب من غير أن يقبلني أحد كما كان يفعل بي أولاً، فانقلت بنفسي،
وجلست.
ورمت القيام فأمكنني، فقمت ونزلت عن السرير الذي كنت مطروحاً عليه، وكان في
بيت من الدار.
فمشيت النمس الحائط في الظلمة، لأنه لم يكن هناك سراج، إلى أن وقعت على الباب،
وأنا لا أطماع في بصري.
فخرجت من البيت إلى صحن الدار، فرأيت السماء والكواكب تزهر، فكنت أمومت فرحاً.
وانطلق لسانى بأن قلت: يا قديم الإحسان، نادح. ثم صحت بزوجتي، فقالت: أبو علي؟
فقلت: الساعة صرت أبو علي? أسرجي، فأسرجت.
فقلت: جبيني بمرض، فجاءت به، فقصصت شارباً لي كان بزيّ الجند.
فقال زوجتي: ما تصنع. الساعة بعيبك رفواك.
فقالت: بعد هذا لا أخدم أحداً غير ربي.
فاطعتن إلى الله عزّ وجل، وخرجت من الدار، وطلقت الزوجة، ولزمت عبادة ربي.
وقال أبو الحسن: وخير هذا الرجل معروف مشهور، وكانت هذه الكلمة: يا قديم
الإحسان لك الحمد، صارت عادته، يقولها في حصن كلهام.
وكان يقول إنّ مجاب الدعوة، فقلت له يومًا: إن الناس يقولون إنما رأيت النبي صلى الله
عليه وسلم في منامك، فمسح يده عليك، فقرنت.
فقال: ما كان لعافيتي سبب غير ما عرفتك.
قصة (85) إسحاق الموصلي يتطفل ويقترح

 حينئذى أبو الفرج المعروف بالأصبهاني رحمه الله تعالى، إملاء من حفظه، وكتبه عنه في أصول سمااعاتي منه، ولم يحضرني كتابه فألقته منه، فأثبتته من حفظي، وتوختي ألقاظه بجهدي، قال: حديثي محمد بن مزيد بن أبي الأزهر، قال: حديثنا حماد بن إسحاق بن إبراهيم الموصلي، قال: حديثي أبي، قال:

 غدبت يوماً، وانا ضجر من مل Zika دار الخلافة، والخدمة فيها، فركبت بكرة، ووعزمت على أن أطرف الصحرا، وأتفرج بها.

 فقلت لعلماني: إن جاء رسول الخليفة، فعرقوه أني بكرت في مهم لي، وأنكم لا تعرفون أين توجيت ومضيت، وطلقت ما بدا لي، ثم عدت وقد حمي النهار، فوقفت في شارع المخزوم، في الظل، عند جناح رحب في الطريق، لأستريح.

 فلم أبث أن جاهد خادم يقوده حماراً فارها، عليه جارية، وأركض، تحتها منديل دبقي، وعلى لها من اللباس الفاخر ما لا غاية وراءه، ورأيت لها قواماً قدا، وطرفاً فاتتاً، وشمائل فضيفة، فحدست أنها مغنية.

 فدخلت الدار التي كنت واقفاً عليها، وعلقها قلبي في الوقت علوقاً شديداً، لم أستطع معه البراح.

 فلم أبث إلا يسرنا، حتى أقبل رجلان شبان جميلان، لهما هيبة تدل على قدرهما، راكبان، فاستذاننا، فأذن لهما، فحملني حب الجارية على أن ننزل معهما، ودخلت بدخلهما، فظناً أن صاحب الدار دعائي، وظن صاحب الدار أني معيما.

 فجلسنا، فأتي بالطعام فأكلنا، وبالشراب فوضع، وخرجت الجارية، وفي يدها عود، فأرقتها حساناً، وتمكننا ما في قلبي منها، وغنت غناء صالحًا، وشربت.

 وقامت قومة للبول، فسأل صاحب المنزل من الفتين عني، فأخبرته أنهما لا يعرفانى، فقال: هذا طفيلي، ولكن، ظريف، فأجملوا عشراها.

 وجبت، وجلست، وغنت الجارية في لحن لي:

 أمام المطايا تستريح وتتمحّش
شعاع الضحى في منتها يتوضّح

---

(1) التنوخي، الفرج، ج4، ص372.
فأدت أداة صالحة، ثم غنت أصواتاً فيها من صنعتي:
الفارقتها الأوانس
فهي قفر بسباس
فكان آثرها فيه أصلح من الأول، ثم غنت أصواتاً من القديم والمحدث، وغنت في
أضعافها من صنعتي، في شعري:
قل لمن صد عاتبًا
ونأى عنها، كأنها ت
وإنه كنت لا أعبأ
واعترفنا بما أاذن
فكان أصلح ما غنته، فاستعاده منها لصالحه لها، فأقبل على رجل منهم، فقال: ما رأيت
طفيلي أصفق منك وجهًا، لم ترض بالطفل حتى اقتربت، وهذا تصديق للمتل: طفيلي ويترح،
فأطرقت، ولم يعجب، وجعل صاحبه يفكّ عنى، فلا يكف. ثم قاموا إلى الصلاة، وتأخرت، فأخذت العود، وشدت طبقيته، وأصلحته إصلاحاً محكمًا،
وعدت إلى موضعه، فصلبت، وعادوا، وأخذ الرجل في عرشه على: وأن صامت. وأخذت الجارية العود، وجسته، فانكرت حالي، وقالت، من مس عودي؟
قالوا: ما سما أخذ:
قالت: بلى، والله، قد مسّ حانق منفذي، وشد طبقيته، وأصلحه إصلاح متمكن من صنعته.
قلت لها: أنا أصلحتيه.
قالت: باشا عليك، خذ، فضرب به.
فأخذته، وضربت به مبدأ استياء، فيه نفرات محركة، فما بقي في المجلس أحد إلا وثب فجلس
بين يدي.
وقالوا: باشا عليك يا سيدنا، أتغني؟
قلت: نعم، وأعرفكم نفسي أيضًا، أن إسحاق بن إبراهيم الموصلي، وإني- والله- لأنبه
على الخليفة، وأنتم تستمتعون اليوم، لأن تصلّحوا بمعبد هذه الجارية، وواحد، لا نطقت
بحرف، ولا جلست معكم، أو تخرجوا هذا المائد.
وذهبت لأخرج، فتعلقت ببي، فلم أرجع، فلمغناة الجارية، فتعلقت ب، فلنت، وقلت: لا
جلس حتى تخرجوا هذا البغيض.
قال قال له صاحبه: من هذا كنت أخاف عليك، فأخذ يتعتر.
قلت: أجل، ولكني، والله، لا أطلق بحرف وهو حاضر، فأخذوا بيده، فأخرجوه.
فبدأت أغنى الأصوات التي غنتها الجارية من صنعتي، فطرب صاحب البيت طرها
شديداً، وقال: هل لك في أمر أعرضه عليك؟
قصة (86) ما ثمانية وأربعة واثنان

أخيرني أبو الفرج الأصفهاني، قال: أخبرني أبو بكر محمد بن القاسم بن بشَّار الأتباري، قال: حدثني أبي، قال: حدثني أحمد بن عبيد، عن الليث بن عثي، عن عبد الملك بن عمير، قال: قدم علينا عمر بن هبيرة الكوفة، فرسل إلى عشرة، أنا أحدهم، من وجه أهل الكوفة، فسمعنا عنه.

ثم قال: يحدثنا كل رجل منكم أحدثه، وأبداً أنت يا أبا عمرو.

فقال: أصلح الله الأمير، أحدث الحق، أم حديث الباطل؟

فقال: بل حديث الحق.

فقال: إنّ الأمر القيس بن حجر الكندي، آلي آلهة، أن لا يتزوج بامرأة حتى يسألها عن ثماني، وأربعة، واثنين، فجعل يخطب النساء، فإذا سألن عنها، قلن: أربعة عشر.
فبينا هو يسير في الليل، وإذا هو برجل يحمل إبنته لي صغيرة، كأنها القمر لتمه، فأعجبته.

فقال لها: يا بارحة، ما ثمانية، وأربعة، وأثنان؟

فقالت: أماماً الثمانية: أططباء الكلية، وأمام الأربعة: فأخلاقي الفاقه، وأمام إثنان: فشبا المرأة. فخطبتها من أبيها، فزوجها منها، وشترطت هي عليه، أن تسأل ليلة يأتيها، عن ثلاث خصال، فجعل لها ذلك، على نفسه، وعلى أن يسوق لها مائة من الإبل، وعشرة أعبد، وعشر.

وصائف، وثلاثة أفراس، ففعل ذلك.

ثم إنه بعث عمداً له إلى المرأة، وأهدى إليها نحي من سمن، ونحياً من عسل، وحلة من قصب.

فنزل العبد بعض المياه، فنشر الحلة، ولبسها، فتعلقت بشجرة فانشقت، وفتح البحرين، وأطعم أهل الماء منها.

ثم قدم على حي المرأة، وهم خلوف، فسألهها عن أبيها، وأمها، وأخيها، ودفع إليها هديتها.

فقالت: أعلم وراء، أن أبي ذهب يقرب بعيداً، ويعد قريباً، وأن أمي ذهبت تشق النفس نفسين، وأن آخر يراعي الشمس، وأن سماكة انشدت، وأن واعينهما نضبباً.

فقدم الغلام على موالاه، و sacrific بهما قالت.

فقال: أما قولوا: ذهب أبي يقرب بعيداً، ويبعد قريباً، فإن أياها ذهب يحلف قوماً على قومه.

وأما قولوا: ذهب أمي تشق النفس نفسين، فإن أمها ذهبت تقبل إمرأة.

وأما قولوا: أن أخي يراعي الشمس فإن أخاه في سرح له يرعاها فهو ينظر وجهب الشمس ليروح.

وأما قولوا: إن سماكة انشدت، فإن الحلة التي بعثت بها معك انشقت.

وأما قولوا: إن واعينكما نضبا، فإن البحرين الذين بعثت بهما نقصاً، فأصدقني.

فقال: يا موالاه، إنني نزلت بما من مياه العرب، فسألوني عن نسيب، فأخبرتم أني ابن عمك، ونشرت الحلة فليسستها، وتمتت بها، فتعلقت بشجرة، فانشقت، وفتحت البحرين، فأطعت منهما أهل الماء.

فقال: أولى لك.

ثم ساق مائة من الإبل، وخرج نحوها، ومعه الغلام، فنزل منزلاً.

فقام الغلام ليسفي، فعرج، فأعانه إمرؤ القيس، فرمى به الغلام في البئر، وانصرف حتى.

أتى المرأة بالإبل، فأخبرهم أنه زوجها.

فقيل لها: قد جاء زوجاك.
فقالت: والله، لا أدرى أهو زوجي أم لا، ولكن انحروا له جزوراً، وأطعموه كرشفها وذنبها فأكل ما أطعموه اقتبلت: أسوؤه لبناً حازراً، فأبى أن يشرب، وقال: أين الضرب والزبد؟
فقالت: أفروبا له عند الفرث والدم، فأبى أين ينام، وقال: أفروبا لي فوق التلعة الحمراء، واضروبا لي عليها خباء.

ثم أرسلت إليه تقول: هات شرطي عليك في المسائل الثلاث، فأرسل إليها سلي عما شئت.

فقال: فكان ابنه حازراً وهو الحامض فشرب فقالت: أفروبا له عند الفرث والدم فكرروا له فنام.
فلما: أصبحت أرسلت إليه في أريد أن أسألك.
فقال: سلي عما بدا لك.
فقالت: مم تختلط شفتاك.
فقال: لتقهيلي فاك.
فقالت: مم يختلط نحشاك.
قال: لاوينشيامي إياك.
فقالت: فاك يختلط فذاك.
قال: مم أنارك إياك.
فقالت: مم يختلط بفواك.
قال: ومر قوم فاستخرجوا أمراء الفيس من البئر إلى حيه، واستقاق مائة من الأيل، وأقيل إلى مرأتها.

فقيل لها: قد جاء زوجك.
فقالت: والله ما أدرى أهو زوجي أم لا ولكن انحروا له جزوراً وأطعموه كرشفها وذنبها.
فعلوا فلما أتى ذلك قال: إين الكبد والسنا والملحة وأبي أن يأكل.
فقالت: مم تختلط شفتاك؟
قال: نتشكي المشعشعات.
فقالت: مم يختلط نحشاك؟
قال: للبيش الحبارات.
فقالت: مم يختلط حذاك؟
قال: لركبي السفقات.
فقالت: هذا هو زوجي، فعليكم به، فقلت انحروا العيد، فقلت، وأقبل أمرؤ الفيس على الجارية.
فقال ابن هبرة: لا خير في سائر الحديث الليلة، بعد حديثك يا أبا عمرو، ولن يأتينا أحد.

بأعجي منه، فقموا، وانصرفنا، وأمر لي بجائزة.
قصة (87) أين اختبا الأسدي

وجدت في كتاب المتيمين للمدائني:

أن رجلاً من بني أسد، علق امرأة من همدان بالكوفة، وشاع أمرهما، فوضع قوم المرأة عليه عيوناً، حتى أخبروا أنهم قد أتوا في منزلها، فأفرأوا داراً، واحتفلوا بها.

فلما رأى ذلك، ولم تجد للرجل موهباً، وكانت المرأة بادنة، فقالت له: ما أرى لك موضوعًا أسترك من أن أدخل خلف ظهري، وتلزمني، فأخذته بيني وبين القميص، ونزلها من خلفها.

ودخل القوم، فداروا في الدار، حتى لم يتركوا موضوعًا إلا فتى، فلما لم يجدوا الرجل، استحبوا من فعلهم، وأغلظت المرأة عليهم، وعاقبتهن، فخرجوا.

وأنشأ الرجل يقول:

فحصب أصفاني وحبك قابلي
فجأت إلى النفس أول مرة معرفتي
رويدك حتى تنظري عمًا تنجلي
مره أتتني الرسائل المتألق

قصة (88)

حدث نمير الهلاللي قال: كان من فتيان بني هلال فتى يقال له بشر بن عبد الله يعرف بالاشتهر، وكان من سادات بني هلال أحسنهم وجهًا، وأسخاه كفاً، وكان معجبًا بحارة من قومه تدعي جيدها وكانت بارعة في الرقص والجمال والكمال، ثم أشتهر أمرها وأمرها وظهر خبرها، ووقع الشر بينها، إلى أن كانت بين الفريقين دماء، ثم افترقوا وابتدعت منازلهم، قال نمير: فلما طال على الأشتر الفراق، وتمادى به الأعداء، جاء بنا فقال: يا نمير هل من خبر؟ قلت: عندي، قلت ما أحببت فقال: متعمدتي على زيارة جيدها، فقد أذهب الشوق روجي، قلت: نعم، بالحب والكرامة، فانضمتنا إذا شئت، فركبت معه وسرنا يوماً وليلنا العشاء والغداء، حتى إذا كان العشاء

أنخننا رواحنا في شعب قريب من الفريق، فقال: يا نمير أذهب فأتفس بالناس، وانظر أن تأتي أحدًا لطلب ضالة، ولا تعرض بذكري بين شفة وسلمان، إلا أن تلقى جاريتها فلانت راوية

عنهم فأقرها مني السلام وسلوها عن الخبر، وأعلمتها موضوعي. قال نمير: فخرجت لا أعد ما أمني به حتى لقيت الجارية، فأبلغتها الرسالة وأعلمتها مكانه، وسألت عنها الخبر، فقالت هي

(1) التوخي، الفرج، ج4، ص422.
(2) المستجد، ص49.
والله مشدّد عليها محفظًة بها، ولكن موعد كم أولئك الشجرات اللواتي عند أعقاب البوت مع صلالة الغداء الآخرة. قال: فانصرفت إلى صاحب فأعلمه الخبر، ثم نضعت أنا وأي إنا نقود رواحلنا حتى أتتنا الموت في الوقت الموعود، فلم نثبت إلا قليلاً وإذا جيدة تمثّي قريباً منا، فوُثب الأشتر فصافحها وسلم عليها، وقامت أنا مولياً عننا قائلة: نسمع عليك ألا رجعت، مرحلة ما نحن في مكره، ولا بيننا ما يستر عنك، فرجعت إلى البيت فجلست معه. فقال لها الشتر ما فيك حيلة يا جيدة فتعلّه الليلة، قالت: لا والله ما لي إلى ذلك من سبيل إلا أن يرجع الذي عرفت من البلاء والشر، فقال لها. لا بد من ذلك، وله كان ماعني أن يكون، فقال: فهل في صاحبك هذا من خبر؟ قالت: قولي ما بدا لك، فإني أنهي إلى رايل، ولو كان ذلك ذهاباً، ففعلت ثيابها فقالت لي: أليست واعظني ثيابك، فعلت، ثم قالت، أذهب إلى بيتي فأدخل في سري فإن زوجي سيأتيك يطلب منك الفتح ليحلّ فيه، ثم يأتيك بعد فراغه من الحلب والفوائد لن تكون: هاكم عروقة، فلا تأخذه منه حتى تثقي ذلك عليه، ثم خذه أو دعه حتى يضعه ويهده، وليست تراه حتى تصبح أن شاء الله تعالى.

فقال: فذهبت ففعلت ما أمرتي به، حتى إذا جاء الفتح، قلت، أخذه منه حتى تثقي ذلك عليه، ثم أهويت لأخذه، فهاذه هو ليضعه فدخلت إلى البيت، فسكت عليه، فراح يهديه في السري، وأوّل الوصايا فسكت عنه، فقامت إليه، وأما الأشتر فقد ركذ آخر الدهر. خرجت عن عندي وقالت: سأرسل إليك أختك تؤنسك الليلة، فلبستت غير كثير، وإذا بالسيدة قد جاءت، فجعلت تبتكي وتدعو على من ضربني، وأنا أنا أكلما ثم أضحت إلى جنبي، فلما استمكت منها شدّدت يدي فيها وقتل: يا هذه تلك أختك مع الأشتر عند الشجرات، وقد قطع ظهرها الليلة ببسب بها، وأتت أولى بالسهر عليها، فاخرت أنفسك وله، والله لن تتلك بكلمة لأصبح أنا بجيدي حتى تكون الفضيلة شاملة، ثم رفعت يدي عن فيها، فاتبعت كما تقتضي القصة، ثم أرسل به مني، بثت فانست، والله معي أحسن رفيع رفائق قط، ولم نزل نتحدث وضحك حتى وما لنا، وتمكت منها تمكناً من لو ريبة قدر عليها، ولكن الله عصم فله الحمد، ولم نزل كذلك حتى برق الفجر، وإذا جيدة قد دخلت علينا، فلما رأيتها أردت وقالت: وحكي من هذا قلت: أختك قالت: وما الخبر؟ قلت: هي تخبرك فإنا نعم الأخ، وانهذخت تابية ومضبت إلى صاحبي فركبت أنا وهو، وحدثته ما
أصابني، وكشفت له عن ظهري، فإذا فيه ضرب رمي الله ضاربه بالنار الصلب كل ضربة يخرج منها الدم، فلما رأى ذلك قال: قد عظم منيعك، ووجب شكرك، وطالت يدك، فلا حرمني الله مكافأتك، ولم يزل لي شاكراً معتراً.
The theme of this thesis is Al-Muhassen Ibn Ali Al-Tanoukhi, 327-384 in the Hijri Calendar. The research therein couched has been designed to construe the portrait of women as it appears in the chronicles collected by Al-Tanoukhi; the portrait thus construed is then to be set against a portrait construed in like manner from the works of Al-Jaheth, Ibn Qutaibah and Ibn Abdi Rabbih. Having achieved this purpose, the thesis goes on to define the compositional properties of Al-Tanokhi's works.

For the purposes of this thesis, the dimensions of a portrait include bodily characteristics, personal traits, social status and legal competence. Moreover, compositional properties include the stylistic properties of presentation, patterns of narration, of characterization interplay of characters, plot, denouement and finale.

The present thesis is comprised of an introduction, three chapters, concluding remarks and an appendix. Chapters one and two are jointly dedicated to the visualization part of the title, whereas compositional properties have been dealt with in chapter 3.

Chapter 1 construes the portrait of women as it appears in the works of the three selected predecessors of Al-Tanoukhi. From Al-Jaheth, three treatises have been selected: ‘The discourse On female Slave Singers’, ‘The Discourse on The Rivalry in Intercourse Between Females And Males’, ‘The Discourse on Women’; from Ibn Qutaibah, a chapter has been selected entitled ‘On The Nature of Women’ occurring in his book known as ‘Uyoun Al-Akhbar’, or ‘The Elite Chronicles’; from Ibn abdi Rabbih's ‘Al-Iqd Al-Fareed’, or ‘The Unique Necklace’, Coral Two has been selected in addition to the episodes of the women received in audience by Mu'awiyah.

Fifty chronicles from these works have been carefully selected and explored to elicit there from the portrait of women as visualized by the three authors. The chronicles have been selected so as to reflect the portrait of women as such, regardless of whether a woman happens to be a free woman or a slave, whether she be young or elderly, rich or poor, thus stunting all considerations that might offset femininity.
Chapter Two, elicits the portrait of women as visualized by Al-Tanoukhi. Thirty-eight chronicles have been selected from his works and explored according to the same methodology. The portrait thus construed is then set for comparison with the portrait elicited from the three authors mentioned above.

Chapter Three studies the compositional properties of Al-Tanoukhi's selected chronicles. The properties of his mode of writing have been studied and presented. The stylistics of his patterns of narration, characterization and interplay of characters, the properties of plot, denouements and finales have all been elaborately presented.

This chapter has shown that Al-Tanoukhi's chronicles fall in two categories; namely, those that seek to record and document genuine established episodes, and those that seek only to present an exciting event regardless of documenting their respective authenticity. The language and wording of those latter chronicles have been carefully defined.

The appendix presents the full text of all the chronicles selected eighty-eight in number. Fifty of them have been selected from Al-Tanokhi's predecessors and thirty-eight from Al-Tanoukhi's own works.

The concluding remarks show that the portrait of women as visualized by Al-Tanoukhi, is entirely dissociated from any prescribed stereotype. A woman led her own life in her own way within her community fully enjoying her inherent rights, social status and legal competence. In composition and stylistics, Al-Tanouhi could not disentangle himself from the rules, then prevalent, in presenting chronicles. He manifested, nonetheless, a genuine tendency to attempt writing the short story, even according to the modern rules governing this literary genre.